المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
(شعبة التفسير)



ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس

جمعاً ودراسةً وموازنةً

"من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة

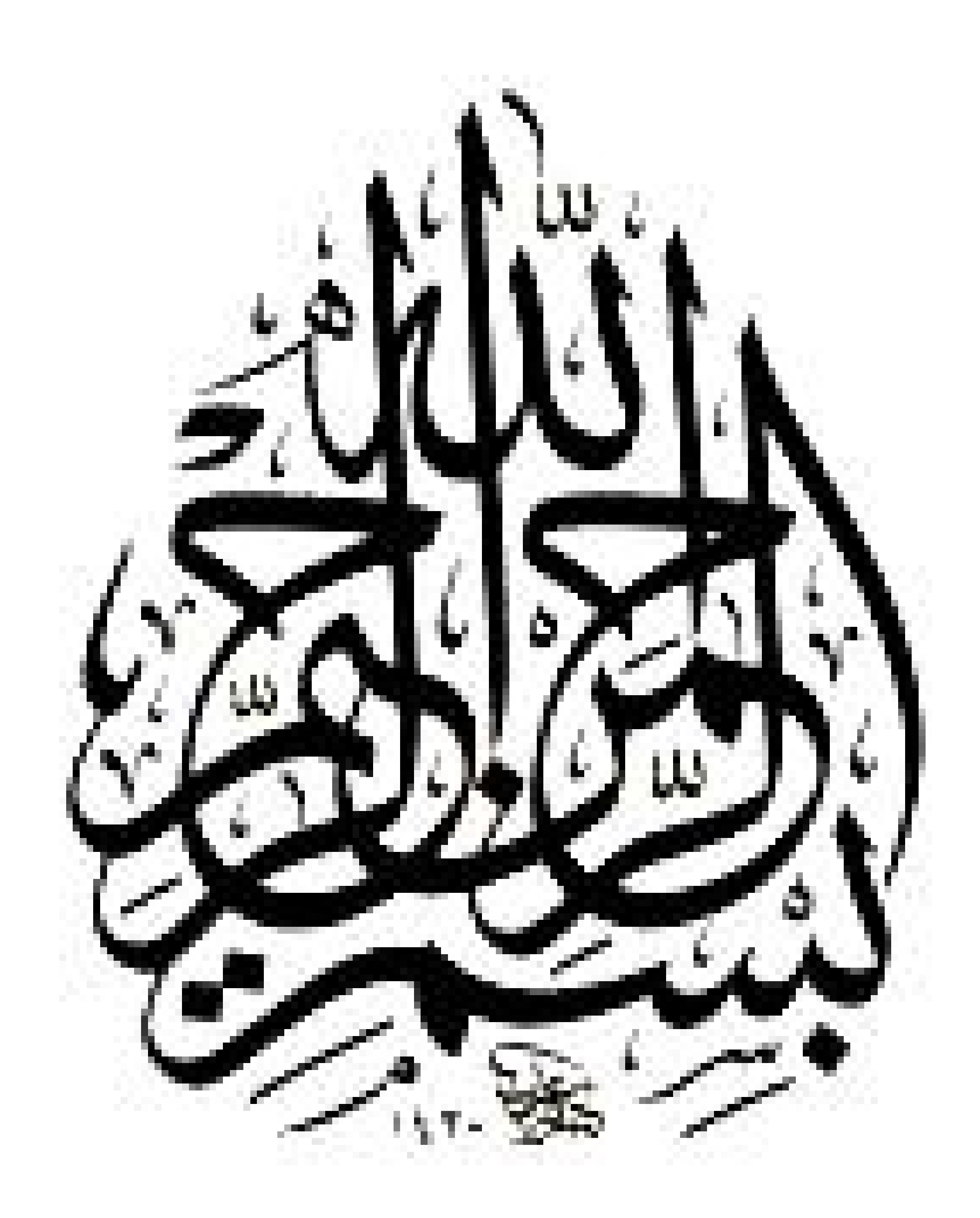
إعداد الطالبة : خلود سليمان سليم العصيمي

(الرقم الجامعي : ٤٢٥٨٠١٤٨)

إشراف ا دكتور : عبد ال ريم ال رني

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الـ سالة

عنوان الرسالة : ترجيحات الإمام القرطبي في التفسر من أول الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس. جمعاً ودراسةً وموازنةً من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم.

تتكون الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وشملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة في تفسير القرطبي، كما شملت على هيكل البحث، ومنهج الباحثة في البحث.

التمهيد : يتعلق بحياة الإمام القرطبي وترجمته، حيث أبان البحث عن أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وثناء أهل العلم عليه، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه وفي سائر العلوم من خلال ذكر تآليفه وآثاره العظيمة .

القسم الأول: ضمّنته فصلان وضحت فيهما منهج الإمام القرطبي في الاختيار والترجيح، وتطبيقه للقواعد الترجيحية في التفسير.

الفصل الأول: مهدت له بتمهيد يحتوي على أسباب تأليف القرطبي للجامع وشروطه فيه وضمّنته ثلاثة مباحث وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن تفسير الإمام القرطبي للقرآن بالمأثور وهذا يتضمن تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، وأقوال من جاء بعدهم.

المبحث الثاني: وضّحت فيه مدى اهتمام الإمام القرطبي باللغة وعنايته بها، وشمل هذا المبحث تفسير الإمام القرطبي للقرآن باللغة من خلال بيان عنايته بمعاني المفردات والحروف والأدوات والإعراب، والأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: وضّحت فيه تفسير الإمام القرطبي للقرآن بالرأي من خلال توضيح عنايته بالمناسبات، وعنايته بأسرار التعبير.

أما القسم الثاني : فقد عني باختيارات الإمام القرطبي وترجيحاته في التفسير من أول الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس، ودراسة هذه الاختيارات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من المفسرين ، وغيرهم .

وقد أبان البحث عن قوة اختيارات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر .

ثم ختمت البحث بخاتمة وفهارس فنية كاشفة عن ما تضمنته الرسالة وما اشتملت عليه.

والحمد لله على توفيق وامتنانه .

الباحثة
خلود سليمان العصيمي

المشرف على البحث
الدكتور/ عبد الكريم القرني

Thesis Digest

Subject Thesis : Weights in the interpretation of Imam Al-Qurtubi , from the first of ٤١th verse of the Tawba to the end of Younis .Collection and study and budget through the interpretation of Qurtubi (the whole of the provisions of the Koran).

The Thesis consists of an introduction, preface, and two sections , a conclusion and indexes.
Introduction : including the importance of the topic and the reasons for selecting the topic and previous studies in Al-Qurtubi interpretation .
The study also examines the structure of the research and the methodology of the researcher in the search.

Preface : respect the life of Imam Al-Qurtubi, where the researcher explained the most important stages in the Qurtubi's life, and underscored the scientific status of Al-Qurtubi, and praise of the scholars to him, The Post-Qurtubi Avenue in interpretation, and its impact in it and in all the sciences, through the said about works and the great effects of Qurtubi.

Section I : consists of two chapters, and sacrificed a forward approach in which the verse in the selection and

weighting, and application of the rules in interpretation.
Chapter One: I present to it by a preface that contents the reasons for formation of (Al-Gama) , and conditions therein, and consists of Investigation are as follows:

Section I: I talked about Imam Al-Qurtubi interpretation of the Koran by quoting texts, and this includes the interpretation of Qur'an by the Qur'an and by Sunnah, statements companions of the Prophet , and the views of their followers, and statements of the followers by .

Section II: I explain in it the interest of Imam Al-Qurtubi in forward tha Arabic language and his care about it , and included the topic of Imam al-Qurtubi interpretation of the Koran, through the statement of his attention meanings of words, letters, tools, and accents and the Arabic style in the Koran.
Section III: I explain in it the interpretation of Imam al-Qurtubi about Quran by opinion, through his care of events, and caring of the secrets of expression.

The second part: it singled out by choices of Imam al-Qurtubi, and his Weights in the interpretation from the first of ٤١th verse, from Tawba to end of Yunus, and study of these options in a detailed manner, as compared to the opinions of the imams of knowledge from commentators, and others.

Research has shown the power of choices this forward, and it was not decorated in the scientific choices, but it was diligent depends on the evidence and consideration. Find a conclusion and then sealed and technical indexes revealing the contents of the Thesis and it's included.

Praise be to God for blessing and gratitude

Researcher
Al-Osaimi, khulood Suliman

Supervisor
Dr. Al-Qurani, Abdul kareem .

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل على توفيقه وامتنانه، وأحمده على نعمه وجزيل إحسانه، أحمده حمداً كثيراً على أن سهّل لي إنجاز هذا البحث ويسره لي وأعانني عليه، وأسأله عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتي وأن يتقبله مني وينفع به الإسلام والمسلمين .

أتوجه بالشكر والامتنان إلى والديّ أطال الله عمرهما في طاعته، فكل ما حصل لي من توفيق في حياتي فهو من بركة دعائهما لي.

ثم الشكر والعرفان لفضيلة شيخي الدكتور "عبدالكريم القرني" على ما تفضّل به عليّ من توجيه ونصح، وتصويب لما كتبت، وتوضيح لما عنه جهلت، وتنبيه لما عنه غفلت، وما ذاك إلا لحرصه واهتمامه مع كثرة أشغاله وارتباطاته، فله مني الدعاء الخالص من قلبي أن يبارك له في علمه وينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وينور له في قبره ويفسح له فيه، وأن يرزقه الفردوس الأعلى من الجنة.

والشكر موصول إلى جامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين وأخص عميدها الفاضل، ووكلاءه، ورئيس قسم الكتاب والسنة فضيلة الشيخ الدكتور "غالب الحامضي" وأشياخي الأفاضل الذين تلقيت عنهم العلم في قسم الكتاب والسنة فجزاهم الله خير الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لإخوتي على تشجيعهم لي بمواصلة الدراسة فجزاهم الله عني خير الجزاء، ولا يفوتني أن أشكر أختي الغالية "مهرة البلوي" على مساعدتي بتقديم المشورة وتوفير بعض المراجع، وطباعة بحثي على الحاسوب، فجزاها الله عني خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتها يوم القيامة.

ولما كان عمل البشر عرضة للنقص والخلل ويستحيل وصوله للكمال؛ لانفراد المولى سبحانه بالكمال المطلق، كانت هذه الرسالة لا تخرج عن هذا الأصل بحال، ولكنني بذلت فيها جهدي، وحاولت أن أنهض بها قدر إمكاني، داعية المولى عز وجل أن يوفقني فيها للصواب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد :

فإن من نعمة الله تعالى على العبد أن يسلك به طريق العلم الشرعي، وإنَّ أشرف العلوم علوم القرآن لاتصالها بكتاب الله تعالى الذي أعجز الخليقة عن الإتيان بسورة من مثله، وسَهُل على الخلق مع إعجازه تلاوته، وفهمه، والعمل به.

ولا شك أن علم التفسير الذي هو بيان عن معنى كلام الله سبحانه وتعالى من أجلّ العلوم وأشرفها. ولقد اشتغل العلماء بهذا العلم فألفوا فيه مؤلفات عدّة، ومن هؤلاء العلماء الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ) صاحب كتاب: الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الذي جمع فيه فنوناً عديدة، من أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، والغريب من الألفاظ، والأحكام الفقهية في المسائل التي يتطرق إليها، ويحتكم كثيراً إلى اللغة، ويُكثر الاستشهاد بأشعار العرب .

ففي هذا الكتاب العظيم نُكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، والفقه بأسباب نزول الآيات، وقد اشتغل فيه طلاب العلم فبحثوا فيه جوانب اللغة والنحو والفقه والقراءات وغيرها.

إلا أنه لم يسبق لأحد من الباحثين أن تتبع ترجيحات القرطبي التفسيرية بصفة مستقلة، وترجيحات القرطبي في تفسيره كثيرة وهو موضوع واسع ذو فائدة علمية كبيرة. وقد يسَّر الله لي التسجيل في هذا الموضوع وكان نصيبي منه من الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس. فكان عنوانه: "ترجيحات

الإمام القرطبي في التفسير من الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس، جمعاً ودراسةً وموازنةً".

وأسأل الله تعالى لي ولجميع من سجل في هذا الموضوع التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع :

تظهر أهمية هذا الموضوع من عدة وجوه، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. أن تفسير القرطبي من أَجلِّ التفاسير وأعظمها شأناً بذل فيه مؤلفه رحمه الله تعالى كل جهده من أجل خدمة كتاب الله تعالى. وقد استفاد منه طلاب العلم والعلماء بعده.
٢. شهرة مؤلفه رحمه الله وعلو قدره عند العلماء، ويظهر ذلك عند قراءة ترجمته في كتب التراجم .
٣. كثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في هذا التفسير؛ مما يجدر بكل طالب علم الإطلاع عليها والإفادة منها وبذل الجهد في ذلك.
٤. أن تفسير القرطبي هذا وإن كان المتبادر إلى الأذهان أنه كتاب في أحكام القرآن إلا أنه مليءٌ بعرض الأقوال في التفسير وترجيحه لما يراه الأقرب للصواب بطرق ترجيحية معينة .
٥. أن التفسير علم كثرت فيه الأقوال وتعددت فيه الآراء فهو بحاجة إلى التحقيق والترجيح.

أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع – ليكون بحثاً لي في مرحلة الماجستير – أسباب عديدة منها :

١. جِدَّة هذا الموضوع، فلم أر بفضل الله تعالى فيما اطّلعت عليه من سبق إلى هذا الموضوع بالبحث التفصيلي المبني على العرض والدراسة والموازنة.
٢. أن تفسير الإمام القرطبي استفاد منه الباحثون ونظروا فيه من جوانب عديدة كالفقه واللغة والقراءات، وغيرها كما سيأتي في ذكر الدراسات السابقة وبقي الركن الأعظم فيه وهو ترجيحاته التفسيرية لكلام الله تعالى .

٣. إعطاء الدارس لهذا الموضوع قدرة قوية على سَبْر أقوال المفسرين وفهمها ومناقشتها والترجيح بينها ترجيحاً مقترناً بالدليل والتعليل، وإكسابه ملكة تفسيرية قد لا تتوفر في دراسة كثير من الموضوعات.
٤. أن قواعد الترجيح في التفسير قد أُصِّل لها، وهذا البحث تطبيقاً لتلك القواعد مما يزيدها تأصيلاً ويزيدنا لها فهماً .
٥. تَعلُّق هذا الموضوع بدراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم تَعلُّقاً مباشراً، وأرجو من الله تعالى أن يعلمني ما ينفعني وأن ينفعني بما علمني وأن يجزل لي ولمشايخي الفضلاء الأجر والمثوبة .

الدراسا السابقة :

لم يتطرق أحد من الباحثين – حسب علمي – إلى ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير في دراسة مستقلة، وإنما جملة ما بحث في تفسير هذا الإمام مُنصبٌّ على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاج للقراءات، أوالترجيحات في الأحكام الفقهية، أو تحقيق الكتاب وبيان الدخيل فيه، أو ذكر منهجه في التفسير، ومن تلك الدراسات :

١. الدرس اللغوي في تفسير القرطبي: سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، رسالة دكتوراه – علي زكريا علي الجوخي .
٢. منهج الإمام أبي عبدالله القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن . رسالة ماجستير – حارث محمد سلامة العيسى.
٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – دراسة وتحقيق وتخريج . رسالة دكتوراه– محمد يماني .
٤. أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي . رسالة ماجستير – عبدالله محمد فرج الله.
٥. القرطبي نحوياً من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن . رسالة دكتوراه – فاطمة المحرش .
٦. الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي . رسالة ماجستير – سيدي

عبد القادر بن محمد محمود الطفيل .

٧. المعنى والإعراب في تفسير القرطبي . رسالة ماجستير – محمد سعد محمد السيد.

٨. الدخيل في تفسير القرطبي . رسالة دكتوراه – أحمد الشحات أحمد موسى.

٩. القرطبي ومنهجه في التفسير . رسالة دكتوراه – القصيبي محمود حامد زلط.

١٠. ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لاحكام القرآن . رسالة دكتوراه – سعدية حامد جمعه المحياوي .

١١. القرطبي مفسراً . رسالة ماجستير – علي سليمان العبيد .

١٢. منهج الإمام القرطبي في أصول الدين . رسالة ماجستير – أحمد عثمان أحمد المزيد .

١٣. اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في فقه الأسرة . رسالة ماجستير – عبدالله صالح سعد الطويل .

١٤. اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في العبادات – دراسة فقهية مقارنة . رسالة ماجستير – عايض مقبول حمود القرني .

الإضافات العلمية :

إن أبرز الإضافات العلمية لهذا البحث – من وجهة نظري – يمكن إجمالها في الآتي :

ــ معرفة ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير ودراستها .

ــ إبراز منهجه في ترجيح تفسيرٍ معيّن .

ــ معرفة قواعد الترجيح في تفسيره .

ــ معرفة صيغ الترجيح عنده .

حدود ذا لبحث :

سيكون هذا البحث – بعون الله تعالى – منصباً على ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير، من الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس .

هيكل البحث :

يتكون من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وخطة البحث :

التمهيد : وفيه ترجمة موجزة للإمام القرطبي :

أولاً : حياته الشخصية (اسمه ونسبه، مولده ونشأته، صفاته وأخلاقه).

ثانياً : حياته العلمية (طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه).

ثالثاً : مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه.

رابعاً : آثاره ومؤلفاته.

خامساً : وفاته .

القسم الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج الإمام القرطبي في تفسيره، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : ويحتوي على أسباب تأليفه له، وشروطه فيه.

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .

المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .

المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .

المطلب السادس : عنايته بالقراءات .

المبحث الثاني : تفسيره القرآن باللغة، وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

التمهيد : ويحتوي على مدى اهتمامه باللغة وعنايته بها .

المطلب الأول : عنايته بمعاني المفردات .

المطلب الثاني : عنايته بمعاني الحروف والأدوات .

المطلب الثالث : عنايته بالإعراب .

المطلب الرابع : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .

المبحث الثالث : تفسيره القرآن بالرأي، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عنايته بالمناسبات .

المطلب الثاني : عنايته بأسرار التعبير .

الفصل الثاني : منهج الإمام القرطبي في الترجيح في التفسير، وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد : وفيه تعريف الترجيح والاختيار ومتى يكونان.

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.

الملطب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي، وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .

المطلب الثالث : الترجيح بالسياق .

المطلب الرابع : الترجيح بالقراءات .

المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول .

المطلب السابع : الترجيح بأقوال السلف .

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .

المطلب التاسع : الترجيح بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب.

المطلب العاشر : الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها .

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة والشعر .

القسم الثاني : ترجيحات الإمام القرطبي من الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس .

- ترجيحات الإمام القرطبي في سورة التوبة من أول الآية الواحدة والأربعين إلى آخر السورة .
- ترجيحات الإمام القرطبي في سورة يونس .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس : وتتضمن الفهارس الآتية :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس القراءات الشاذة .
٣. فهرس الأحاديث النبوية .
٤. فهرس الآثار .
٥. فهرس الأعلام .
٦. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
٧. فهرس القبائل .
٨. فهرس الأماكن والبلدان.
٩. فهرس الشواهد الشعرية .
١٠. فهرس المصادر والمراجع .
١١. فهرس الموضوعات .

منهج الباحثة :

١ـــ جمع ترجيحات الإمام القرطبي رحمه الله من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن ضمن القدر المُحدّد لي وفق بطاقات مكتوب على كل واحدة منها: اسم السورة، رقم الآية، ونصِّها، وعنوان للترجيح مختصراً يدل على مضمونه، ثم المقطع المراد تناوله بالدراسة، ثم رتبت المسائل وفق ترتيب المصحف الشريف .

٢ــ حصرت ترجيحات الإمام القرطبي رحمه الله في المقدار المعيّن للدراسة، معتمدة على التالي :

أ – تصريح الإمام القرطبي بالراجح في المسألة .

ب – تصريح الإمام القرطبي بِردٍّ أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية ولو لم يُصرِّح بالراجح .

ج – التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .

٣ــ درست هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم، من مفسرين، ولغويين، وفقهاء وغيرهم، وذلك على النحو التالي :

أ – وضعت لكل مسألة عنواناً مختصراً – كما تقدم – يدل على مضمونها.

ب – ذكرت كلام الإمام القرطبي بنصه – غالباً – في الاختيار ، والترجيح .

ج – المناقشة والترجيح وفيها ما يلي :

ــ أُصدّر الدراسة بذكر أقوال الموافقين لللإمام القرطبي ممن تَقدّمه أو تأخر عنه من المفسرين ، سواء كانت هذه الموافقة تصريحاً أو تلميحاً.

ــ ثم أذكر بقية الأقوال المخالفة لهذا القول مَعزُوَّة إلى قائليها – غالباً – مع ذكر دليل كل قول – إن وجدت – عقبه مباشرة .

ــ درست الأقوال وأدلتها وبَيّنتُ وجوه القوة والضعف فيها، مستنيرة بأقوال أهل العلم، ومعتمدة على قواعد الترجيح في الدلالة على أرجح الأقوال .

ــ توصلت في ضوء ذلك كله إلى القول الذي يسكن القلب إليه في تفسير الآية مُتجرِّدة – إن شاء الله تعالى – من التعصب لرأي أو شخص أو هوى، ولم أَتعمَّد قط مخالفة ظواهر الأدلة لأوافق قول أحد ، بل اتبعت الأدلة حسب وسعي وطاقتي .

٤ــ عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الرسالة؛ تخفيفاً للحاشية، معتمدة في ذلك على إنزالها من الحاسوب وفق برنامج خاص بذلك .

٥ــ خَرَّجت جميع الأحاديث الواردة في الرسالة تخريجاً مختصراً فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك. وإن كان في غيرهما فإني أُخرِّجه من مظانِّه ثم أذكر كلام المحدثين عنه من المتقدمين والمتأخرين، وأعقب ذلك بالحكم على الحديث صحة وضعفاً .

٦ــ اكتفيت في الآثار المروية عن السلف في التفسير بعزوها إليهم وتخريجها من مظانِّها لكثرتها دون الحكم عليها .

٧ــ وثَّقتُ النصوص التي أنقلها توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصلية ما أمكن ذلك.

٨ــ عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة ما أمكن ذلك.

٩ــ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمة مختصرة، محيلة إلى كتاب أو كتابين أو أكثر من كتب التراجم المعتمدة، ولم أترجم للخلفاء الأربعة وذلك لشهرتهم، ولا أحيل إلى الترجمة إيجازاً .

١٠ــ عرَّفت بالأماكن غير المعروفة من كتبها المعتمدة.

١١ــ قد أحتاج أحياناً إلى إدخال كلامي في ثنايا نص منقول بلفظه لأحد العلماء؛ لبيان مبهم أو تفسير ضمير ونحوه، فإني أضعه محصوراً بين معقوفين هكـــذا [ ] وإذا حذفت شيئاً من النص المنقول وضعت مكانه نقطاً هكذا.....

١٢ــ التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء أو وفياتهم في صلب الرسالة، ولم أُخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام، كأن يكون النص المنقول لمتأخر ونحو ذلك.

١٣ــ عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول، فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته، وإن كان هذا النص من صفحات عدة .

١٤ــ ضَبَطتُ بالشكل كل ما يحتاج إلى ضبط مما تشكل قراءته ويلتبس نطقه.

١٥ــ المُعوّل عليه في معرفة اسم كل مصدر أو مرجع كاملاً وطبعته هو الفهرس الخاص بذلك في آخر الرسالة، لصعوبة ذكر اسم المصدر أوالمرجع كاملاً وطبعته.

١٦ــ اقتصرت في التمثيل في قسم الدراسة النظرية من القسم المحدد لي من أول الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس، إلا أن لا يوجد مثال في هذا القسم أو يوجد مثال أوضح منه في الدلالة في أي موضع من الكتاب فاستشهد به عند ذلك .

١٧ــ ذيَّلتُ الرسالة بفهارس فَنيَّة كاشفة عن مضامينها، مُعتمدة في فهرست الأحاديث، والآثار، والأعلام، والقبائل، والبلدان، والمصطلحات، والأشعار، والمراجع والمصادر على الترتيب الهجائي .

التمهيد

وفيه ترجمة موجزة للإمام القرطبي

أولاً : **حياته الشخصية** (اسمه ونسبه، مولده ونشأته، أخلاقه وصفاته)

ثانياً : **حياته العلمية** (طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه، مكانته العلمية) .

ثالثاً : **آثاره ومؤلفاته** .

رابعاً : **وفاته** .

ولا ً : حياته ا شخصية :

أ ـ اسمه ونسبه :

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح – بسكون الراء والحاء المهملة – الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي[١] .

ب – مولده :

ميلاده بقرطبة[٢] من بلاد الأندلس[٣]، ولم تُحدد المصادر التي ترجمت للقرطبي تاريخاً لمولده.

جـ ـ نشأته :

نشأ أبو عبدالله في قرطبة. ونُسب إليها، وتلقى بها ثقافةً واسعةً في الفقه، والنحو، والقراءات وغيرها، حتى أصبح أشهر عَلَم من أعلام قرطبة، فعندما يُذكر القرطبيّ بإطلاق، فلا تنصرف أذهان العلماء وطلبة العلم إلا إليه. وكان يعيش آنذاك في كنف أبيه ورعايته، وبقي كذلك حتى وفاته سنة (٦٢٧هـ) في حادثة ذكرها أبوعبدالله نفسه في تفسير قول الله تعالى :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

حيث قال في المسألة الخامسة : "العدو إذا أصبح قوماً في منازلهم، ولم يعلموا به، فَقَتَل منهم، فهل يكون حُكمه حُكم قتيل المعركة أم حُكم سائر الموتى؟ وهذه المسألة وقعت عندنا بقرطبة – أعادها الله – ؛ أغار العدو – قصمه الله – صبيحة الثالث من رمضان المُعظَّم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (٣١٧/١)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٤٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧٤/٥٠).

(٢) هي: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية، واستولى عليه النصارى سنة ٦٣٢هـ وهي الآن بأسبانيا. ينظر: معجم البلدان للحموي (٣٢٤/٤).

(٣) هي: جزيرة ذات ثلاثة أركان، وقد أحاط بها البحران المحيط والمتوسط وهو خليج خارج من البحر المحيط قرب سلا من بر البربر، فالركن الأول هو في هذا الموضع وعنده مخرج البحر المتوسط الذي يمتد إلى الشام، والركن الثاني شرقي الأندلس بين مدينة أربونة ومدينة برديل، والركن الثالث هو مابين الجوف والغرب من حيز جليقية. ينظر: معجم البلدان (٢٦٢/١).

أجرانهم[١]على غفلةٍ، فقَتَل وأَسر، وكان من جملة من قُتل والدي رحمه الله"[٢].

فيؤخذ من هذا النص أن القرطبي نشأ في كنف أبيه ورعايته وأن أباه كان يشتغل بالزراعة وكان يباشر حصاد أحد المحاصيل يوم قُتِل مع غيره من المسلمين على يد النصارى بقرطبة سنة (٦٢٧هـ). وقد كان يعمل في شبابه في نقل التراب على الدواب وبيعه إلى الذين يصنعون القرميد[٣] للشّقف[٤]، كما أخبر بذلك عن نفسه عندما قال : "ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بـ (مقبرة اليهود) خارج قرطبة، وقد اختلط بعظام من هناك، ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القرميد للشقف"[٥].

والظاهر أنه بقي في قرطبة حتى سقوطها في أيدي الفرنجة سنة (٦٣٣هـ)، وانتقل إلى مصر واستقر بها، وواصل باقي حياته العلمية هناك حتى توفاه الله.

د ـ أخلاقه وصفاته :

يتحلى الإمام القرطبي بصفات جميلة وأخلاق فاضلة فقد أثنى المؤرخون عليه وامتدحوه بالصفات الحميدة فقالوا: "كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة"[٦] .

وتتجلى الصفات الحميدة التي تميَّز بها القرطبي في الأمور التالية :

١ـ ورعه وزهده. فمن مظاهر ذلك تصنيفه كتابي : (قمع الحرص بالزهد والقناعة) و(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)، ومن مظاهر ورعه وزهده أيضاً: ذمَّه الغنى الذي يجعل صاحبه مَزْهوّاً به، بعيداً عن تعهد الفقراء، ضعيفاً

(١) هي: جمع جرين، وهو موضع تُجفّف فيه الثمار ويداس فيه الطعام وهو كالبيدر للحنطة، وجمعه جُرن. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٨٧/١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٤/٤) .

(٣) القرمد والقرميد : حجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بني بها. ينظر: لسان العرب (٣٥٢/٣) .

(٤) هو : الخزف المُكسَّر. ينظر: لسان العرب (١٨٣/٩)، والمحيط في اللغة لاسماعيل بن عباد (٢٤٣/٥) .

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣٨).

(٦) الديباج المذهب (٣١٧).

في التوكل على رب الأرض والسماء، ومن مظاهره أيضاً: عمــارة وقته وإفــادته منه، بين عبادةٍ وتوجّه وتصنيف؛ كما وصفه بذلك غيرُ واحدٍ من مُترجميه[١] .

٢ــ شجاعته وجرأته في الحق، ولا غرابة في أن يكون القرطبي شجاع القلب، جريئاً في إعلان ما يعتقده حقاً؛ لأنه قد استكمل الأسباب التي تُسلِّحه بهذه الجرأة من علمٍ واسع، وورعٍ مشهود، واستهانة بالدنيا ومظاهرها، ويتضح ذلك في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨][٢].

٣ــ غيرته وشدة حرصه على الدّين فقد تعرَّض للحكام في عصره وكذلك لعامة الناس موضحاً أنه قد فشا بينهم الظلم، وضعف الوازع الديني في نفوسهم، وكثرت فهيم البدع والمنكرات. وقد صرَّح بذلك في كتابه التذكرة عندما قال : "هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلَّب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحُكَّام، فصار الحكم مكساً، والحق عكساً، لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه، بدَّلوا دين الله، وغيروا حكم الله"[٣] .

٤ــ بساطته وتواضعه، فقد ملكت عليه الآخرة أقطار نفسه، فكان يُعنى بمظهره ولكنه لم يكن يبالغ في ذلك، ومن مظاهر بساطته وتواضعه: ما وصفته كتب التراجم من أنه :"كان طارح التكلف، يمشي بثوب واحد، وعلى رأسه طاقيّة"[٤].
طاقيّة"[٤].

٥ــ جدّيته في الحياة ومضاء عزيمته، فإن الدارس لحياة الإمام القرطبي يَعجبُ كل العجب من حياة الجدّ والصرامة التي أخذ بها نفسه حتى أَلِفها، فهو رحمه الله

---

(١) الديباج المذهب (٣١٧) ، وطبقات المفسرين للداودي (٢٤٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٥) .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٧٤٠) .

(٤) الديباج المذهب (٣١٧).

تعالى قد كرَّس حياته للعلم والمطالعة والتأليف دون أن يُؤثر عنه ملل أو سأم، وكان من آثار جدّيته ومضاء عزيمته مجموعة غير قليلة من المصنَّفات.

٦ـ لين جانبه وعفة لسانه، وسهولة ورقة عبارته، وحُسن فهمه ومناظرته، ويلمس ذلك كل من قرأ كتبه، ولا سيما في مواطن مناقشته لمخالفيه في الرأي في بعض المسائل والأحكام، فهو يُجلّ كل رأي على الرغم من مخالفته له، ويلوم من يعيب المخالفين أو يتهجّم عليهم، بعبارة سهلة رقيقة، تدلل على لين جانب صاحبها، وعلى عفة لسانه. ومن الأمثلة على ذلك موقفه من عبارات ابن العربي[١] القاسية على المخالفين، منها : عندما تعرض لتفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧] نراه يعيب على ابن العربي تشنيعه على من يقول من الحنفية وغيرهم بحلّ النبيذ، وجعله إياهم مثل أغبياء الكفار، على الرغم من أن القرطبي يوافق ابن العربي في رأيه بالحرمة، إلا أنه لم يعجبه منه قسوة التعبير، فقال: "وهذا تشنيع شنيع، حتى يلحق فيه العلماء الأخيار في قصور الفهم بالكفار"[٢] .

٧ـ أمانته العلمية، فالإمام القرطبي رحمه الله تعالى كان يلتزم الأصول العلمية، ويتبع أساليب العلماء الفضلاء الذين لا يعنيهم إلا أن يُثبتوا الفضل لأهله، ولا يهمهم أن ينسبوا إلى أنفسهم ما ليس لهم، وهذه هي الأمانة العلمية التي يعمل علماء العالم الآن على تأصيلها، وتثبيت قيمها، واتخاذ أساليب لتنفيذها، وهذا ما ارتضاه الإمام القرطبي لنفسه حين كتب "تفسيره" قال: "وشرطي في هذا الكتاب

---

(١) هو: الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي، كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها نافذاً في جميعها حريصاً على أدائها ونشرها توفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٩٧/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١٨١/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١٠) .

إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف إلى قائله"[١] .

انيا ً : حياته ا علمية :

أ ـ طلبه للعلم :

أقبل القرطبي منذ صغره على العلوم الدينية والعربية إقبال المُحبّ لها، المشغوف بها، فأعطته من نفسها ما استحق به ذكر الخالدين، ولذلك نجده في سائر كتبه نسيج وحده، في كل مسألة يعرضها، ونلحظ درايته الفائقة في مختلف العلوم التي يتناولها بالبيان، حتى كأنه قد تخصص فيه، وصرف وقته كله في دراسة قضاياه، نجده كذلك في الفقه وأصوله، وفي اللغة وغرائبها، وفي النحو وأبوابه، وفي علوم القرآن، والقراءات ، وهو كذلك في الحديث النبوي، وعلم الرجال، ولابد أن يكون من وصل إلى هذا التميُّز في العطاء والتأليف، متميزاً أيضاً منذ البداية في الأخذ والتلقي، ولذا نجده يُكثر في كتبه من قوله : "سمعت شيخنا..." [٢] و"أخبرنا قراءةً منّي عليه...." [٣] وكان ذلك بقرطبة، وهو في مرحلة الطلب. ولم يقتصر علم القرطبي على الأخذ من شيوخه، بل تعداه إلى مجالسة الكتب والنظر فيها، فقد اتّسم بجودة في الفهم، وقوة في النشاط الذهني، إذ أن ما حصَّله من معارف مختلفة – ظهر أثرها في "تفسيره" وسائر كتبه – يوحي بذلك، ويومئ إلى أنه لابد أن يكون قد بدأ في تلقيها منذ الصغر.

وكان لعصر ازدهار الحركة العلمية بالاندلس أثراً في حياة القرطبي العلمية وفي طلبه للعلم، ومن أسباب ازدهار الحركة العلمية في ذلك العصر :

---

(١) المرجع السابق (٢٩/١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/١)، (٢٥٠/٢)، (٨/٩ــ٢٩٧).

(٣) المرجع السابق (٢٣٧/٣).

١ــ اهتمام ملوك وأمراء الدولة الموحدية في الأندلس بالعلوم والثقافة اهتماماً منقطع النظير وذلك يرجع إلى بداية عهد تأسيسها على يد محمد بن تومرت[(١)] الذي كان من علماء عصره وكان مُحبّاً للعلم مشغوفاً به مُشجِّعاً لأهله، وقد سلك الخلفاء الذين جاؤوا بعده مسلكه .

٢ــ إطلاق حرية الفكر والبحث ونبذ التعصب ومحاربته من قِبل حكام الدولة الموحدية خلافاً لما كان عليه الحال في الدول التي قامت في الأندلس حيث اتّصفت بالتزمُّت وتقييد حرية الفكر .

٣ــ كثرة الكتب والمؤلفات وحرص الحُكَّام والشعب على امتلاك الكتب وبذلهم الأموال في سبيل ذلك، حتى غمرت المؤلفات بلاد الأندلس وروجت سوق العلم فتعددت الهيئات العلمية، في ربوع الأندلس وبين جوانبها، ونهضت العلوم الدينية كالفقه، والحديث، والتفسير، والقراءات، كما نهضت علوم اللغة والتاريخ والأدب والشعر. ولقد كان لهذا كله أثر كبير في التكوين العلمي للإمام القرطبي، ولم تكن الحياة العلمية في مصر – وقد انتقل إليها الإمام القرطبي أيام الأيوبيين – بأقل منها في الأندلس أيام الموحدين، ولعل الأسباب التي نشطت بها الحركة العلمية في مصر تتفق مع الأسباب التي أدت إلى نشاطها في الأندلس[(٢)].

ب ـ شيوخه :

عاش الإمام القرطبي في بداية حياته في الأندلس ثم خرج منها إلى مصر، وتتلمذ على كثير من الشيوخ في البلدين اللذين عاش فيهما، ويمكن تقسيم شيوخه إلى قسمين :

الأول : شيوخه بالأندلس :

---

(١) هو : محمد بن عبدالله بن تومرت، أبو عبدالله المُلقب نفسه بالمهدي المصمودي، كان متورعاً متقشفاً متعبداً وأمّاراً بالمعروف، كان شجاعاً جريئاً طُبع على النهي عن المنكر. ينظر: تاريخ الإسلام (١٠٦/٣٦)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠٩/٦) .

(٢) القرطبي ومنهجه في التفسير لمحمود زلط (٥٦).

إن أبرز شيوخ الإمام القرطبي بالأندلس هم الذين تحدَّث عنهم، وذكر تلمذته عليهم، ورجوعه إليهم في المشكلات والدقائق العلمية ، وهم :

١ــ أبو جعفر أحمد بن محمد القيسي المعروف بابن أبي حُجَّة، فاضل من أهل قرطبة، كان من علماء اللغة وعلوم القرآن، تصدَّر لإقراء القرآن وتعليم العربية، ولما سقطت قرطبة انتقل إلى إشبيلية[١]، وأسره الروم في البحر، وتوفي سنة ٦٤٣هـ بسبب التعذيب رحمه الله تعالى[٢] .

وقد استفاد إمامنا من شيخه هذا كثيراً، لاسيما إذا علمنا أن ابن أبي حُجَّة كان نحوياً ومُحدّثاً وفقيهاً بالإضافة إلى كونه مُقرئاً .

وهو أول شيخ سأله القرطبي في غسل والده والصلاة عليه يوم قُتل في غَارةٍ مفاجئةٍ شنَّها الأعداء على قرطبة، قال: "فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بابن أبي حُجَّة، فقال: غسّله وصلّ عليه، فإن أباك لم يُقتل في المعترك بين الصفين"[٣].

٢ــ أبو سليمان ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الربيع الأشعري، كان قاضياً في قرطبة عارفاً بعلوم الحديث، وكان رجلاً صالحاً، عدلاً في أحكامه، ترك قرطبة عندما استولت الروم عليها سنة (٦٣٣هـ) فتحول إلى إشبيلية وبها توفي[٤] .

وقد سأله الإمام القرطبي بعد ابن أبي حُجَّة عن غسل والده، فقال: "ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أُبَيّ، فقال: إن حكمه حكم القتلى في المعترك"[٥] .

---

(١) هي: مدينة عظيمة من مدن الأندلس، بها قاعدة ملك الأندلس، وهي غربي قرطبة، قريبة من البحر تقع على شاطئ نهر عظيم يُقال له الوادي الكبير، استولى عليها النصارى سنة ٦٤٦هـ وهي الآن من بلاد الإسبان . ينظر: معجم البلدان (١/١٩٥).

(٢) التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن الآبار (١/٦١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٧٢).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٦/١٤٦)، والتكملة لكتاب الصلة (١/٢٦٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٧٢).

٣ــ أبو عامر يحيى بن عبد الرحيم بن أحمد بن ربيع الأشعري توفي سنة (٦٣٧) أو (٦٣٨)هــ[(١)]، قال الإمام القرطبي : "أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدّث القاضي أبو عامر يحيى بن عامر بن أحمد بن منيع الأشعري نسباً ومذهباً بقرطبة أعادها الله في ربيع الآخرة عام ثمانية وعشرين وستمائة قراءة مِنّي عليه"[(٢)] وكان الإمام القرطبي ينعته بقوله : "شيخنا القاضي لسان المتكلمين"[(٣)].

٤ــ أبو الحسن علي بن قطرال: هو القاضي العلامة أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي، وقد ذكره الإمام القرطبي في معرض كلامه عن وفاة والده[(٤)]. توفي سنة (٦٥١هــ) وعاش ثمانياً وثمانين سنة، وهو أحد الأعلام في زمانه[(٥)] .

٥ــ أبو محمد بن حوط الله: هو عبدالله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي، كان خطيباً بليغاً شاعراً نحوياً تصدَّر للقراءات والعربية، توفي سنة (٦١٢هــ) [(٦)].

وقد أخذ الإمام القرطبي عن شيخيه الأخيرين : ابن قُطرال وابن حوط الله وهما قاضيان بقرطبة، ولم يُكثر عنهما .

ثانياً : شيوخه بمصر :

استقر الإمام القرطبي بمنية بني خصيب[(٧)] في صعيد مصر[(٥)]، حتى توفي بها، وقد مرَّ بالإسكندرية[(٦)] والقاهرة[(٧)] وغيرهما من البلدان المصرية في طريقه إلى منية بني خصيب، وقد تتلمذ هناك على كثير من الشيوخ وكان من أبرزهم :

---

(١) الديباج المذهب (٣٥٣/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/٣).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٦٤١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/٤).

(٥) التكملة لكتاب الصلة (٢٤١/٣).

(٦) المرجع السابق (٢٤١/٣).

(٧) هي: مدينة كبيرة حسنة على شاطي النيل في الصعيد الأدنى تقع في شمال أسيوط ، تعرف الآن الآن بالمنيا. ينظر : معجم البلدان (٢١٨/٥).

(٥) هي: من فتوح عمرو بن العاص أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طولها من الشجرتين

١ــ رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن رواج واسمه ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي، كان فقيهاً فطناً، ديّناً متواضعاً، صحيح السماع، وانقطع بموته شيء كثير ولد سنة (٥٥٤هــ) وتوفي سنة (٦٨٤هــ) وقد تتلمذ القرطبي عليه وأخذ عنه كثيراً في رواية الحديث[١] .

٢ــ بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي المصري الشافعي، المعروف بــ "ابن الجُمّيزِيّ" كان من علماء الحديث والقراءات والفقه، وكانت له أسفار علمية إلى دمشق[٢] وبغداد[٣]، وولد بمصر سنة (٥٥٩هــ) ، وتوفي سنة (٦٤٩هــ)[٤].

٣ــ أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي ويُكنّى بأبي العباس هاجر إلى مصر، وكان من كبار الأئمة يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في علم الحديث وأخذ عنه الناس من أهل المشرق والمغرب، عُرف بــ "ابن المزيِّن" من أعيان فقهاء المالكية، توفي سنة (٦٥٦هــ)[٥].

اللتين كانتا بين رفح والعريش إلى أسوان، وعرضها من برقة إلى أيلة. ينظر: معجم البلدان (١٣٧/٥).

(٦) هي: الإسكندرية العظمى ببلاد مصر، وقد اُختلف في أول من أنشأها. ينظر: معجم البلدان (١٨٣/١).

(٧) هي: مدينة عظيمة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، وهي اليوم المدينة العظمى وبها دار الملك ومسكن الجند. ينظر: معجم البلدان(٣١٠/٤).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٧/٢٣)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٤١١/٤).

(٢) هي: قصبة الشام وجنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة مياه وفاكهة، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها، أي أسرعوا. ينظر: معجم البلدان (٤٦٣/٢).

(٣) هي: أم الدنيا وسيدة البلاد، وهي مدينة السلام، وأول من مصَّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبدالله بن محمد. ينظر: معجم البلدان (٤٥٦/١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٣٧/٢٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٣٠١/٨).

(٥) الديباج المذهب (٦٨)، ونفح الطيب لأبي العباس التلمساني (٦١٥/٢).

٤ــ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري، ولد بدمشق سنة (٥٧٤هــ) وقد وُصف بكثرة الترحال ، له اشتغال بالتاريخ أصيب بالفالج في أواخر حياته وتوفي سنة (٦٥٦هــ)، وقد سمع منه القرطبي قبل وفاته بمصر[٦].

جـ ـ تلاميذه :

تكاد كتب التراجم تُجمع على إغفال تلاميذ الإمام القرطبي فلم تذكر إلا العدد اليسير منهم وهم :

١ــ ابنه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القرطبي. قال السيوطي[٧]: وروى عنه – أي القرطبي – بالإجازة : ولده شهاب الدين أحمد وكان عالماً مشاركاً في الفنون"[١] .

٢ــ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي، العاصمي الغرناطي، الإمام الحجة، الحافظ، العلامة، شيخ القراء المحدثين بالأندلس، ولد سنة (٦٢٨هــ) وتوفي سنة (٧٠٨هــ) [٢]، لم يذكر مترجموه أنه تُلمذ لأبي عبدالله القرطبي وإنما ذكر ذلك صاحب الذيل والصلة[٣].

٣ــ إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد الخراستاني، ولد في رجب سنة (٦٣٩هــ) وكان يخدم في الدواوين مع جودة وحسن خلق، مات في المحرم سنة (٧٠٩هــ) [٤].

٤ــ ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف (بالسطريجي) ناوله القرطبي كتابه التذكرة، وكتب إليه بخطه ما نصه : ناولت جميع

---

(٦) سير أعلام البنلاء (٣٢٦/٢٣)، وتذكرة الحفاظ (١٤٤٤/٤).

(٧) هو: الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، له كتاب جمع فيه أربعة عشر علماً وسماه النقاية ثم شرحه وسماه إتمام الدراية، توفي سنة (٩١١هــ). ينظر: أبجد العلوم: (٥/٢).

(١) طبقات المفسرين للسيوطي (٩٢).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٤٨٤/٤)، والديباج المذهب (٤٢).

(٣) الذيل والصلة للمراكشي (٥٨٥/٥).

(٤) الدرر الكامنة لشهاب الدين العسقلاني (٤٥١/١).

هذا الكتاب ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي، المعروف (بالسطريجي) وأذنت له أن يناوله من شاء[1] .

ومن المؤكد أن للقرطبي تلاميذ غير هؤلاء ، إذ لا نتصور أن عالماً كالقرطبي لا يكون له تلاميذ إلا هؤلاء، فضلاً عن أن النواحي العلمية في العصر الذي عاش فيه كانت تعتمد على الدروس والمحاورات، وأن "منية بني خصيب" – البلد الذي استقر به القرطبي – كانت موئلاً للعلم والعلماء .

مكانته العلمية :

ذكر غير واحد من مؤرخي حياة الإمام القرطبي أن أوقاته كانت معمورة بين العبادة والتصنيف، وهذا شأن العلماء، وسمة العارفين الفضلاء، ويلمس القارئ لكتب القرطبي رحمه الله تعالى أنه كان كثير المطالعة، مُجدّاً في التحصيل، فحوى كثيراً من العلوم الشرعية و العربية واستفاد ممن سبقه من العلماء وتأثر بهم كثيراً ونقل عنهم ومن هؤلاء العلماء : الإمام الطبري[2]، والنحاس[3]، والثعلبي[4]، والماوردي[5]، وابن العربي، وابن عطية[6]، كما أنه أخذ عنه الكثير من العلماء من

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢٣٤).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد الإمام العَلم المجتهد أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة من أهل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ، صاحب جامع البيان في تفسير القرآن، توفي سنة (٣١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، ولسان الميزان لأحمد بن حجر (١٠٠/٥).

(٣) هو: إمام العربية أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، صاحب معاني القرآن، وإعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة (٣٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٠/١٥).

(٤) هو: الإمام الحافظ العلامة شيخ التفسير أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي صاحب كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن، توفي سنة (٤٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧). وطبقات المفسرين للداودي (١٠٦).

(٥) هو: الإمام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الشافعي ، صاحب كتاب النكت والعيون، توفي سنة (٤٥٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦٤/١٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١١٩/١).

(٦) هو: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي، صاحب كتاب المحرر الوجيز في التفسير ، توفي سنة (٥٤٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣٣/٢٠).

بعده وتأثروا به ونقلوا عنه كثيراً ، من أشهرهم أبو حيان[١]، وابن كثير[٢]، وابن عادل[٣]، والشوكاني[٤]. وغيرهم كثير ما زالوا ينهلون من هذا الكتاب العظيم، يستخرجون منه أنفس الفوائد، وأجمل الدرر المكنونة فيه .

وكما أثنى المؤرخون على الإمام القرطبي من الناحية الأخلاقية، أثنوا عليه من جهة ثقافته وعلومه، ومن أشهر من أثنى عليه من العلماء على سبيل المثال مايلي:

الإمام الذهبي[٥]: حيث قال: "العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح، فَرْح، الإمام القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور فضله. وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه، وله كتاب: الأسنى في الأسماء الحسنى، وكتاب: التذكرة وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة إطلاعه"[٦].

الصفدي[٧]: وصفه بقوله : "إمام متفنن، متبحر في العلم"[٨].

---

(١) هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف، شيخ النحاة في عصره وإمام المفسرين في وقته، صاحب كتاب البحر المحيط، توفي سنة (٧٤٥هـ). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٦٧/٣)، والدرر الكامنة (٥٨/٦)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٧٨/١) .

(٢) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام الفقيه المحدث، أبو الفداء عماد الدين ، حافظ ، مفسر، مؤرخ، فقيه، صاحب تفسير القرآن العظيم، توفي سنة (٧٤٤هـ) ينظر: معجم الذهبي (٥٦)، والدرر الكامنة (٤٤٥/١)، ومعجم المحدثين لابن قايماز الذهبي (١٩٨).

(٣) هو: عمر بن سراج الدين الحنبلي، أبو حفص، عالم في التفسير، صاحب كتاب اللباب في علوم الكتاب، توفي سنة (٨٨٠هـ)، ينظر: الأعلام (٥٨/٥).

(٤) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر فقيه، مجتهد من كبار علماء اليمن، صاحب تفسير فتح القدير، توفي سنة (١٢٥٠هـ). ينظر: الأعلام (٢٩٨/٦).

(٥) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله، الحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي، صاحب التصانيف السائدة في الأقطار، توفي سنة (٧٤٨هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٦٦/٥)، والبدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني (١١٢/٢).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤/٥٠).

(٧) هو: خليل بن أيبك بن عبدالله العلامة الأديب البليغ البارع صلاح الدين الصفدي، ولد بصَفَد، توفي سنة (٧٦٤هـ) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٠).

(٨) الوافي بالوفيات للصفدي (٨٧/٢).

ابن العماد الحنبلي[1]: حيث قال : "كان إماماً عَلَماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف جيّد النقل"[2].

الثا ً : آثاره ومـ لفاته :

كان للإمام القرطبي رحمه الله تعالى مصنفات وتآليف أثرت الحركة العلمية، ويرى المتمعن فيها أنَّ صاحبها ذو ذوق مرهف، وحس علمي نقي، ورقة نادرة في الفهم، وقوة بالغة في الحفظ، وقدرة عجيبة على التأليف بأنصع أسلوب، وامتازت مؤلفاته رحمه الله تعالى بتدوين كثيرٍ من الأحداث التارخية المصحوبة بنظراته الشخصية، وأومأ في غضون شرحه لآيات الكتاب العزيز إلى بعض الأحداث التاريخية، والقضايا الاجتماعية التي تقدم لنا طرفاً من معالم العصر الذي عاش فيه القرطبي رحمه الله تعالى .

ويمكننا أن نقسم آثار القرطبي إلى قسمين :

أ ـ الكتب المطبوعة :

١. الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّن من السنة وآي الفرقان. المعروف بتفسير القرطبي، ولا شك أنه أهم آثاره العلمية، وأنه ذو قيمة عالية بين كتب التفسير. قال فيه ابن فرحون[1]: "وهو من أَجلِّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه

---

[1] هو: عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد أبو الفلاح العكري الحنبلي، العالم الهمام المصنف الأديب، كان من آدب الناس وأعرفهم بالفنون المتكاثرة، توفي سنة (١٠٧٣هـ). ينظر: خلاصة الأثر للمحبي (٢/٣٤٠) .

[2] شذرات الذهب لابن العماد (٥/٣٣٥) .

[1] هو: إبراهيم بن علي بن محمد بن القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري، ولد بالمدينة ونشأ

القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"[٢] وقال ابن العماد الحنبلي : "التفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها وما أكثر فوائده"[٣]. وقال الذهبي فيه : "وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه"[٤]. وقال الإمام ابن تيمية[٥] فيه بعد أن ذكر تفسير الزمخشري[٦] : "وتفسير القرطبي خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع[١]"[٢].

٢. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. نقل كل ما تضمنه هذا الكتاب من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة وأضاف له تعقيبات[٣]، ذكره المصنف في تفسيره في مواطن كثيرة.

٣. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[٤]، وقد أشار القرطبي له في مواضع من تفسيره.

بهـا، توفي سنة (٧٩٩هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٥٣/١)، والأعلام (٥٢/١).

(٢) الديباج المذهب (٣١٧/١).

(٣) شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

(٤) تاريخ الإسلام (٧٥/٥٠).

(٥) هو: شيخ الإسلام علَم الزهاد، ونادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن تيمية، كان من بحور العلم، توفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٢٠/١).

(٦) هو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المفسر، يُلقب بجار الله؛ لأنه جاور مكة زماناً، توفي سنة (٥٣٨هـ). ينظر: لسان الميزان (٤/٦).

(١) البدعة هي: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال. ينظر: لسان العرب (٦/٨).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٨٧/١٣).

(٣) وهو مطبوع عدة طبعات، وقد حُقّق في رسالة علمية للطالب الصادق إبراهيم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٤) ضبط نصه وشرح مادته اللغوية عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة أ. د/ محمد حسين جبل وخرج أحاديثه وعلق عليه طارق أحمد محمد، وأشرف عليه وقدَّم له مجدي فتحي السيد، طُبع بدار الصحابة للتراث .

٤. التذكار في فضل الأذكار[٥]، لم يرد له ذكر في "الجامع لأحكام القرآن" وذكره القرطبي في "التذكرة" .
٥. قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذلّ السؤال بالكسب والصناعة[٦].
٦. الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام[٧].

ب ـ الكتب المخطوطة :

١. الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام. ذكره القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن" في موطنين: في تفسير سورة الصافات[٨] عند قوله تعـــالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠٧].

وأيضاً في تفسير سورة ص[١]عنـــد قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص: آية ٤٥].

٢. الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز. ذكره القرطبي عندما تحدّث عن ترك البسملة في سورة براءة [٢].
٣. أرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ وشرحها، نسبها إليه ابن فرحون، والداودي.
٤. منهج العبَّاد ومحجَّة السالكين والزّهاد، لم يذكره أحد ممن ترجم له، وذكره القرطبي في "تفسيره" في معرض الكلام على المفاضلة بين الفقير والغني[٣]، واستدلال بعضهم بقوله تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤] .

---

(٥) له عدة طبعات ولعل من أجودها ، طبعة دار البيان بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط.
(٦) وهو مطبوع بتحقيق مجدي السيد عن مكتبة الصحابة.
(٧) وهو مطبوع بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا عن دار التراث العربي بمصر.
(٨) الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١٥).
(١) المرجع السابق (٢١٧/١٥).
(٢) المرجع السابق (٢١٧/١٥).
(٣) المرجع السابق (٢١٧/١٥).

٥. المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس، لم يذكره أحد ممن ترجم له، وذكره المُصنِّف في مواطن عديدة من تفسيره" منها: عند تفسيره[٤] لقوله تعالى:﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

٦. اللمَّع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية، لم يذكره أحد ممن ترجم له، وورد له ذكرٌ مرتين في "التفسير" عند تفسيره[٥] لقوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وعند تفسيره[٦] لقوله تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٧] .

وهناك كتابان آخران ذكرا في تاريخ الأدب العربي وهما[١] :

١ــ رسالة في ألقاب الحديث[٢] .

٢ــ المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح[٣] .

---

(٤) المرجع السابق (٢١٧/١٥).

(٥) المرجع السابق (٢١٧/١٥).

(٦) المرجع السابق (٢١٧/١٥).

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢٧٦/٣) .

(٢) له نسخة خطية في مكتبة الجزائر تحت رقم (٣٧٧).

(٣) وهو: كتاب لغوي اختصر فيه القرطبي كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع المتوفى سنة (٥١٥هــ)، و كتاب الصحاح للجوهري المتوفى سنة (٣٩٣هــ) ، ويوجد بمكتبة بريل بليدن بهولندا، تحت رقم (٢٨٣).

ابعا ً : وفاته :

بعد أن استقر القرطبي بمصر قرابة ثمانية وثلاثين عاماً بعد رحلة طويلة بعد خروجه من مسقط رأسه من قرطبة بعد سقوطها عام ٦٣٣هـ، توفاه الله تعالى بمنية بني خصيب، وهي المعروفة اليوم بالمنيا، وكان ذلك ليلة الاثنين التاسع من شوال، سنة إحدى وسبعين وستمائة، وقبره معروف اليوم بمكان يُسمَّى "أرض سلطان" بالمِنيا، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته .

القسم الأول

منهج لإ ام القر بي في فسيره ومنهجه في الترجيح في التفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج الإمام القرطبي في تفسيره.

الفصل الثاني : منهج الإمام القرطبي في الترجيح في التفسير.

الفصـ الأول

منهج لإ ام القر بي في فسيره

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور .

المبحث الثاني : تفسيره القرآن باللغة .

المبحث الثالث : تفسيره القرآن بالرأي .

التمهيد

نص أكثر المفسرين في مقدماتهم على منهجهم الذي سيسيرون عليه في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، وهم مختلفون في ذلك ما بين مُقلٍّ ومُكثرٍ، ولربما ذكر البعض منهم قواعد عديدة ومقدمات متنوعة[١] .

وكذا الإمام أبو عبدالله القرطبي سار على هذا النهج فقد وضّح منهجه في مقدمة كتابه فقال: "فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه مُنَّتي[٢]، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها ومُبيّناً ما أُشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف، و عملته تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم رَمسِي[٣]، وعملاً صالحاً بعد موتي، قال الله تعالى : ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣] وقال تعالى : ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ [الانفطار: ٥] وقال رسول الله ﷺ : "إذا مات الإنسان انقطع عنه عملهُ إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له"[٤] [٥].

وتتلخص أسباب تأليف الإمام القرطبي لهذا الجامع في الأمور التالية :

---

(١) فمثلاً الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" ذكر عشر مقدمات أخذت مساحة جدُّ كبيرة تُقدَّر حوالي (١٢٠) صفحة. وعلى العكس منه ابن عادل الحنبلي في تفسيره "اللباب"، اكتفى بقوله : بعد الديباجة : "وبعد. فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته "اللباب في علوم الكتاب" ومن الله أسأل العون، وبلوغ الأمل، والعصمة من الخطأ والزلل" .

(٢) المُنَّة : بالضم : القوة، ينظر: مختار الصحاح للرازي (٢٦٥)، ولسان العرب (٤١٥/١٣) .

(٣) الرَّمس : الدفن، والقبر، فكل ما هيل عليه التراب فقد رمس. ينظر: لسان العرب (١٠١/٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٥٥/٣)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

(٥) مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩/١).

١ــ تفسير وبيان كلام الله تبارك وتعالى.

٢ــ الجمع بين معاني الآيات.

٣ــ تبيين ما أُشكل من الآيات بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف.

٤ــ الرد على أهل الزيغ والضلالات.

٥ــ ذكر أسباب نزول الآيات وبيان القراءات.

٦ــ تبيين أحكام القرآن مستدلاً عليها بأحاديث كثيرة شاهدة لمــا يذكره من أحكام.

٧ــ بيان الأوجه اللغوية والإعرابية.

٨ــ أنه عمله تذكرة لنفسه ، وذخراً له في قبره، وعملاً صالحاً بعد موته.

وأبرز سمات هذا الجامع التي نص عليها القرطبي في مقدمته[١] ما يلي:

١ــ إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها[٢] .

٢ــ لم يُكثر من ذكر الإسرائيليات وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لابد منه ولا غنىً عنه للتبيين.

٣ــ يبين آي الأحكام بمسائل تُسْفِر عن معناها وتُرشِد الطالب إلى مقتضاها.

٤ــ الآية التي تتضمن حكماً ضمنها مسائل يُبيِّن فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والقراءات والغريب من ألفاظ القرآن .

٥ــ الآية التي لم تتضمن حكماً يذكر ما فيها من التفسير والتأويل.

٦ــ يحتكم كثيراً إلى اللغة ويُكثر من الاستشهاد بأشعار العرب كما يتعرض لذكر الإعراب .

٧ــ تسميته لهذا الكتاب بالجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان .

---

[١] مقدمته في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩ــ٣٠).

[٢] لم يلتزم القرطبي بشرطه هذا فقد يترك ذلك في بعض المواضع .

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور

إن المتأمل في تفسير القرطبي ليدرك اهتمامه بتفسير القرآن بالمأثور من كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان، حيث قال في مقدمة كتابه في باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك: "والنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولاً ليُتقى به مواضع الغلط"[١] .

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن:

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أهم أنواع التفسير بالمأثور، إذ هو من أحسن طرق التفسير وأصحها[٢]، وهذا ما اهتم به القرطبي في تفسيره فقد ذكره في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال :

١. ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ ﴾ [التوبة: ٨٨] قيل: النساء الحسان؛ عن الحسن[٣]. دليله قوله عز وجل:﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴾ [الرحمن: ٧٠] [٤] .
٢. قوله تعالى : ﴿ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، هو مثل قوله : ﴿ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [الأنفال: ٦٠] [٥] .
٣. قوله تعالى : ﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ [يونس: ١٠٢] الأيام هنا بمعنى الوقائع؛ يقال: فلان عالم بأيام العرب أي

---

(١) مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٦٩/١) .
(٢) مقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١) .
(٣) هو: الحسن البصري، من سادات التابعين وأفتى في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، بالغ الفصاحة وبليغ المواعظ، كثير العلم بالقرآن ومعانيه، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١٣٩) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/٨) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/٨).

بوقائعهم. قال قتادة[1]: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والعرب تُسمي العذاب أياماً والنِّعم أياماً؛ كقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم:٥] وكل ما مضى لك من خير أو شر فهو أيام[2].

المطلب الثاني : عنايته بالقراءات :

يحتاج من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى إلى معرفة واسعة بعلم القراءات؛ وذلك لأنه أحد الأبواب المهمة التي يتوقف عليها في كثير من الأحيان معرفة معاني جملة من الآيات القرآنية، إذ أنَّ علم القراءات يُبيّن جانب الدلالة ، وإدراكاً من أبي عبدالله القرطبي لهذا العلم وأهميته فقد تلقاه في شبابه في بداية تعليمه على يد شيخه ابن أبي حُجَّة فقد قرأ عليه القراءات السبع، كما قال بعض مترجميه : "تلا بالسبع في بلده على أبي جعفر بن أبي حُجَّة"[3] واهتم بالقراءات غاية الاهتمام حيث اعتمد عليها في تفسيره وأشار إليها في مقدمته له، بأن يُضمِّنه نكتاً من القراءات فقال: "رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه مُنَّتِي بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات..." [4]، وقد وفَّى القرطبي بما ذكره في مقدمته لكتابه الجامع لأحكام القرآن فقد أخذ بنفس طويل في هذا الأمر، فما يذكر آية في تفسيره وفيها قراءة إلا ذكرها سواء كانت هذه القراءة متواترة أم شاذة، ويُوجّه القراءات، فكانت عنايته بقسميها جميعاً :

الأول : القراءات المتواترة[5] :

---

(١) هو: قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطاب البصري، أحد التابعين، أخذ القرآن ومعانيه فصار من حُفاظ أهل زمانه وعلمائهم. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١/١٤)، ومشاهير علماء الأمصار للبستي (١/٩٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٤٣).

(٣) الذيل والتكملة (٥/٥٨٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩).

(٥) هي: ما تواتر بسند صحيح عن النبي ﷺ ووافقت رسم المصحف العثماني وكان لها وجه في العربية. ينظر: طيبة النشر لابن الجزري (٣).

كان منهج القرطبي في القراءات المتواترة أنه يذكرها ويعتمدها؛ لأن كل قراءة من القراءات المتواترة بمنزلة آية مستقلة، فكان يثبتهما جميعاً، ويوجه كل قراءة فلا يردها ، ومن الأمثلة على ذلك في إثباته القراءات المتواترة وتوجيهها ما يلي:

١ـ قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [التوبة: ٩٨] ، قال القرطبي: "قرأه ابن كثير[١] وأبو عمرو[٢] بضم السين هنا وفي "الفتح"[٣] وفتحها الباقون. وأجمعوا على فتح السين في قوله : ﴿ مَاكَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ [مريم: ٢٨] . والفرق بينهما أن السُّوء بالضم، المكروه"[٤]. والسَّوء بالفتح مصدر من المساءة [٥].

٢ـ قول تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] . قال القرطبي: "وقرأ حمزة[٦] والكسائي[٧] "تشركون" بالتاء، وهو اختيار أبي عبيد[٨]

عبيد[٨]

---

(١) هو: أبو سعيد عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الإمام العلم مقريء مكة وأحد القراء السبعة، فارسي الأصل، يُكنى أبا عباد وقيل أبا بكر. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣١٨/٥).

(٢) هو: زبان بن العلاء بن عمار المازني أبو عمرو البصري: أحد القراء السبعة، كان من أهل الفضل ممن عنى بالأدب والقراءة حتى صار إماماً يُرجع إليه فيها ويُقتدى باختياره منها، توفي سنة (١٥٤هـ) بالبصرة. ينظر: مشاهير علماء الأمصار (١٥٣)، والثقات لابن حبان (٣٤٥/٦).

(٣) سورة الفتح آية (٦) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٤١/٨) .

(٥) لسان العرب (٩٩/١) .

(٦) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام القدوة شيخ القراء أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي الزيات، أحد القراء السبعة، من المتورعين في السر والإعلان، توفي سنة (١٥٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩٠/٧)، ومشاهير علماء الأمصار (١٦٨/١) .

(٧) هو: علي بن حمزة الكسائي الإمام أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي المقريء النحوي، أحد الأعلام، توطن في بغداد، وهو أحد القراء السبعة، توفي بالري سنة (١٨٩هـ) وقيل (١٩٢هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢١/١) ، والتاريخ الكبير (٢٦٨/٦) .

(٨) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد البغدادي مولى الأزد، اشتغل بالحديث والأدب والفقه وكان صاحب صاحب دين وسيرة جميلة ومذهب حسن، توفي سنة (٢٢٤هـ). ينظر: الكاشف (١٢٨/٢).

والباقون بالياء"[1].

٣ـــ قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [يونس: ٢٢]. قال القرطبي : "و"يُسَيِّركم" قراءة العامة. ابن عامر[2] "ينشركم" بالنون والشين، أي يبثكم ويفرقكم"[3].

٤ـــ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ ﴾ [يونس : ٨١] .قال القرطبي : "وقراءة أبي عمرو "آلسِّحرُ" على الاستفهام على إضمار مبتدأ والتقدير: أهو السحر. ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف، التقدير : السحر جئتم به"[4] .

أما إذا كانت إحدى القراءات المتواترة تفيد معنىً عاماً أو معنىً زائداً على معنى القراءة الأخرى فكان القرطبي يختارها ويقدمها على الأخرى ولا يرد القراءة الأخرى لثبوتها كما في المثال التالي :

قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] . قال القرطبي : "اختلف العلماء أيُّما أبلغ: مَلِك أو مَالِك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر.... قلت: وقد احتجّ بعضهم على أن مالكاً أبلغ؛ لأن فيه زيادة حرف فلقارئه عشر حسنات زيادة عن قراءة "مَلِك" قلت: هذا نظر إلى الصيغة لا إلى المعنى وقد ثبتت القراءة بـــ "مَلِك" وفيه من المعنى ما ليس في "مَالِك" على ما بينا.والله أعلم[5].

الثاني : القراءات الشاذة[6] :

كـــان منهج الإمام القرطبي في تفسيره وموقفه من القراءات الشاذة أنه كـــان

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/٨).

(٢) هو: عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم الإمام الكبير مقريء الشام وأحد الأعــلام أبـــو عمـــران اليحصبي الدمشقي توفي سنة (١١٨هـــ). ينظـــر: ســـير أعـــلام النـــبلاء (٢٩٢/٥)، والكاشــف (٥٦٤/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/٨).

(٤) المرجع السابق (٣٢٧/٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨٧/١) .

(٦) هي: كل قراءة صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، وخالفت رسم المصحف. ينظر: الإبانـــة لمكي القيسي (٦٣)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (٣٨١)، ومنجد المقرئين لابن الجزري (١٦).

يستعرض القراءات الشاذة ويحتج بها. ومن الأمور التي استعرض فيها القرطبي القراءات الشاذة واحتج بها ما يلي :

أ / نصرة بعض المذاهب والآراء الفقهية والأحكام. مثال ذلك قراءة عبدالله بن مسعود[١] "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" في كفارة اليمين آية المائدة.

والقراءة المتواترة هي ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ ﴾ [المائدة: ٨٩] بغير زيادة متتابعات. فقال القرطبي : "فيُقيِّد بها المطلق" وبه قال أبو حنيفة[٢] ...." [٣] وهو بذلك ينصر شرط التتابع في كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود.

ب / تبين بعض لغات قبائل العرب ولهجاتها مثال ذلك : قال القرطبي: "وقرأ يحيى بن وثّاب[٤] والأعمش[٥]: "نِستعين" بكسر النون،[٦] وهي لغة تميم[٧] وأسد[٨]
وأسد[٨]

---

(١) أخرجها ابن جرير الطبري (٧/٣٠) عن ابن مسعود وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما.

(٢) هو: النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي مولاهم، الإمام أبو حنيفة، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام وأحد الأئمة أصحاب المذاهب المتنوعة، أدرك عصر الصحابة، توفي سنة (١٥٠هـ) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٠/١٠٧) ووفيات الأعيان (٥/٤٠٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٦٥).

(٤) هو: يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة (١٠٣هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٩)، والكاشف (٢/٣٧٨).

(٥) هو: سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي مولاهم الكوفي، تابعي مشهور، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفي سنة (١٤٨هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٢٦)، ومشاهير علماء الأمصار (١١١).

(٦) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص(١) ونسبها لجناح بن حبيش.

(٧) هي: بطن من العدنانية وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت منازلهم بأرض نجد. ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٤٨٠).

(٨) هي: قبيلة عظيمة من العدنانية تُنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. نزار. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحّالة (١/٢١).

وقيس[١] وربيعة[٢]، ليدل على أنه من استعان ، فكُسرت النون كما تُكسر ألف الوصل"[٣] .

ج / التوجيه برد معناها إلى قراءة الجماعة مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩] . قال القرطبي : "برفع " تُسألُ" وهي قراءة الجمهور، ويكون في موضع الحال بعطفه على "بشيراً ونذيراً". والمعنى : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير مسؤول.... وقرأ ابن مسعود "ولن تُسألَ" وقرأ أبيّ "وما تُسألُ" ومعناهما موافق لقراءة الجمهور، نفى أن يكون مسؤولاً عنهم"[٤] .

د / تقوية قراءة الجماعة بها مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

قال القرطبي: "وقرأ ابن محيصن[٥]: "ويَشهدُ اللهُ على ما في قلبه" بفتح الياء والهاء في "يشهد" و"الله" بالرفع[٦]، والمعنى: يعجبك قوله، والله يعلمُ منه خلافَ ما قال. دليله قوله:﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] وقراءة ابن عباس "والله يَشهَدُ على ما في قلبه". وقراءة الجماعة أبلغ في الذم؛

---

(١) هي: بطن من آل عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، من العدنانية. كانت منازلهم بالبحرين. قضاعة من القحطانية. ينظر: جمهرة أنساب العرب (٣/٩٧٠) .

(٢) هي: حي من مضر من العدنانية وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر، ديارهم ما بين اليمامة والبحرين، ينظر: جمهرة أنساب العرب (٢/٢٩٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٩١) .

(٤) المرجع السابق (٢/٩٠) .

(٥) هو : محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، قارئ أهل مكة مع ابن كثير، توفي سنة (١٢٣هـ) ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٩٨) .

(٦) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة (١٢) .

لأنه قوّى على نفسه التزام الكلام الحسن، ثم ظهر من باطنه خلافُه. وقراءة أبيّ وابن مسعود: "ويَستَشهِدُ الله على ما في قلبه"[(١)] وهي حجة لقراءة الجماعة"[(٢)] .

هـ / لتقوية بعض آراء المفسرين أو ردِّها ومثال ذلك: قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بقراءة قطع الألف[(٣)]. قال القرطبي : وقال الطبري : المعنى في قوله : "فلما تبين له" أي: لما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً في قدرة الله عنده قبلَ عِيانه قال: أعلم. قال ابن عطية: وهذا خطأ لأنه ألزمه ما لا يقتضيه اللفظ وفسر على القول الشاذ والاحتمال الضعيف... وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف[(٤)]، ويحتمل وجهين: أحدهما: قال له الملك: اعلم، والآخر هو أن ينزّل نفسه منــزلة المخاطب الأجنبي المنفصِل... ثم قال القرطبي مرجحاً بعض آراء المفسرين بالقراءة الشاذة، وراداًّ أقوال الآخرين : "وفي حرف عبدالله ما يدل على أنه أمر من الله تعالى بالعلم، على معنى: الزم هذا العلم لما عاينتَ وتيقنتَ، وذلك في أن حرفه : " قيل اعلم"[(٥)] وأيضاً فإنه موافق لما قبله من الأمر في قوله : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ ﴾ و ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ و ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ ﴾ فكذلك و ﴿ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]" [(٦)] .

أما إذا كانت القراءة شاذة وأضِف إلى ذلك أنها ضعيفة المعنى وليس لها وجه في العربية فإن القرطبي يرغب عنها ولا يأخذ بها في مقام التفسير إلا إذا كان لهـــا معنى يتوافق مع القراءة المتواترة، مثل : "إياك" في الفاتحـــة[(٧)]. قـــال القرطبـــي: الجمهور من القراء والعلماء على شدّ الياء من "إيَّاك" في الموضعين، وقرأعمرو بن

---

(١) ذكرها ابن خالويه في المرجع السابق (١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣).

(٣) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (٢٨٢/١).

(٤) السبعة في القراءات (١٨٩)، والتيسير في القراءات السبع (٨٢) .

(٥) القراءات الشاذة لابن خالويه (١٦) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/٣) .

(٧) القراءات الشاذة لابن خالويه (١) ، وإعراب القرآن للنحاس (١٨٥/١).

فايد[1] بكسر الهمزة وتخفيف الياء، وذلك أنه كرِه تضعيف الياء، لثقلها وكون الكسرة قبلها، ثم قال القرطبي في ردّ هذه القراءة : وهذه قراءة مرغوب عنها...." [2] .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بالسنة :

يُعد تفسير القرآن بالسنة هو الطريق الثاني من طرق التفسير بالمأثور. فالرسول ﷺ هو أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله تعالى، وهذا البيان من مهام رسالته كما قال تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] ولما كانت هذه المهمة موكلة بالرسول ﷺ لزِمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن " فإذا قال الرسول ﷺ شيئاً لم يلتفت إلى قول غيره"[3] "ولأن ما صح عن النبي ﷺ لم يسع أحداً رده"[4]

وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله تعالى من رسوله ﷺ ، ولقد نهج القرطبي في تفسيره المأثور عن رسول الله ﷺ هذا المنهج فكان يقف عنده ، ويقتصر عليه في شرح اللفظ والآية، ولا يستعرض غيره من آراء المفسرين؛ لأنه لا مجال للاجتهاد والرأي مع النص. ويتضح ذلك في المثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشاق ٧ــ٨] فسر الحساب اليسير بأنه الذي لا مناقشة فيه. ثم قال: "كذا روي عن الرسول ﷺ من حديث عائشة[5] قالت : "قال رسول الله ﷺ من حُوسب يوم القيامة القيامة

---

(١) هو: أبو علي الأسواري البصري، توفي بعد المئتين. ينظر: طبقات القراء لأبي عبدالله الذهبي (٦٠٢/١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٠) .

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٤٤/١).

(٤) الناسخ والمنسوخ (٦٩١/١).

(٥) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، زوجة الرسول ﷺ ، كانت أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً، توفيت سنة (٥٧هـ) ودفنت بالبقيع. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٦/٨) ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٨٨١/٤).

فقد عُذِّب فقلت أليس قد قال الله تعالى:﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فقال: ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب"[1].[2]

وقد يستعرض القرطبي بعض آراء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى جانب ما ورد عن رسول الله ﷺ ، وفي هذه الحالة نرى القرطبي يُرجح المأثور عن النبي ﷺ ويقف بجواره ويرد ما يخالفه ويتضح ذلك في المثال التالي :

في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٨]. قال القرطبي: واختلف العلماء في المسجد الذي أسس على التقوى؛ فقالت طائفة: هو مسجد قباء؛ يروى عن ابن عباس[3] والضحاك[4] والحسن......... وروى الترمذي[5] عن أبي سعيد الخدري[6] قال: "تمارى رجلان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٨٥/٤) كتاب التفسير ، باب ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾، حديث رقم (٤٦٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٥/٤) كتاب الجنة، باب إثبات الحساب، حديث رقم (٢٨٧٦) واللفظ له .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٩).

(٣) هو: عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم الرسول ﷺ ، كان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه، توفي سنة (٦٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣١/٣)، وتذكرة الحفاظ (٤٠/١).

(٤) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، تابعي جليل، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، توفي سنة (١٠٥هـ) على الأرجح. يُنظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١٠/١).

(٥) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي أبو عيسى، الإمام الحافظ الحافظ البارع ولد سنة ٢٠٩هـ، صاحب الجامع الصحيح، توفي سنة (٢٧٩هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٦٣٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٣).

(٦) هو: سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري المدني، أبو سعيد الخدري ، من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة، توفي سنة (٧٤هـ). ينظر : الإصابة (٧٨/٣).

رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم؛ فقال رجل: هو مسجد قُبَاء، وقال آخر: هو مسجد النبي ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : "هو مسجدي هذا"[١].

ثم ساق القرطبي أدلة من قال أن المراد بالمسجد مسجد قباء ثم عقب بما يوضح منهجه فقال: "حديث أبي سعيد الخدري نص فيه النبي ﷺ على أنه مسجده فلا نظر معه"[٢]. وهكـــذا كـــان منهج الإمام القرطبي في التفسير بالمأثور عن الرسولﷺ يقف عنده ولا يتجاوزه إلى غيره .

المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم :

للصحبة منزلتها العظمى في الإسلام، وتفسير الصحابة من التفسير المعتمد المقبول؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم قد اجتمعوا بالرسول ﷺ ونهلوا من معينه الصافي، وشاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا أسباب النزول، ولهم من صفاء نفوسهم، وسلامة فطرتهم، وعلوّ منزلتهم في الفصاحة والبيان، ما يؤهلهم من الفهم الصحيح السليم لكلام الله تعالى. وقد قال النحاس: "إذا قال رجل من الصحابة شيئاً لم يُسمع خلافه إلا لصحابي مثله، ولاسيما وهم حاضروا التنزيل، والحاضر يعلم بمشاهدته الكلام ما لا يعلمه الغائب"[٣]. وقال ابن القيم[٤]: "ولا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوبُ من أقوال من بَعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع"[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٠/٥) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب مـــن ســـورة التوبـــة، حـــديث رقـــم (٣٠٩٩) . قـــال الشـــيخ الألبـــاني: صـــحيح. ينظـــر: صـــحيح ســـنن الترمذي(٢٤٩/٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/٨) .

(٣) القطع والائتناف للنحاس (٦٠).

(٤) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرعي الدمشقي أبو عبدالله شمس الدين، من أ ركـــان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وسُجن معـــه، تـــوفي ســـنة (٧٥١هــ) . ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٨٤) .

(٥) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (١٥٣/٤).

وقد اشتهر في التفسير من الصحابة عشرة هم[1]: الخلفاء الراشدون الأربعة وابن مسعود[2] وابن عباس، وأُبي بن كعب[3] وزيد بن ثابت[4] وأبو موسى الأشعري[5] وعبدالله بن الزبير[6] رضي الله عنهم أجمعين .

وقد اعتنى القرطبي بهذا النوع من التفسير اعتناءً كبيراً فلا يكاد يخلو تفسيره لآية من ذكر قول لصحابي أو من بعده من سلف الأمة. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ [التوبة: ٥٧] . قال القرطبي : "قال ابن عباس: المغارات: الغِيران والسراديب، وهي المواضع التي يستتر فيها؛ ومنه غارت الماء وغارت العين"[7].

٢ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾[التوبة: ١١٠].

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٤٩٣).

(٢) هو: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة، من كبار علماء الصحابة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، تولى الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه توفي سنة (٣٢هـ). ينظر: الإصابة (٤/٢٣٣)، والاستيعاب (٣/٩٨٧)، وأُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣/٣٩٤) .

(٣) هو: أُبي بن كعب بن قيس، أبو المنذر الأنصاري، صحابي جليل، سيد القراء، كان قبل الإسلام حبر من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، توفي سنة (٢١هـ). ينظر: الإصابة (١/٢٧)، والاستيعاب (١/٦٥)، وأسد الغابة (١/٧٨).

(٤) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، أحد كتاب الوحي ومن الراسخين في العلم من الصحابة، توفي سنة (٤٨هـ). ينظر: الإصابة (٢/٥٩٢)، والاستيعاب (٢/٥٣٧)، وأسد الغابة (٢/٣٣٢).

(٥) هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري، من فقهاء الصحابة، ومن الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحَكَمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ينظر: الإصابة (٣/٢١١)، والاستيعاب (٣/٩٧٩)، وأسد الغابة (٣/٣٧٦).

(٦) هو: عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي أبو بكر، فارس قريش في مكة، أول مولود بعد الهجرة الهجرة من خطباء قريش المعدودين. ينظر: الاستيعاب (٣/٩٥٠)، وأسد الغابة (٣/٢٤٥) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٤٩).

قال القرطبي : "قال ابن عباس : أي تتصدع قلوبهم فيموتوا"[1].

٣ـ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨] .
قال القرطبي : "قال ابن عباس: أي أمنعهم الإيمان. وقيل: قسِّها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان؛ والمعنى واحد"[2] .

٤ـ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].
فقال القرطبي : "قال ابن عباس : هو الغرق"[3] .

٥ـ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [يونس: ١٠٥] .
قال القرطبي : "وأقم وجهك. قال ابن عباس : عملك"[4] .

المطلب الخامس : تفسير القرآن بأقوال التابعين رحمهم الله:

لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة كان تفسيرهم لكتاب الله تعالى أحد طرق التفسير بالمأثور، وكما اشتهر بعض الصحابة رضوان الله عليهم بالتفسير، والرجوع إليهم لفهم بعض ما خفي من كتاب الله تعالى، كذلك فقد اُشتُهِر أعلام من التابعين بتفسير كلام الله تعالى فوضَّحوا ما خفي من معانيه. وقد اعتمد الإمام القرطبي في تفسيره على تفسير التابعين، ومن أشهر من ذكرهم في تفسيره ونقل عنهم هم : مجاهد بن جبر[5] والحسن البصري

---

(١) المرجع السابق (٨/٢٤٢).
(٢) المرجع السابق (٨/٣٣٣).
(٣) المرجع السابق (٨/٣٣٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٣٤).
(٥) هو: مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي، أبو الحجاج، صاحب التأويل والتفسير، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه. ينظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩).

وقتادة وسعيد بن جبير[1] وعبد الرحمن بن زيد[2] والربيع بن أنس[3] وأبو العالية[4] وعكرمة[5] وعطاء[6] والشعبي[7] وسعيد بن المسيب[8] والضحاك والضحاك وغيرهم كثير. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

---

(1) هو: سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبدالله، ثقة ثبت فقيه، روى عن ابن عباس فأكثر وجوَّد من عُبّاد المكيين وفقهاء التابعين، قتله الحجاج بن يوسف سنة (٩٥هـ) وله (٤٠) سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤)، ومشاهير علماء الأمصار (٨٢).

(2) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، مولى عمر بن الخطاب، صاحب قرآن وتفسير، توفي بالمدينة في أول خلافة هارون سنة (١٨٢هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١١)، والتاريخ الكبير للبخاري (٢٨٤/٥)، والفهرست لابن نديم (٣١٥/١) .

(3) هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري، عالم مرو في زمانه، لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر، هرب في زمن الحجاج ودخل مرو وسكن فيها، توفي في خلافة أبي جعفر سنة (١٣٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١٦/١).

(4) هو: رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية، مقرئ حافظ مفسر، من أعلم الناس بالقرآن في زمانه أخذ القراءة عرضاً عن أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، توفي سنة (٩٣هـ) على الصحيح. ينظر: مشاهير علماء الأمصار (٩٥/١)، وطبقات المفسرين للداودي (٩)، والكاشف للذهبي (٣٩٧/١) .

(5) هو: عكرمة بن عبدالله البربري المدني، مولى ابن عباس، أحد التابعين والمفسرين المكثرين، عالماً بالقرآن ومعانيه، توفي سنة (١٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١٢) .

(6) هو: عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم القرشي، نزيل مكة، أحد الفقهاء والأئمة فاضل من أساطين العلم، توفي سنة (١١٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧٨/٥)، ولسان الميزان (٣٠٥/٧).

(7) هو: عامر بن شراحيل الشعبي أبو بكر الهمداني، من الفقهاء في الدين وجُلَّة التابعين، علامة عصره وحافظ زمانه، توفي سنة (١٠٤هـ) ينظر: مشاهير علماء الأمصار (١٠١/١)، وطبقات ابن سعد (٢٤٦/٦) .

(8) هو: سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم الإمام العلم أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، توفي سنة (٩٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/٤)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٣/١)، ووفيات الأعيان (٣٧٥/٢).

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢] .

قال القرطبي : "والمراد بالحسنيين الغنيمة والشهادة، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما"[١] .

٢ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : ٧٩] .

قال القرطبي: "وهذا أيضاً من صفات المنافقين. قال قتادة : "يلمزون" يعيبون"[٢].

٣ــ ما ذكره أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ١١٠] .

قال القرطبي : "ريبة: أي شكاً في قلوبهم ونفاقاً؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك"[٣].

٤ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩] .

قال القرطبي :﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ أي حقيقة ما وعدوا في الكتاب؛ قاله الضحاك"[٤].

٥ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦] .

قال القرطبي : "قال قتادة : أي: الذين حق عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون"[٥] .

المطلب السادس: تفسير القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين :

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/٨).
(٢) المرجع السابق (١٩٦/٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢/٨).
(٤) المرجع السابق (٣١٠/٨).
(٥) المرجع السابق (٣٤٠/٨).

لقد نقل القرطبي في تفسيره بعد أقوال الصحابة والتابعين أقوال من بعدهم من تابعي التابعين أو من بعدهم فنقل عن المفسرين الذين سبقوه وأورد أقوالهم وتفسيرهم للآيات التي تعرض لتفسيرها: كالفراء[1]، والزجاج[2]، والطبري، والنحاس، والماوردي، وابن عطية، وابن العربي وغيرهم كثير.

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ــ ما نقله القرطبي عن الزجاج في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] في معنى "هار" في الآية، حيث قال القرطبي : "هار" ساقط، يقال: تهوَّر البناء إذا سقط، وأصله هائر، فهو من المقلوب يُقلب وتُؤخر ياؤها، فيقال: هارٍ وهائر، قاله الزجاج"[3].

٢ــ ما نقله القرطبي عن الفراء في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس: ٨٩] . حيث قال: "قوله تعالى : "فاستقيما" قال الفراء وغيره: أمرٌ بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه من دعاء فرعون وقومه إلى الإيمان، إلى أن يأتيهما تأويل الإجابة"[4].

٣ــ ما ذكره القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨] .

---

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة (٢٠٧هـ) وعمره (٦٧) سنة. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١١٨/١٠).

(٢) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، عالم بالنحو واللغة والتفسير، من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد، توفي سنة (٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٥٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٤١/٨).

(٤) المرجع السابق (٣٣٥/٨).

قال القرطبي : "وقال الطبري : خص قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب؛ وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين. وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان. قلت: قول الزجاج حسن"[1] .

(1) المرجع السابق (٨/٣٤١) .

المبحث لثاني : تفسيره لقرآن اللغة

تمهيد :

إن من أبلغ الأدلة على اهتمام القرطبي باللغة هو كتابه "المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح" ومن تأمل تفسيره الذي بين أيدينا، أدرك ما لهذا الإمام من علم غزير باللغة، وسعة فهم لمفرداتها ودلالات معانيها، وأدواتها، وإعرابها، وقد ضمنها تفسيره حيث قال في مقدمته : "رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه مُنَّتي بأن أكتب تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب...." [١]
ولقد أفاد القرطبي في اللغة والنحو وأبرز مصادرها، ونقل عنها، ومن أهمها ما يلي[٢]:

١ــ كتابيّ المجمل ومقاييس اللغة لابن فارس[٣] :

وقد نقل منهما القرطبي في تفسيره ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

أ / ما ذكره عن ابن فارس وأشار إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة:١٠]. قال القرطبي عنه : "قال ابن فارس اللغوي: المرض: كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر"[٤] .

ب/ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]. قال القرطبي : والسفك: الصب سفكت الدم أسفكه سفكاً: صببته ، وكذلك الدمع. حكاه ابن فارس والجوهري[٥]"[٦].

---

[١] مقدمة الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩).

[٢] القرطبي ومنهجه في التفسير (١٧٤).

[٣] هو: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة، توفي سنة (٣٩٥هــ). ينظر: وفيات الأعيان (١/١١٨)، وأبجد العلوم (٣/٦) .

[٤] الجامع لأحكام القرآن (١/٢٤٤) .

[٥] هو: إسماعيل بن حماد، أبو النصر الفارابي، مصنف كتاب الصحاح يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة (٤٠٠هــ). ينظر: السير لأبي إسحاق الفزاري (١٧/٨٠) .

[٦] الجامع لأحكام القرآن (١/٣١٧) .

٢ــ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري:

ولقد أفاد القرطبي من هذا الكتاب اللغوي كثيراً ونقل عنه ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

أ / ما نقله عنه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ ﴾ [التوبة: ٤٢] .

قال القرطبي : "قال الجوهري: الشّقة بالضم من الثياب، والشقة أيضاً السفر البعيد وربما قالوه بالكسر"[١] .

ب/ ما نقله عنه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩٥] .

قال القرطبي : "قال الجوهري: المأوى لكل مكان يأوي إليه شيئ ليلاً أو نهاراً"[٢].

ومما يدل على سعة علم القرطبي باللغة أنه لم يقتصر على النقل من هذه المصادر بل ناقش ابن فارس والجوهري وتعقبهما ومن الأمثلة على ذلك: ما تعقبهما به في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾ [البقرة: ٦٠]. حيث قا ل: "والحجر معروف، وقياس جمعه في أدنى العدد أحجار، وفي الكثير حِجار وحجارة؛ والحجارة نادر... كذا قال ابن فارس والجوهري. ثم قال معلقاً : وفي القرآن: ﴿ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ ﴾ [البقرة: ٧٤]. ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ ﴾ [البقرة: ٧٤]. ﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً ﴾ [الإسراء: ٥٠] ﴿ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ ﴾ [الفيل: ٤] ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ ﴾ [الحجر: ٧٤] فكيف يكون نادراً، إلا أن يريدا أنه نادر في القياس كثير في الاستعمال فصيح"[٣] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٤٠) .

(٢) المرجع السابق (٨/٢١١).

(٣) المرجع السابق (١/٤٥٨).

٣ــ الكتاب لسيبويه[١] : أشار إليه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة:٦٢][٢].

٤ــ كتاب المقتضب للمبرد[٣] : وقد نقل القرطبي عنه واستفاد منه كثيراً ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عنه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ﴾ [التوبة: ١٠٦] [٤] .

فبهذا يتضح قوة فهم القرطبي للغة وحرصه على تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتوضيحها بلغة العرب فبين معاني الكلمات، ومدلولاتها، وإعرابها، وإليك بيان هذا في المطالب التالية :

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات :

من يستعرض جامع القرطبي يجد فيه مباحث لغوية كثيرة حاول من خلالها أن يُوضح اللفظ القرآني وأن يبين مدلولاته فترى القرطبي يأخذ المعنى اللغوي للكلمة فيجعله أصلاً لمعاني الكلمات التي تقترب من هذه الكلمة في حروفها وذلك نقلاً عن أئمة اللغة وما تناقله العلماء عنهم مثال ذلك :

١ــ ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾ [التوبة: ٤٧] . فقال : "والإيضاع سرعة السير. وقال الراجز[٥] :

---

(١) هو : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، وسيبويه لقب فارسي ومعناه رائحة التفاح، توفي سنة (١٨٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٩٥/١٢)، ومعجم الأدباء (٤٩٩/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧٨/٨).

(٣) هو : محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد إمام العربية في بغداد في زمانه وأحد أئمة الأدب والأخبار، توفي سنة (٢٨٦هـ) . ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٩٥/١٢)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٤٩٩/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٨) .

(٥) هو : دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور، واسم الصمة معاوية، من الشعراء الفرسان المعدودين. ينظر: تاريخ مدينة دمشق لعلي بن الحسن (١٣١/١٧)، والإكمال لابن ماكولا (١٦٩/٦) .

يا ليتني فيها جـــذع   أَخُبُّ فيها وأَضَــع[1]

يُقال: وضع البعير إذا عدا، يضع وضعاً ووضوعاً إذا أسرع السير. وأوضعته حملته على العَدْوِ. وقيل: الإيضاع سير مثل الخبب[2]. والخلل الفرجة بين الشيئين؛ والجمع الخلال، أي الفُرج التي تكون بين الصفوف"[3] .

٢ــ وما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨] فقال: "يُقال: لَمَزَه يلمِزه إذا عابه. واللّمْز في اللغة العيب في السر. قال الجوهري: اللمز العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، وقد لمزه يلمِزه ويلمُزه..... ورجل لمّاز ولُمَزة أي عيَّاب. ويقال أيضاً : لمزه يلمزه إذا دفعه وضربه. والهَمْز مثل اللمز. والهامز والهمّاز العيَّاب، والهُمَزة مثله. يُقال: رجلٌ هُمَزة وامرأة هُمَزة أيضاً. وهَمَزه أي دفعه وضربه. ثم قيل: اللمز في الوجه، والهمز بظهر الغيب"[4] .

المطلب الثاني : عنايته بمعاني الحروف والأدوات :

وإن من ضمن اهتمام القرطبي بالجانب اللغوي في تفسيره عنايته بمعاني الحروف والأدوات والأمثلة كثيرة في تفسيره فمنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٣٧].قال القرطبي : "أنْ" مع "يفترى" مصدر، والمعنى: وما كان هذا القرآن افتراء؛ كما تقول : فلان يحب أن يركب، أي يحب الركوب...... وقيل: "أنْ"بمعنى اللام، تقديره : وما كان هذا القرآن ليفترى. وقيل: بمعنى لا، أي: لا يُفترى" [5].

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (١/١٦٠)، والأغاني للأصبهاني (٩/٧٣) .

(٢) هو : ضرب من العَدْو . وقيل: هو مثل الرَمل، وقيل: هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً. وقيل: هو أن يُراوح بين يديه ورجليه، وكذلك البعير. وقيل: الخبب: السرعة. ينظر: لسان العرب (١/٣٤١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٤٢).

(٤) المرجع السابق (٨/١٥٠) .

(٥) المرجع السابق (٨/٣٠٩).

٢ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾[يونس: ٣٨].

قال القرطبي : " "أم" ههنا في موضع ألف الاستفهام؛ لأنها اتصلت بما قبلها. وقيل: هي أم المنقطعة التي تُقدَّر بمعنى بل والهمزة؛ كقوله تعالى :﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ ﴾ [السجدة: ١ــ٣] أي: بل أيقولون افتراه. وقال أبو عبيدة[(١)] : أم بمعنى الواو، مَجازُه: ويقولون افتراه. وقيل: الميم صلة، والتقدير: أيقولون افتراه، أي : اختلق محمد القرآن من قِبل نفسه، فهو استفهام معناه التقريع"[(٢)] .

٣ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ ﴾ [يونس: ٦٦] . قال القرطبي : " "ما" للنفي، أي : لا يتبعون شركاء على الحقيقة، بل يظنون أنها تشفع أو تنفع. وقيل: "ما" استفهام، أي: أيّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً لفعلهم"[(٣)].

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب :

وإن من اهتمام القرطبي بالجانب اللغوي اهتمامه بجانب الإعراب وقد أكثر منه في تفسيره ويدل على ذلك اعتماده على أهم مصادر الإعراب مثل: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، فلذلك اهتم بالإعراب في تفسيره وذكره في مقدمة تفسيره: "أنه يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب...."[(٤)] ومن الأمثلة على ذلك :

١ــ تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [التوبة: ٦٩] .

قال القرطبي: "قال الزجاج : الكاف في موضع نصب، أي وعد الله الكفار نار جهنم وعداً كما وعد الذين من قبلهم.... وقيل: أي أنتم كالذين من قبلكم، فالكاف في

---

(١) هو: معمر بن المثنى ، أبو عبيدة التّيمي البصري، اللغوي الحافظ، صاحب التصانيف توفي سنة (٢٠٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٢٣٥/٥)، ومعجم الأدباء (٥٠٩/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/٨).

(٣) المرجع السابق (٣٢٢/٨) .

(٤) مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٢٩/١) .

محل رفع لأنه خبر ابتداء محذوف"[١] .

٢ـ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا ﴾ [التوبة: ٩٨].

قال القرطبي: "قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن ﴾ مَن في موضع رفع بالابتداء. ﴿ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا ﴾ مفعولان والتقدير "ينفقه" فحذفت الهاء لطول الاسم"[٢] .

٣ـ تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ﴾ [يونس: ٢٧]. قال القرطبي : "جزاء" مرفوع بالابتداء، وخبره "بمثلها" . قال ابن كيسان[٣]: الباء زائدة؛ والمعنى : جزاء سيئة مثلها. وقيل: الباء مع ما بعدها الخبر، وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه، والمعنى: جزاء سيئة كائن بمثلها؛ كقولك: إنما أنا بك؛ أي إنما أنا كائن بك. ويجوز أن تتعلق بجزاء، التقدير: جزاء سيئة بمثلها كائن، فحُذف خبر المبتدأ. ويجوز أن يكون "جزاءُ" مرفوعاً على تقدير فلهم جزاء سيئة؛ فيكون مثله قوله : ﴿ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ [البقرة: ١٨٤] [٤] .

٤ـ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ ﴾ [يونس: ٥٣] . قال القرطبي : "أحق" ابتداء. "هو" سدَّ مسد الخبر، وهذا قول سيبويه. ويجوز أن يكون "هو" مبتدأ و"أحق" خبره" [٥] .

٥ـ تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ ﴾ [يونس : ٨١] . قال القرطبي : "تكون "ما" في موضع رفع بالابتداء، والخبر "جئتم به" والتقدير: أي شيء جئتم به"[٦] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/٨) .

(٢) المرجع السابق (٢١٤/٨) .

(٣) هو: محمد بن أحمد بن كيسان، أبو الحسن النحوي اللغوي الإمام الفاضل، كان يحفظ البصـريين والكوفيين في النحو. ينظر: الوافي بالوفيات (٢٤/٢) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٠/٨).

(٥) المرجع السابق (٣١٥/٨) .

(٦) المرجع السابق (٣٢٧/٨) .

المطلب الرابع : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني :

نزل القرآن بلسان عربي مبين على لغة العرب ومن جنس أساليبهم، غير أنه فاقها روعة، وجمالاً، وإعجازاً؛ لأنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] والأسلوب العربي هو: الطريقة التي يصاغ بها الكلام لتؤدي المعاني المطلوبة في غرض صحيح، فالأسلوب هو: الألفاظ والجمل والتراكيب المتتابعة الدالة بالوضع اللغوي العربي على المعاني المترابطة المرادة من الخطاب.

ولقد اهتم القرطبي كثيراً بالأساليب العربية في بيانه لمعاني القرآن وتفسيره للخطاب القرآني، ومن الأمثلة على استعماله الأساليب البلاغية ما يلي :

١ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]. قال القرطبي: والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إما أن يكون شكاً أو نفاقاً، وإما جحداً أو تكذيباً. والمعنى : قلوبهم مرضى لخلوها عن العصمة والتوفيق ، والرعاية والتأييد"(١).

٢ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨]. قال القرطبي: "أي : صبغة الله أحسن صبغة، وهي الإسلام؛ فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسِمَته على المتديِّن، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"(٢) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١).

(٢) المرجع السابق (١٤٠/٢) .

المبحث لثالث : تفسيره لقرآن الرأي

يُعدُّ الإمام أبو عبدالله القرطبي من المفسرين الذين جمعوا بين الرواية والدراية، في براعة متناهية فهو إن جمع الروايات والآثار حول الآية الكريمة لم يكن هذا مكانه الذي ينتهي إليه، بل كان يُعمل فكره فيوجه الروايات ويتدبر الآيات، ويُرجِّح بين الآيات، متجنباً التأويل بالرأي المذموم وقد صدَّر كتابه قبل البدء في التفسير بـــ : "باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك".

وبيّن مفهوم كلام السلف في منعهم للتأويل بالرأي، ووجَّه أدلتهم بأن المقصود بكلامهم هو التأويل بالرأي المجرد عن الدليل ، فهذا لا يعمل به القرطبي، وينهى عنه، أما التفسير المبني على الأدلة والفهم والاستنباط وطول التأمل، فهذا هو الذي سلكه القرطبي حيث ذكر في مقدمته : "فإنّ من قال فيه بما سنَح في وَهْمه، وخطر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح"[١]. وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول : عنايته بالمناسبات :

إن من قرأ وتأمل في الجامع لأحكام القرآن فإنه يجد عناية الإمام القرطبي بمناسبة الآية أو الآيات لما قبلها وارتباط ذلك بمعنى الآية وبيانه، فهو يذكر اتصال الآيات في بعض الأحيان بما قبلها استنباطاً منه أو نقلاً عن غيره، ومن هذه الأمثلة ما يلي :

١ــ ما ذكره في مناسبة الآية بما قبلها استنباطاً منه في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧] ، حيث قال: "وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه"[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١) .

(٢) المرجع السابق (١٢٨/٦) .

٢ــ ما ذكره في مناسبة الآية لما قبلها نقلاً عن غيره من العلماء: في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥] ، حيث قال: "قال علماؤنا: وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التحذير مما يجب أن يحذر منه، وهو حال من تقدّمت صفته ممن ركَن في دينه إلى تقليد آبائه وأسلافه"[١] .

المطلب الثاني : عنايته بأسرار التعبير :

الاهتمام بنكت التعبير، وأسرار النظم لا يدركه إلا من تمعَّن في كتاب الله تعالى، لذلك أخبر سبحانه عن كتابه بقوله : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، فبيّن أن مقاصد إنزال هذا القرآن هو تدبره وتأمله، فالتدبر والتأمل فيه هو مفتاح العلم والعمل ولا يخفى على كل ذي لبٍّ وفهم أن المؤمن كلما أمعن النظر فيه تبين له من معانيه وأسراره وحكمه واستنباطه التي قل أن تجد مثلها فقد بيَّن سعة فهمه لمقاصد كتاب الله تعالى في مقدمته حيث قال في وصف هذا الكتاب العزيز : "الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباءَ مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وجعل أمثاله عِبراً لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام ، وفرَّق فيه بين الحلال والحرام، وكرَّر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقصَّ فيه غيب الأخبار...." [٢].

وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى دلائل في الآيات يستنبطها ويستخرجها بعد ذكره لمعناها العام دلالة على عنايته بأسرار التعبير. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ــ ما ذكره من أسرار التعبير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] قال: "وحسبك بالقلوب وما ذُكر فيها من العقول، وخُصَّت به من أنواع المعاني والفنون بالألسن والنطق، ومخارج الحروف، والأبصار

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٧١) .

(٢) المرجع السابق (١/٢٧).

والأطراف وسائر الجوارح، وتأتّيها لما خُلقت له، وما سُوّيَ في الأعضاء، من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسا[1] شيء منها جاء العَجْز ، وإذا استرخى أناخ الذُّل ، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]" [2].

٢ــ ما ذكره من استنباط يدل على عنايته بأسرار التعبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

قال القرطبي : "في هذه الآية دليل على أن كل شيء ابتدئ بنيّة تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويَسْعَد به صاحبه ويصعد إلى الله ويُرفع إليه، ويخبر عنه بقوله :﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] على أحد الوجهين. ويخبِر عنه أيضاً بقوله: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ [الكهف: ٤٦] [3] .

---

[1] جسا: ضد لطف، وجَسَا الرجُل: صلُب. ويدٌ جَاسِية: يابسة العظام قليلة اللحم. وجَسَا الشيخ جَسواً: بلغ غاية السن. وجَسَا الماء: جَمُد . ودابة جَاسِية القوائم: يَابِستُها. ينظر: لسان العرب (١٤/١٤٥) .

[2] الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٨) .

[3] المرجع السابق (٨/٢٤١) .

الفصل الـ ـاني

منـ ـج الإمـ م القـ طبي في لـ ـجيح في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي.

التمهيد

معنى الترجيح :

الترجيح لغة: قال ابن فارس: "الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح ، إذا رزن"[١] .

ورجح الميزان يرجَح ويرجُح رجحاناً فيهما أي : مال، وأرجح له ورجح ترجيحاً أي : أعطاه راجحاً[٢] .

فالمعنى العام الذي تدور حوله كلمة "رجح" جعل الشيء راجحاً أي : فاضلاً زائداً.

وفي الاصطلاح عند الأصوليين: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل[٣].

والمراد بالترجيح في التفسير تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوّيه، أو لتضعيف غيره من الأقوال .

معنى الاختيار :

الاختيار في اللغة: قال ابن فارس: "الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يُحمل عليه؛ فالخير: خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميلُ إليه ويعطفُ على صاحبه"[٤].

فخار واختار وتخيّر وما ألحق بها يراد بها في اللغة الانتقاء والتفضيل والجودة، وتخيّر الشيء: اختاره، وخار الشيء واختاره: انتقاه[٥] .

والاختيار عند المفسرين هو : الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية بدليل، مع تصحيح بقية الأقوال.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٨٩/٢) .

(٢) مختار الصحاح (٩٩/١) .

(٣) شرح الكوكب المنير للفتوحي (٦١٦/٤)، والتحبير شرح التحرير في أصول الفقه لعلاء الدين المرداوي (٤١٤١/٨)، والبحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي (١٣٠/٦) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٣٢/٢) .

(٥) لسان العرب (٢٦٤/٤) .

وبعد عرض الترجيح والاختيار يتضح أن بين الاختيار والترجيح عموم وخصوص فكل اختيار ترجيح، لا العكس؛ لأن الترجيح يشمل الاختيار وغيره، كرد الأقوال الضعيفة، والشاذة ، وترجيح أحد الأقوال المتضادة .

أما الاختيار فهو في صورة واحدة وهي تقديم الأولى من أقوال المفسرين مع تصحيح عامة الأقوال، وهكذا كان منهج القرطبي في تفسيره، إما ترجيح بأحد صيغ الترجيح وإما اختيار قول على غيره من الأقوال .

متى يكون الترجيح والاختيار ؟

إنّ طلب أصح الأوجه في تفسير كلام الله تعالى من أهم مقاصد طلب العلم وتحصيله، ودراسة التفسير خاصة، لذلك مما ينبغي العلم به، العلم بالتفسير الذي اتفق عليه العلماء، وأجمع عليه أهل الأمصار والأعصار، ولكن قد يقع الخلاف في تفسير بعض الآيات ويتطلب هذا الاختلاف ترجيح واختيار ، إذ أن الترجيح والاختيار لا يكون إلا في الآيات التي وقع الخلاف في تفسيرها؛ لأن ما لم يقع فيه خلاف فهو خارج عن موضوع البحث، وهذا الخلاف لا يخلو من أربعة أنواع هي[(١)]:

١ــ أن تكون جميع الأقوال مُحتَملة في الآية، ومن نصوص القرآن والسنة ما يشهد لكل واحد منها، ولا دليل على تقديم بعضها أو ترجيحه، فتكون في هذا النوع جميع الأقوال حق ولا يدخلها ترجيح لكونها صحيحة وجميعها مراد من الآية، وهذا النوع خارج عن موضوع هذا البحث إذ يستقيم حمل الآية على كل قول منها، وليس بعضها أولى من بعض. ومنهج القرطبي في مثل هذا أن يصحح الأقوال جميعها، وهذا واضح من منهجه حيث يجمع بين كثير من الأقوال ويصححها لقوة أدلة كل قول فيقبلها كلها، لاحتمال جميع ما قيل فيها فكان يقول المعنى متقارب[(٢)].

٢ــ أن تكون الأقوال المختلفة مُحتملة في تفسير الآية غير أن بعضها أولى من بعض لحجة تدل على ذلك.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٢٠ــ٢٧١ــ ٢٨٠ــ ٢٩٩) .

٣ــ أن يكون الخلاف من قبيل خلاف التضاد يتعذر معه حمل الآية على الأقوال مجتمعة.

٤ــ أن يقوم الدليل على رد بعض الأقوال وتضعيفها.

والأنواع الثلاثة الأخيرة هي محل هذا البحث؛ إذ لا يمكن العمل فيها بجميع الأقوال مطلقاً .

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي

وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح :

تُعدّ هذه الطريقة هي الأساس والأشهر من بين طرق الترجيح عند المفسرين، وإذا ذُكرت طرق الترجيح وصيغه في الدلالة على القول الراجح فهي في الصدر من ذلك، وتعني هذه الصيغة النص على الصواب وما في معناه.

وللتنصيص على القول الراجح عند الإمام القرطبي مراتب وهي :

١ــ التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال مثل :

الصحيح[١]، وهو الصحيح[٢]، وهذا هو الصحيح[٣]، والصحيح الأول[٤]، وهو الصحيح في الباب[٥]، عليه جمهور أهل العلم وهو الصحيح[٦]، والصحيح في معنى الآية[٧].

٢ــ التنصيص على تحسينه قولاً وتفضيله على غيره:

وهذه الصيغة ظاهرة في الدّلالة على الاختيار والترجيح؛ إذ هي تنصّ على أفضلية قول على آخر، ولا شك أن الأفضل دائماً مقدّم . مثل :

القول الأول أصح[٨]، وهو الأصح[٩]، وهو أحسن[١٠]، قول حسن[١]، والأول والأول

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٣٧، ١٦٣ ٢٦٣) .

(٢) المرجع السابق (٨/١٤٧، ٣١٠، ٣١٢) .

(٣) المرجع السابق (٨/١٧٢، ٢٥٦) .

(٤) المرجع السابق (٨/١٦٧، ، ٣٠٢) .

(٥) المرجع السابق (٨/٢٩٨).

(٦) المرجع السابق (٨/١٧٦) .

(٧) المرجع السابق (٨/١٣٧).

(٨) المرجع السابق (٨/١٦١ــ١٧٢ــ١٩٩ــ٢٠٢ــ٢٢٨ــ٢٣٩ــ٢٦٤ــ٣٠٦ــ٣٣٠) .

(٩) المرجع السابق (٨/١٧٤-٢٧٥).

(١٠) المرجع السابق (٨/١٩٤) .

أظهر[٢]، وهو أظهر[٣]، والظاهر الأول[٤]، وهو ظاهر الآية[٥]، وهو أجود[٦]، وهو أولى[٧]، وهو أبين[٨]، والأول أصوب[٩]، وهو أولى بالصواب[١٠] .

٣ــ التنصيص على العموم وتصدير القول الراجح بعبارة تدل على رجحانه أو اختيار جمهور المفسرين له مثل:

وهو قول أكثر أهل العلم[١١]، قول جمهور العلماء[١٢]، فالآية تعم الكافر وغيره[١٣]، والخطاب للعرب في قول الجمهور[١٤]، قال أكثر المفسرين[١٥] .

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره :

والمراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح فيما عداه من الأقوال المردودة، فإذا قام الدليل على ردّ بعض الأقوال فالصواب منحصر فيما عداها، فإن الترجيح يكون بالنص على صواب قول وصحته، ويكون أيضاً بردّ بعض الأقوال الواردة في الآية المفسّرة، وإن لم ينص المفسّر على اختياره وترجيحه.

---

(١) المرجع السابق (٢٦٥/٨-٣٤١) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/٨-٣١٢) .
(٣) المرجع السابق (٣٣٢/٨) .
(٤) المرجع السابق (٢٤٢/٨).
(٥) المرجع السابق (٢٧٠/٨).
(٦) المرجع السابق (٢٨١/٨).
(٧) المرجع السابق (٢٠٤/٨ــ ٣٠٥).
(٨) المرجع السابق (٢٦٧/٨).
(٩) المرجع السابق (٢٧٣/٨ــ٢٧٤).
(١٠) المرجع السابق (٢٧٧/٨).
(١١) المرجع السابق (١٩٤/٨).
(١٢) المرجع السابق (٢٢٥/٨) .
(١٣) المرجع السابق (٢٨٦/٨).
(١٤) المرجع السابق (٢٧٣/٨) .
(١٥) المرجع السابق (٣٣٠/٨).

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء بل لقد حكى ابن عبد البر[١] الإجماع على مضمونها وبقوله : "ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أن المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما، أن الحق في الوجه الآخر ، وأنه مستغنٍ عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده"[٢] .

وصيغ هذه الطريقة عند القرطبي هي :

١ـــ ما يكون صريحاً في النص على التضعيف، بأن يكون فيه لفظ الضعف وما في معناه مثل : وذلك ضعيف[٣].

٢ـــ ما لم يكن صريحاً في النص على التضعيف ، بأن يذكر عبارة في سياقه للقول المرجوح تدل على ضعفه، كقوله :

وهذا فيه نظر[٤]، وهذا يرده حديث ..... [٥]، وهذا لا ينبغي أن يُعوَّل عليه[٦].
عليه[٦].

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض:

وهذه الصيغة في الترجيح معروفة مستعملة عند العلماء فإن الاعتماد على قولٍ ما، أو حكايته بصيغة الجزم، وهي الألفاظ المبنية للفاعل، كقال، وروى، وذكر، دليل على ترجيحه، وهكذا حكاية القول بصيغة التمريض، وهي الألفاظ المبنية للمفعـــول،

---

(١) هو: الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي المالكي، مؤرخ أديب ، من من كبار حفَّاظ الحديث، توفي سنة (٤٦٣هـ). ينظر: طبقات الحفاظ (٤٣٢/١) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٩٩/٢٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/٨).

(٤) المرجع السابق (/١٨٥) .

(٥) المرجع السابق (٢٢٥/٨).

(٦) المرجع السابق (١٥٨/٨).

كرُوي، وقيل، وذُكر وما في معناها دليل على تضعيفه. وهذه الطريقة اصطلح العلماء من أهل الحديث على العمل بها في التصحيح والتضعيف[1] .

وهي ظاهرة في الدلالة على الترجيح والاختيار غير أنها ليست في قوة الصيغ السابقة التي تنصّ على صحة القول الراجح أو ضعف القول المرجوح.

وقد أكثر الإمام القرطبي من هذا النوع، حيث صدّر القول الأول بصيغة الجزم وغيره من الأقوال بصيغة التمريض في مواضع متفرقة، لكنه لا يُعتبر ذلك ترجيح منه في جميع المواضع فقد يذكر القول بصيغة التمريض وهو أقوى وأرجح من القول الذي ذكره بصيغة الجزم ومثال ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧]. فقال القرطبي : "أي: في وقت العسرة، والمراد جميع أوقات تلك الغزاة ولم يُرِد ساعة بعينها. وقيل: ساعة العسرة أشدّ الساعات التي مرّت بهم في تلك الغزاة"[2].

وقد يذكر القول بصيغة التمريض ويكون مساوياً للقول الذي ذكره بصيغة الجزم ومثال ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس: ٢٨]. فقال القرطبي: "عنى بالشركاء الملائكة. وقيل: الشياطين، وقيل: الأصنام"[3].

---

(١) الباعث الحثيث لابن كثير (٨٦)، وتدريب الراوي للسيوطي (١/٩٠)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/٣٢٦) وغيرهم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٥٣).

(٣) المرجع السابق (٨/٣٠٠) .

المبحث لثاني : وجوه الـ جيح ع د ا مام الـ رطبي

وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية :

والمراد الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية، وهذا الوجه من أوجه الترجيح المعتمدة عند العلماء التي قرروها، واستدلوا بها عند الاختلاف، إذ قرروا أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[1].

وقد سبق أن تفسير القرآن بالقرآن يُعدّ أصح طرق التفسير، وأحسنها، ذلك أنه ما أجمله في مكان فقد فسَّره في موضع آخر، وما اختصره السيَّاق في مكان فقد بسطه في موضع آخر وليس أحد أعلم بمعنى كلام الله تعالى من الله عز وجل[2].

وقد اعتنى الإمام القرطبي عناية بهذا النوع من التفسير فقد استعمله في الترجيح بين الأقوال واختيار القول الذي تؤيده آيات من القرآن وتقديمه على غيره من الأقوال ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ــ تفسيره لقوله تعالى :﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١١٧] حيث قال: "واختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبيﷺ والمهاجرين والأنصار على أقوال؛ فقال ابن عباس : كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود؛ دليله قوله:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] وعلى المؤمنين من ميل قلوبهم بعضهم إلى التخلف عنه...." ثم ذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض[3].

٢ــ تفسير قوله تعالى :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس : ١] . حيث قال: "أي : تلك التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم. قال مجاهد وقتادة : أراد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة... والمراد القرآن وهو أولى بالصواب؛ لأنه لم يجر

---

[1] قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

[2] مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٣).

[3] الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣/٨).

للكتب المتقدمة ذكر؛ ولأن "الحكيم" من نعت القرآن. دليله قوله تعالى : ﴿ الۤرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود : ١] [1].

٣ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [يونس: ٤٥] . حيث قال: "وقيل: يبقى تعارف التوبيخ؛ وهو الصحيح لقوله تعالى :﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ [سبأ : ٣١-٣٣] وقوله :﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ ﴾ [الأعراف: ٣٨] الآية، وقوله :﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] الآية[2].

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن :

الترجيح بظاهر القرآن من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد قرروا أنه لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل يجب الرجوع إليه. كما قرروا أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ على صاحبه[3]، وقد اعتمد الإمام القرطبي دلالة ظاهر اللفظ في ترجيحه بين الأقوال وتقديم ما دلّ عليه ظاهر التنزيل ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ ﴾ [التوبة: ١٠٩] حيث قال القرطبي: "واختلف العلماء في قوله تعالى : "فانهار به في نار جهنم" هل ذلك حقيقة أو مجاز على قولين، الأول: أن ذلك حقيقة............ والثاني: أن ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/٨).
(٢) المرجع السابق (٣١٢/٨) .
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١).

مجاز...... والظاهر الأول، إذ لا إحالة في ذلك"[1].

٢ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [التوبة : ١٢٣] حيث قال القرطبي: "وقال ابن زيد: المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم .... وقد رُوي عن ابن عمر أن المراد بذلك الديلم... وقال الحسن: هو قتال الديلم والترك والروم. وقال قتادة: الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى. قلت : قول قتادة هو ظاهر الآية"[2].

المطلب الثالث: الترجيح بالسياق القرآني:

دلالة السياق هي: دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه، ويطلق على سابق الكلام سِباق، وعلى لاحقه لَحاق، وعليهما جميعاً سياق[3]. والترجيح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد قرروا أن الأولى بالآية أن تدخل في معنى ما قبلها وما بعدها، إذا كانت في سياق واحد[4]. ولقد اعتنى الإمام القرطبي ببيان دلالة سياق الآيات على أصح المعاني في تفسيره للقرآن ومن الأمثلة على ذلك:

١ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤] ، حيث قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ خبر وليس بأمر. ويدل على أنه خبر أن ما بعده ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ لأنهم كفروا عناداً.... وقال الزجاج: معناه لتحذَر، فهو أمر، كما يقال: يفعل ذلك"[5].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢/٨).

[2] المرجع السابق (٢٧٠/٨).

[3] دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير لعبد الحكيم القاسم (٦٢/١) .

[4] قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

[5] الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٨).

٢ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١] ، حيث قال القرطبي : "والمراد القرآن فهو أولى بالصواب؛ لأنه لم يجر للكتب المتقدمة ذكر"[١].

٣ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] . حيث قال القرطبي: " فهذا في الإيمان والكفر، ليس في الأعمال . وقال بعضهم : إن الكفر تغطية الحق، وكل ما كان غير الحق جرى هذا المجرى ؛ فالحرام ضلال والمباح هدى؛ فإن الله هو المُبيح والمُحرّم. والصحيح الأول؛ لأن قبل ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] ثم قال: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[يونس: ٣٢] أي: هذا الذي رزقكم ، وهذا كله فعله هو"[٢].

المطلب الرابع : الترجيح بالقراءات :

إنّ من وجوه الترجيح المعتبرة عند العلماء الترجيح بالقراءات في الآية أو الكلمة، وقد اعتمد الإمام أبو عبدالله القرطبي الترجيح بالقراءات لبيان معنى كثير من الآيات، والأحكام المتعلقة بها، مما يعين على فهم المعنى المراد من الآية ، وقد رجَّح القرطبي بالقراءات بقسميها.

١ــ القراءات المتواترة :

إذا كانت إحدى القراءات المتواترة تُفيد معنىً أوسع، أو عام، أو معنىً زائداً على معنى القراءة الأخرى، فكان القرطبي يختارها ويُرجّحها على الأخرى ويقدمها ولا يرد القراءة الأخرى؛ لأنها ثابتة كما في المثال التالي :

قوله تعالى﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] قال القرطبي : اختلف العلماء أيُّهما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، ..... ثم قال: واحتج بعضهم على أن مالكاً أبلغ؛ لأن فيه زيادة حرف فلقارئه عشر حسنات زيادة عن قراءة "ملك" قلت: هذا نظر إلى الصيغة، لا إلى المعنى وقد ثبتت القــراءة

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/٨).
(٢) المرجع السابق (٣٠٢/٨).

بـــ "ملك" وفيه من المعنى ما ليس في "مالك" على ما بيّنا . والله أعلم[١] .

٢ــ القراءة الشاذة :

لقد كان القرطبي يستعرض القراءات الشاذة ويحتج بها لأمور كثيرة، ومن الأمثلة على ذلك : قراءة عبدالله بن مسعود "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"[٢] في كفارة اليمين آية المائدة. والقراءة المتواترة هي ﴿ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] بغير زيادة متتابعات . فقال القرطبي : "فقيد بها المطلق، وبه قال أبو حنيفة...." [٣] ينصر شرط التتابع في كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود.

المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي :

ومن القواعد التي اعتمد عليها العلماء في ترجيحهم بين الأقوال، وموازنتهم بين المسائل "الحديث الثابت"[٤]. ومعرفة الحديث وأقسامه، وأنواعه، وما يُحتجُّ به، وما لا يُحتجُّ به فهذه أمور لابد أن يعرفها كل من يفسر كتاب الله، ومن هؤلاء العلماء الإمام القرطبي فقد كان له قدم السبق في هذا الفن حيث جعله شرطاً في كتابه فقال : "وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطّلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يُقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال، حتى يضيفه إلى من يخرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء المسلمين. ونحن نشير إلى جُمل من ذلك في هذا الكتاب والله الموفق للصواب"[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢١٦/١).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٣٠/٧) عن ابن مسعود وأُبيّ رضي الله عنهما .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٤) .

(٤) الحديث الثابت : يدخل تحته الصحيح بنوعيه، والحسن بنوعيه.

(٥) مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٢٩/١).

وقد خرَّج الإمام القرطبي الأحاديث من مظانِّها وحكم عليها، فكان مُلمّاً بالحديث وعلومه وكل ما يتعلّق بهذا الفن. ومن المقرر عند العلماء أنه إذا ثبت الحديث عن النبي ﷺ وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره، كما أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مُرجِّح له على ما خالفه[1]؛ لأن الرسول ﷺ هو المُبين لهذا القرآن وهو أعلم الناس به ﷺ . ولقد كان الإمام القرطبي واحداً من هؤلاء العلماء الذين لا يتجاوزون حديث رسول الله ﷺ . بل رجَّح به كثيراً إذا ثبت عنده. ومن الأمثلة على ذلك :

١ــ ما ذكره من اختلاف العلماء في إزالة النجاسة من الأبدان والثياب عند قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ [التوبة: ١٠٨] . فقد رجَّح أن إزالة النجاسة واجب فرض. حيث قال القرطبي : "واختلف العلماء من هذا الباب في إزالة النجاسة من الأبدان والثياب... على ثلاثة أقوال: الأول: أنه واجب فرض، ولا تجوز صلاة من صلّى بثوب نجس عالماً كان بذلك أو ساهياً... وقالت طائفة: إزالة النجاسة واجبة بالسنة من الثياب والأبدان، وجوب سنة وليس بفرض.... وقال ابن القاسم[2]: تجب إزالتها في حالة الذكر دون النسيان .... والقول الأول أصح إن شاء الله؛ لأن النبي ﷺ مرَّ على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله[3]"[4] .

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٩٠).

(٢) هو: أبو عبدالله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء الفقيه المالكي، جمع بين الزهد والعلم ، وتفقه بالإمام مالك، توفي سنة (١٩١هـ). ينظر : وفيات الأعيان (٣/١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٨٨) كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، حديث رقم (٢١٣) وأخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٤١) كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه. حديث رقم (٢٩٢) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٣٩).

٢ــ ما رجَّحه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ [التوبة: ١١٨] . قال القرطبي: "حُكي عن محمد بن زيد[١] معنى "خُلِّفوا" تُركوا؛ لأن معنى خلّفت فلاناً تركته وفارقته قاعداً عما نهضت فيه ..... وقيل : "خُلِّفوا" أي أُرجئوا وأُخّروا عن المنافقين فلم يُقض فيهم بشيء .... وهذا هو الصحيح لما رواه مسلم[٢] والبخاري[٣] وغيرهما. واللفظ لمسلم قال كعب: كُنَّا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه؛ فبذلك قال الله عز وجل : "وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا" وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا تَخَلُّفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا ممن حلف له واعتذر إليه فَقَبِل منه"[٤] .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول :

لقد قرر الأئمة الأعلام من أنَّ أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح[٥]، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم فيها، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النــزول الصحيح الصريح في السببية، وقرروا أن القول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على ما ليس كذلك[٦].

ولقد اعتمد الإمام القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح واستدل به على تصحيح بعض الأقوال في التفسير ومن ذلك ما رجحه في قوله تعالى :﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ

---

(١) هو: محمد بن زيد الواسطي، العالم الفاضل المحقق، أبو عبدالله المفسر، صنف في إعجاز القرآن، توفي سنة (٧٠٦هــ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٦٢/١) .

(٢) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسن النيسابوري، الإمام الحافظ ، صاحب الصحيح. ينظر: وفيات الأعيان (١٩٤/٥)، وتذكرة الحفاظ (٥٨٨/٢).

(٣) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري، صاحب الصحيح. ينظر: تذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) ، الثقات (١١٣/٩) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/٨) .

(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٤٧).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤١/١).

عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢]. قال القرطبي : "وسبب النزول فيما رُوي عن ابن عباس: أن الكفار قالوا لما بُعث محمد: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب؛ فنــزلت : "للناس"[١] يعني أهل مكة عجباً. وقيل: إنما تعجبوا من ذكر البعث"[٢].

فرجَّح القول الأول الذي تضمنه سبب النزول وهو أن الأمر الذي تعجب منه أهل مكة أن يكون الرسول ﷺ من البشر ثم ذكر القول الآخر الذي تعجبوا منه بصيغة التمريض .

المطلب السابع : الترجيح بأقوال السلف :

من المتفق عليه عند العلماء أن أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من القرون الثلاثة الأولى المفضلة هم المشهود لهم بالإمامة في العلم والدين مقدم على قول غيرهم، وهي من وجوه الترجيح المعتمدة عند علماء الأمة، إذ قرروا أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٣].

وقد سلك القرطبي هذا المنهج في تفسيره واعتمد عليه في ترجيحه ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ــ ما رجحه القرطبي في كيفية قسمة الصدقات على الأصناف الثمانية في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] فقد رجَّح أن الآية تبيين لمصارف الصدقات حتى لا تخرج عنهم وفي أي صنف وُضعت الصدقة جاز وذكر أن هذا القول مروي عن السلف حيث قال :

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩٢٢/٦)، والدر المنثور للسيوطي (١٣٢/٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/٨).
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٧١/١).

"وهو قول عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس وحُذيفة[١] وقال به من التابعين جماعة"[٢].

٢ــ ما رجَّحه القرطبي في المراد بالرقاب في قوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [التوبة: ٦٠] حيث قال: "أي: في فك الرقاب، قاله ابن عباس وابن عُمر[٣]"[٤] .

٣ــ ما رجحه القرطبي في المراد بالمؤتفكات في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ [التوبة: ٧٠]. حيث قال : يراد به قوم لوط؛ لأن أرضهم ائتفكت بهم، أي انقلبت، قاله قتادة"[٥].

٤ــ ما رجحه القرطبي في المراد بالصدقة في قوله تعالى :﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. حيث قال: "واختلف في الصدقة المأمور بها ؛ فقيل: هي صدقة الفرض؛ قاله جويبر[٦] عن ابن عباس، وهو قول عكرمة فيما ذكر القشيري[٧][٨] .

---

[١] هو: حذيفة بن اليمان حسن بن جابر العبسي، من كبار الصحابة، صاحب السر، منعه وأباه شهود بدر استحلاف المشركين لهما . توفي سنة (٣٦هـ). ينظر: الكاشف (٣١٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٦١/٢)، والإصابة (٤٤/٢).

[٢] الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٨).

[٣] هو: عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، كان عالماً وزاهداً وكاملاً في معاني القرآن توفي سنة (٧٣هـ) بمكة. ينظر: الإصابة (١٨١/٤) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (٤).

[٤] الجامع لأحكام القرآن (١١٦/٨).

[٥] المرجع السابق (١٨٥/٨) .

[٦] هو: جويبر بن سعيد أبو سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي، نزيل بغداد، راوي التفسير. ينظر: تاريخ الإسلام (٩٤/٩) .

[٧] هو: عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري النيسابوري، توفي سنة سنة (٥١٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٦٥) .

[٨] قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٣/٨).

٥ــ ما رجَّحه القرطبي في المراد بـــ (يزيغ) في قوله تعالى :﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾[التوبة: ١١٧]. حيث قال: "واختلف في معنى تزيغ، فقيل: تتلف بالجهد والمشقة والشدة. وقال ابن عباس: تعدل – أي تميل – عن الحق في الممانعة والنصرة"[١] .

٦ــ ما رجحه القرطبي في الضمير في قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾[التوبة :١٢٢] . حيث قال : "الضمير في "ليتفقهوا ولينذروا" للمقيمين مع النبي ﷺ ؛ قاله قتادة ومجاهد"[٢].

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم:

العموم وجه من وجوه الترجيح المعتبرة، وحجة قوية تُرجَّح بها الأقوال، وتُأيَّد بها الاختيارات، وقد اعتمد هذا الوجه العلماء حيث قال أحدهم "اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعمّ ما تحتها حُملت على ذلك من عمومها، حتى يأتي ما يخصصها"[٣] وقد قرروا أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص نص بالتخصيص[٤]. وقد اعتمد القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره ومن الأمثلة على ذلك:

١ــ ما رجحه القرطبي في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾ [يونس: ١٢] فقيل: المراد: الكافر، وقيل: أبوحذيفة بن المغيرة المشرك. ثم رجح العموم فقال: "فالآية تعم الكافر وغيره"[٥].

٢ــ ما رجحه في المراد بقوله تعالى :﴿ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ﴾[يونس: ٤٠] فقيل: المراد أهل مكة. وقيل: المراد أهل الكتاب. وقيل: هو عام

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٥/٨) .
(٢) المرجع السابق (٢٦٧/٨) .
(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (١٠١).
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/٨).

في جميع الكفار. ثم رجَّح أنها عامة في جميع الكفار فقال: "وهو الصحيح"[(١)] .

المطلب التاسع : الترجيح بدلالة الأصل المفسّر أولاً من كلام العرب:

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله ، وأيَّد تصريف الكلمة أو أصل اشتقاقها أحد الأقوال، فهذا القول هو أولى الأقوال بتفسير الآية؛ لأن التعريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها[(٢)].

وقد اعتمد القرطبي الترجيح بالأصل المفسَّر أولاً في كلام العرب فمن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٤٩]. قال القرطبي : "إذ" في موضع نصب عطف على﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ﴾ [البقرة: ٤٠] وهذا وما بعده تذكير ببعض النعم التي كانت له عليهم؛ أي اذكروا نعمتي بإنجائكم من عدوكم وجعل الأنبياء فيكم. والخطاب للموجودين والمراد من سلف من الآباء؛ كما قال :﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١١] أي حملنا آباءكم. وقيل: إنما قال "نجيناكم" لأن نجاة الآباء كانت سبباً لنجاة هؤلاء الموجودين. ومعنى "نجيناكم" ألقيناكم على نجوة من الأرض، وهي ما ارتفع منها. هذا هو الأصل، ثم سُمِّي كل فائز ناجياً. فالنَّاجي من خرج من ضيق إلى سعة"[(٣)].

٢ــ ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦] . قال القرطبي: أي أحييناكم. قال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم رُدّوا لاستيفاء آجالهم. قال النحاس: وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب إذ خُبِّروا بهذا ، والمعنى "لعلكم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/٨).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥١١/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٢٤/١).

تشكرون" ما فعل بكم من البعث بعد الموت. وقيل: ماتوا مَوتَ همودٍ[1] يعتبر به الغير، ثم أرسلوا. وأصل البعث الإرسال. وقيل: بل أصله إثارة الشيء من محله؛ يقال: بعثت الناقة: أثرتها، أي حركتها؛ قال امرؤ القيس[2]:

وفتيان صدْق قد بعثتُ بسُحْرة[3] فقاموا جميعاً بين عاث ونشوان[4]

وقال عنترة[5] :

وصحابةٍ شُمّ الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بِطُلاها[6][7]

وقال بعضهم : ﴿ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٦] علّمناكم من بعد جهلكم. قلت: والأول أصح؛ لأن الأصل الحقيقة"[8] .

٣ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢]. حيث ذكر جميع الأقوال في معنى السائحون ثم رجَّح صحة جميع الأقوال بدلالة أصل الكلمة في كلام العرب فقال: "لفظ "س ي ح" يدل على صحة هذه الأقوال؛ فإن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء، فالصائم مستمر على الطاعة في ترك ما يتركه من الطعام وغيره، فهو بمنــزلة السائح. والمتفكرون تجول قلوبهم فيما ذكروا"[9].

---

(١) الهمدة : السكتة . همدت أصواتهم أي سكنت، والهمود الموت، وهمدت النار تهمد همـوداً : طفئت وذهبت البتة فلم يبن لها أثر. ينظر: لسان العرب (٤٣٦/٣).

(٢) هو: امرؤ القيس بن حجر الكندي، من فحول شعراء الجاهلية، ومن الطبقة الأولى، يقال له الملك الضليل صاحب إحدى المعلقات المشهورة. يُنظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١).

(٣) هي: جمع السَّحَر وهو آخر الليل قُبيل الصبح. ينظر: لسان العرب (٣٥٠/٤).

(٤) ديوان امرؤ القيس (٣١) .

(٥) هو: عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، الشاعر الفارس المشهور، شهد داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وهو شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات. ينظر: طبقات فحول الشعراء (١٥٢/١).

(٦) والطّلاة هي : العنق، والجمع طلى . ينظر: لسان العرب (١٣/١٥).

(٧) ديوان عنترة بن شداد (٢٢٥).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٤/١).

(٩) المرجع السابق (٢٤٦/٨) .

المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها:

يدل تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها على صحة بعض المعاني؛ لأن إعادة الكلمة إلى أصل اشتقاقها يبين المعنى الذي أُخذت منه وأريد بها، فيُستدل به على أقوى الأقوال وأولاها في تفسير الآية وهذا الوجه معتمد عند المفسرين ، فقد قرروه وعملوا به في الترجيح، تقويةً لبعض الأقوال على بعض. وتضعيفاً لأقوال أخرى في تفاسيرهم لكتاب الله تعالى[1].

وقد استعمل الإمام القرطبي هذا الوجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ومعرفة أولى الأقوال في تفسير الآية فمن الأمثلة التي ذكرها القرطبي في تفسيره ما يلي :

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى في حق يحيى بن زكريا عليه السلام : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: ٣٩] حيث قال القرطبي: السيد: الذي يسود قومَه، ويُنتَهَى إلى قوله ، وأصله : سَيْوِد، يقال: فلان أسود من فلان، أفْعَل، من السيادة؛ ففيه دلالة على جواز تسمية الإنسان سيداً كما يجوز أن يسمى عزيزاً... ثم قال: "وحصوراً" أصله من الحصر، وهو الحبس. حصرني الشيء وأحصرني : إذا حبسني.... [2]. .

٢ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] في معنى كلمة الفلق، فبعد أن ذكر الأقوال فيه رجّح بالاشتقاق فقال: "وقيل: إنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحبِّ والنَّوى وكل شيء من نبات وغيره... ثم قال بعد ذلك: وهذا القول يشهد له الاشتقاق؛ فإن الفلق الشَّق، فلقت الشيء فلقاً، أي : شققته، والتفليق مثله. يقال: فلقته فانفلق وتفلَّق. فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحبّ ونوى وماء فهو فلق قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦] [3] .

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥١١/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧٧/٤).

(٣) المرجع السابق (٢٣٧/٢٠).

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة:

لقد أولى الإمام القرطبي الجانب اللغوي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن اهتماماً كبيراً، وذلك إدراكاً منه لأهمية هذا الوجه الترجيحي؛ إذ القرآن نزل على لغة العرب وأساليبهم، وعادة كلامهم. فكان يحتكم إلى اللغة وأشعار العرب فيما يرجحه في كثير من المعاني التي يختارها ويذهب إليها، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ــ ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] . قال القرطبي مرجحاً بالإعراب: "حكى النحاس ومكي أنّ "تطهرهم" من صفة الصدقة، "وتزكيهم بها" حال في الضمير في "خذ" وهو النبيﷺ. ويُحتمل أن تكون حالاً من الصدقة، وذلك ضعيف؛ لأنها حال من نكرة"[١].

ولا شك أن الشعر ديوان العرب ولقد استخدم القرطبي الشعر في تفسيره كثيراً ففيه ثروة كبيرة من الأشعار فلا يكاد يوجد آية تطرّق لتفسيرها إلا أورد عدداً من الأبيات الشعرية، وكان يذكر الشعر لأغراض مختلفة، فتارة يذكره لبيان معنى لغوي وتارة يذكره للاستدلال على قاعدة نحوية أو بلاغية أو للاستدلال على توجيه رأي إعرابي[٢] مما يدل على اهتمام القرطبي بأشعار العرب وتنوع استعماله واستدلاله بها. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ــ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] . حيث رجح القرطبي أن التقدير : والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه؛ ثم حُذف وهو مذهب سيبويه. واستشهد لذلك بما قاله بعضهم :

نحن بمــا عنــدنــا وأنت بما   عنــدك راض والرأي مختــلف[٣]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٢٧).

(٢) القرطبي ومنهجه في التفسير (٢٦٩).

(٣) نُسب هذا البيت للعديد من الشعراء. ينظر: جمهرة أشعار العرب لابن أبــي الخطــاب (١/١٢)، وكتاب سيبويه (١/٧٤)، وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (٤/٢٥٥) .

٢ـــ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ [يونس:٣٥]. حيث قال القرطبي : "يريد الأصنام التي لا تهدي أحداً، ولا تمشي إلا أن تُحمل، ولا تنتقل عن مكانها إلا أن تُنقل" واستشهد لذلك بما قاله الشاعر[١] :

للفتـــى عقـــل يعيـــش بـــه   حيث تهـــدي ساقَـــه قَدَمُـــه[٢]

---

[١] هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبـــة . ينظـــر: طبقـــات فحول الشعراء (١/١٣٧).

[٢] ديوان طرفة بن العبد (٥٦) .

القســـم لثــاني

تر يحـات الإمـــــام الـ ـــرطبـــي

من أول الآية الواحدة والأربعين من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس

أولاً : ترجيحات الإمام القرطبي في سورة التوبة من أول الآية الواحدة والأربعين إلى آخر السورة.

المراد بالخفيف والثقيل في قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن لفظ الخفيف والثقيل عام يدخل تحته كل من خفت عليه الحركة أو ثقلت. حيث قال : "قوله تعالى : "انفروا خفافاً وثقالاً" نصب على الحال وفيه عشرة أقوال .... ،الصحيح في معنى الآية : أن الناس أُمروا جُملةً، أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت، وروي أن ابن أم مكتوم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له : أعلي أن أنفر؟ فقال: نعم، حتى أنزل الله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١] وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة" [١] .

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن مجاهد[٢] وأبي أيوب الأنصاري[٣] والمقداد بن الأسود[٤] ورجحه ابن جرير الطبري[١] وابن عطية[٢]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣٦/٨) .

(٢) تفسير مجاهد بن جبر (٢٧٩/١) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٢/٦) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٠٨،٤-٢٠٩). وأبو أيوب الأنصاري هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري، معروف باسمه وكنيته شهد بدراً مع النبي ﷺ ، مات في زمن يزيد بن معاوية. ينظر : الإصابة (٢٣٤/٢)، والتاريخ الكبير (١٣٦/٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٢/٦) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٠٨/٤ـ٢٠٩)، والمقداد بن الأسود هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها توفي في خلافة عثمان سنة (٣٣هـ) وعمره ٧٠ سنة. ينظر: الإصابة (٢٠٢/٦) .

والرازي[٣] وابن جزِّي[٤] وأبو حيان[٥] وابن كثير[٦] والثعالبي[٧] وأبو السعود[٨] والشوكاني[٩] والألوسي[١٠] والسعدي[١١] والشنقيطي[١] .

---

(١) جامع البيان للطبري (١٤٠/١٠) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧/٣) .

(٣) التفسير الكبير للرازي (٥٦/١٦) . والرازي هو: محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي، أبو عبد الله الراوي، إمام مفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢١٣) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزّي الكلبي (٧٦/٢) . وابن جزّي هو: محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأحوال، واللغة والتفسير، توفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: الديباج المذهب (٢٩٥/١).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٤٦/٥) .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٠/٢) .

(٧) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣١/٢). والثعالبي هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر فقيه، توفي سنة (٨٧٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٤٢).

(٨) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦٧/٤) . وأبي السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود، مفسر، شاعر، من علماء الترك المشهورين، توفي سنة (٩٨٢هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٩٩).

(٩) فتح القدير للشوكاني (٣٦٢/٢) .

(١٠) روح المعاني للألوسي (١٠٤/١) . والألوسي هو: محمد بن عبدالله الحسيني أبو الفضل مفسر محدث أديب، توفي سنة (١٢٧٠هـ). ينظر: الأعلام (١٧٦/٧) .

(١١) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٣٨/١) . والسعدي هو: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ذا معرفة تامة في الفقه و أصوله وفروعه وله اليد الطولى في التفسير ، توفي سنة (١٣٧٦هـ). ينظر: معجم المفسرين للنويهض (٢٧٩/١).

قال ابن عطية : ومعنى الخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وأما من لا يمكنه كالعمي ونحوه فخارج عن هذا، وذكر الناس من معاني الخفة والثقل أشياء لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بل هي وجوه متفقة [٢].

وقال أبو بكر الجصاص[٣] : كل هذه الوجوه يحتمله اللفظ فالواجب يعمها إذا لم تقم دلالة تخصيص[٤].

وقال الزركشي[٥] بعد أن ذكر الأقوال الواردة في معنى الخفة والثقل: "وكلها سائغ جائز والآية محمولة عليه؛ لأن الشباب والعُزّاب، والنشاط والأصحاء خفاف وضدهم ثقال" [٦].

وقال ابن جرير الطبري بعد أن ذكر جميع الصفات التي تدخل في معنى الخفة والثقل: فإذا كان قد يدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خصّ من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب ولا على لسان الرسول ﷺ ولا نصب على خصوصه دليلاً وجب أن يُقال : إن الله جل ثناؤه

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٤٥/٢) . والشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، مفسر لغوي، فقيه أصولي، من علماء شنقيط، توفي سنة (١٣٩٣هـ) ينظر: الأعلام (٤٥/٦) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧/٣) .

(٣) هو: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير الشأن المعروف بالجصاص، سكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها ، كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، توفي سنة (٣٧٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٨٤) .

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣١٦/٤) .

(٥) هو: محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي، ولد سنة ٧٤٥هـ ، عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم، توفي سنة (٧٩٤هـ) ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٠٢) .

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٥١/٢) .

أمر المؤمنين من أصحاب رسوله ﷺ بالنفر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسول الله ﷺ على كل حال من أحوال الخفة والثقل [١] .

إذا اتضح هذا فإن قول القرطبي ومن وافقه هو الراجح؛ لأن العموم في اللفظ هو الأولى وعليه قاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [٢] .

---

[١] جامع البيان للطبري (١٤٠/١٠).

[٢] قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

النسخ والإحكام في قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن قوله تعالى : "انفروا خفافاً وثقالاً" ليست منسوخة. حيث قال: "واختُلف في هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ ﴾ [التوبة: ٩١] وقيل: الناسخ لها قوله : ﴿ ۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾ [التوبة: ١٢٢] والصحيح أنها ليست بمنسوخة" [(١)].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي هو قول ابن جرير الطبري[(٢)] والسمرقندي[(٣)] وابن الجوزي في نواسخ القرآن[(٤)] والشوكاني[(٥)] والألوسي[(٦)] وابن العربي[(٧)] .

قال ابن العربي : والصحيح أنها غير منسوخة وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعُقر فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه فإن قصَّروا عصوا[(٨)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/٨) .

(٢) جامع البيان للطبري (٢٥٦/١٤) .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٦١/٢). والسمرقندي هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي، إمام الهدى؛ وكان له تفسير القرآن، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. توفي سنة (٣٩٣هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٩٢/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦) .

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزي (١٣٢/١) . وابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي القرشي ، الحنبلي، أبو الفرج، صاحب التصانيف، علامة السير والتاريخ ، وبحر التفسير، توفي سنة (٥٩٧هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٦١) . وطبقات المفسرين للداودي (٤١٨).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤٨٦/١) .

(٦) روح المعاني للألوسي (١٠٤/١٠) .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي (٥١٧/٢) .

(٨) المرجع السابق.

واستدل القرطبي بجملة من الآثار عن الصحابة والتابعين. فقد روى ابن عباس عن أبي طلحة[(١)] في قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ قال: شُبَّاناً وكُهُولاً، ما سمع الله عذر أحد . فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات ؓ [(٢)] .

ورُوي عن أنس[(٣)] أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فقال: أَيَ بَني جهزوني. فقال بنوه : يرحمك الله ! لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك. قال: لا، جهزوني. فغزا في البحر فمات في البحر فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها ، ولم يتغير ؓ [(٤)].

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود بحمص[(٥)] على تابوت صرَّاف، وقد فضل[(٦)] على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو. فقيل له: لقد عذرك الله. فقال: أتت علينا سورة البعوث "انفروا خفافاً وثقالاً"[(٧)] .

وقال الزهري [(١)] : خرج سعيد بن المُسيّب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه. فقيل له: إنك عليل. فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب

---

(١) هو: أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري، مشهور باسمه وكنيته، زوج أم أنس بن مالك، كان ممن شهد بدراً وجوامع المشاهد وكان من فرسان الرسولﷺ، توفي بالمدينة سنة (٣٤هـ) وعمره (٧٠) سنة. ينظر : الإصابة (٢٣١/٧)، ومشاهير علماء الأمصار (١٥/١) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٥/٤)، وجامع البيان للطبري (١٣٨/١) .

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم الرسول ﷺ ، من المكثرين لرواية الحديث، توفي سنة (٩١هـ). ينظر: الإصابة (١٢٧/١)، وطبقات المفسرين للداودي (٧/١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٢/٦) .

(٥) حمص: مدينة بالشام مشهورة. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع لعبدالله البكري (٤٦٨/١).

(٦) فضل : زاد . ينظر: لسان العرب (٥٢٥/١١) .

(٧) جامع البيان للطبري (١٣٩/١٠) .

كثّرت السواد وحفظت المتاع [٢].

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبرُ، فقال له : يا عم، إن الله قد عذرك. فقال: يابن أخي، قد أُمرنا بالنفر خفافاً وثقالاً[٣] .

ثم قال القرطبي: فلهذا وما كان مثله مما رُوي عن الصحابة والتابعين. قلنا: إن النسخ لا يصح[٤].

على أن هناك من السلف من ذهب إلى أن الآية منسوخة على خلاف في الناسخ لها، فقد قيل الناسخ لها قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [التوبة: ١٢٢] روي عن ابن عباس[٥] والحسن[٦] وعكرمة[٧] وعطاء الخرساني[٨] ومحمد بن كعب القرظي[٩] .

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري أبو بكر، أحد الأعلام ، توفي سنة (١٢٤هـ)، ينظر: الكاشف (٢/٢١٧) .

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/٢٩٦)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٩٨) .

(٣) جامع البيان للطبري (١٠/١٣٨) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٣٨) .

(٥) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/٣٣٠) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٠٣) .

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٣٦) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/٤٦) .

(٧) المرجعين السابقين .

(٨) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/٣٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٠٣)، وعطاء الخرساني هو: عطاء بن أبي مسلم الخرساني مولى المهلب بن أبي صفرة، من أهل العلم والصلاح، سكن الشام، وتوفي سنة (١٣٥هـ). ينظر: الكاشف (٢/٢٣).

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٠٣)، ومحمد بن كعب القرظي هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، من حلفاء الأوس، سكن الكوفة ثم المدينة وكان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً . توفي سنة (١٠٨هـ) وقيل (١١٦هـ). ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٣٧٣)، والكاشف (٢/٢١٣) .

وقيل : منسوخة بقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٩١] حكاه ابن أبي حاتم عن السُّدي [١].

وممن رجح القول بالنسخ المقري في الناسخ والمنسوخ [٢] والعلامة الشنقيطي [٣].

ومدار الخلاف في المسألة حول حكم النّفار إلى الغزو في تلك المدة . فمن قال أنّ الآية منسوخة يرى أنّ الأمر بالنفر إلى الغزو واجب على الأعيان في تلك المدة ثم نسخه الله تعالى، ومن قال أنّ الآية محكمة يرى أنّ الأمر بالنفر إلى الغزو موقوف على فرض الكفاية ولم يُقصد به الأعيان .

قال ابن عطية : هذا أمر من الله عز وجل لأمة محمد ﷺ بالنفر إلى الغزو. وقال بعض الناس: هذا أمر عام لجميع المؤمنين تعيّن به الفرض على الأعيان في تلك المدة ثم نسخه الله عز وجل بقوله : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، وقال جُلُّ الناس: بل هذا حَضّ والأمر في نفسه موقوف على فرض الكفاية ولم يقصد بالآية فرضه على الأعيان" [٤] .

وقال الرازي: اتفقوا على أنه ﷺ خلَّف النساء وخلَّف من الرجال أقواماً – يعني حين خرج إلى تبوك – وذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الأعيان لكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول ﷺ أن يخرج لزمه ذلك خفافاً وثقالاً، ومن أمره بأن يبقى هناك لزمه البقاء، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى التزام النسخ [٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٠٣/٦) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للمقري (١٠/١)، والمقري هو : هبة الله بن سلامة أبو القاسم البغدادي الضرير المفسِّر، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن، توفي في رجب سنة (٤١٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١٢٣/١) .

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (١٤٥/٢) .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٦/٣) .

(٥) التفسير الكبير للرازي (٥٦/١٦) .

وقال أبو حيان: والجمهور على أن الأمر موقوف على فرض الكفايـــة ولـــم يُقصد به فرض الأعيان [١].

إذا اتضح هذا فإن قول القرطبي ومن وافقه هو الـــراجح، وعليـــه قاعـــدة : (أن الأمر إذا دار بين نسخ الحكم وبقائه حُمل على بقائـــه دون نســـخه إلا لـــدليل راجح)[٢].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٤٦/٥) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٧٧/١) .

معنى قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة: ٤٧] .

ترجيح القرطبي :

ذهب رحمه الله إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال[١] وعليه يكون الاستثناء منقطعاً.. فقال: "وهذا استثناء منقطع، أي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال. وقيل: المعنى: لا يزودونكم فيما يترددون فيه من الرأي إلا خَبالاً؛ فلا يكون الاستثناء منقطعاً" [٢] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رحمه الله في معنى الآية رجّحه الماوردي[٣] والسمعاني[٤] وابن الجوزي في زاد المسير[٥] والعز بن عبد السلام في تفسيره[٦].

وقيل : المعنى : لا يزودونكم فيما يترددون فيه من الرأي إلا خَبَالاً؛ فلا يكون الاستثناء منقطعاً. واختاره الزمخشري[٧] والرازي[٨] والبيضاوي[٩]

والبيضاوي[٩]

---

(١) الخبال: الفساد وذهاب الشيء.. ينظر : تهذيب اللغة (١٨١/٧)، ولسان العرب (١٩٨/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤٢/٨).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٣٦٨/٢).

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٣١٥/٢). والسمعاني هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي أبو المظفر، شيخ الإسلام وحجة أهل السنة والجماعة، فقيه مفسير، مفتي خراسان، توفي سنة (٤٨٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١٤/١٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١٤٣).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٤٤٧/٣).

(٦) تفسير العز بن عبد السلام (٢٤/٢). العز بن عبد السلام هو: عز الدين عبد العزيز عبد السلام الدمشقي، كان شيخاً للإسلام ، عالماً زاهداً ورعاً، توفي سنة (٦٦٠هـ). ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (٢٦٧/١) .

(٧) الكشاف للزمخشري (٢٦٤/٢).

(٨) التفسير الكبير للرازي (٦٥/١٦).

(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٤٩/٣). والبيضاوي هو: عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أصولي مفسر، توفي سنة (٦٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٥٤).

والنسفي[١] وأبو حيان[٢] والسمين الحلبي[٣] وأبو السعود[٤] والألوسي[٥] .

ومدار الخلاف حول ما يقتضيه معنى الآية إذا كان الاستثناء متصلاً.. فهل يلزم من كون الاستثناء متصلاً أن يكون للصحابة رضوان الله عليهم خبال حتى لو خرج المنافقون زادوه ؟

فمن قال بلزوم ذلك ذكر أن الاستثناء استثناء منقطع، ومن قال أنه لا يلزم ذلك ذكر أن الاستثناء استثناء متصل .

وقال الألوسي: والاستثناء مفرغ متصل والمستثنى منه ما علمت، ولا يستلزم أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه؛ لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء. وقال بعضهم توهماً منه لزوم ما ذكر هو مفرغ منقطع. والتقدير: ما زادوكم قوة وخيراً ولكن شراً وخبالاً. واعتُرض بأن المنقطع لا يكون مفرغاً[٦] .

إذاً لا يلزم من كون الاستثناء متصلاً. أن يكون المعنى أن للصحابة خبال ولو خرج المنافقون زادوه. فيُحمل أن يكون في عسكر رسول الله ﷺ منافقون لهم خبال ولو خرج هؤلاء واجتمعوا بهم زادوا الخبال. وبذلك يترجح ما رجحه الزمخشري ومن وافقه، وعليه قاعدة: (يجب حمل معاني كتاب الله تعالى على الأوفق والمناسب والأقوى) [٧].

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٩١/٢). والنسفي هو: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات، فقيه حنفي، مفسر، توفي سنة (٧١٠هـ). ينظر : أبجد العلوم (١١٩/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٦٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٥٠/٥) .

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٥٩/٦) . والحلبي هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، مفسر عالم بالعربية والقراءات، توفي سنة (٧٥٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٨٧/١) .

(٤) تفسير أبي السعود (٧١/٤).

(٥) روح المعاني للألوسي (١١٢/١٠).

(٦) المرجع السابق .

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤٥/٢) .

المراد بالفتنة في قوله تعالى : ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة:٤٧] .

ترجيح القرطبي :

ذهب رحمه الله إلى أن المراد بالفتنة الإفساد والتحريض. إذ يقول : "والمعنى: يطلبون لكم الفتنة أي: الإفساد والتحريض، وقيل: الفتنة هنا الشرك"[١].

المناقشة والترجيح :

ما اختاره القرطبي هو المروي عن الحسن[٢] وهو قول ابن جرير[٣] والنحاس في إعراب القرآن[٤] والثعلبي[٥] والواحدي[٦] والبغوي[٧] والزمخشري[٨]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٢/٨) .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤٤٨/٣).

(٣) جامع البيان للطبري (١٤٥/١٠).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٢١٨/٢).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٥١/٥).

(٦) الوسيط للواحدي (٤٦٦/١). والواحدي هو: علي بن أحمد بن محمد الواحدي، مفسر علامة، مصنف التفاسير الثلاثة (البسيط، والوسيط، والوجيز) توفي سنة (٤٦٨هـ) ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٧٨/١)، وطبقات المفسرين للداودي (١٢٧/١).

(٧) معالم التنزيل للبغوي (٢٩٨/٢). والبغوي هو: الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي أبو محمد، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، صاحب القدم الراسخ في الفقه والتفسير والحديث، توفي سنة (٥١٦هـ) . ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٤٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥٨)، ووفيات الأعيان (١٣٦/٢).

والزمخشري[١] والــرازي[٢] والبيضــاوي[٣] والنســفي[٤] والخــازن[٥] وابــن
وابــن جـــــزَيّ[٦]
وابن كثير[٧] والسيوطي[٨] وأبي السعود[٩] والشوكاني[١٠] والقاسمي[١١] والسعدي[١٢]
والسعدي[١٢] وابن عاشور[١٣] والألوسي[١٤] .

وروي عن الضحاك[١] ومقاتل[٢] وابن قتيبة[٣] أن معنى الفتنة هنا الكفر. ووافقهم ابن أبي زمنين في ذلك[٤] .

---

(١) الكشاف للزمخشري (٢/٢٦٤).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٦٦/١٦).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٤٩/٣).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٩٢/٢).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٣٠/٢). والخازن هو: علي بـن محمـد بـن إبـراهيم الشيحي البغدادي المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، تـوفي سـنة(٧٤١هـ). ينظـر: طبقات المفسرين للداودي(٢٦٧).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٧٧/٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٢/٢).

(٨) الدر المنثور للسيوطي (٢١٢/٤). والسيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سـابق الخضيري السيوطي، جلال الدين، أبو الفضل، محدث، مؤرخ ، أديب، مصنف متقن، توفي سـنة (٩١١هـ)، ينظر: أبجد العلوم (٥/٢)، والأعلام (٣٠٢/٣) .

(٩) تفسير أبي السعود (٧١/٤).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٣٦٦/٢) .

(١١) محاسن التأويل للقاسمي (٤٢٩/٥). والقاسمي هو: محمد بن جمال الدين بن محمد الحلاق، إمام الشام في عصره، علماً في الدين، متطلعاً في فنون الأدب، كـان سـلفي العقيـدة، تـوفي سـنة (١٣٢٢هـ). ينظر: الأعلام (٨٣٥/٢) .

(١٢) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٣٩/١).

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٧/١٠) . وابن عاشور هو: محمد الطـاهر ابـن عاشـور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة، توفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظـر: الأعـلام (١٧٤/٦) .

(١٤) روح المعاني للألوسي (١١٢/١٠).

وروي عن مجاهد في قوله : يبغونكم الفتنة" قال : يبطئنكم عبد الله بن نبتل، وعبدالله بن أبي بن سلول، ورفاعة بن تابوت، وأوس بن قيظي[٥] .

وروي عن الكلبي[٦] "يبغونكم الفتنة" يعني العنت والشر[٧] .

بالنظر في جميع الأقوال يظهر أن معنى الفتنة يحتملها جميعاً ولا تعارض بينها. ومن القواعد المقررة عند العلماء أن الآية إذا احتملت عدة معاني لا ينافي بعضها الآخر. فإنها تُحمل عليها جميعاً لأن لكل قول ما يؤيده[٨] .

قال الجصاص: فإن الفتنة هاهنا المحنة باختلاف الكلمة والفرقة، ويجوز أن يريد به الكفر؛ لأنه يُسمَّى بهذا الاسم لقوله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقوله : ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١] [١] .

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢٩٨/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (٤٤٨/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٥١/٥) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٥٠/٢). ومقاتل هو: مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني أبو الحسن، كان مشهور بتفسير كتاب الله عز وجل، وله تفسير مشهور، كذَّبه علماء الحديث ورموه بالتنجيم وأجمعوا على تركه توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٢٥٥/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٠) .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤٤٨/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١/٥). وابن قتيبة هو: الحافظ أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، توفي سنة (٣١٠هـ). ينظر طبقات الحفاظ (٣٢٣) .

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٠٩/٢). وابن أبي زمنين هو: محمد بن عبدالله بن عيسى المري أبو عبدالله، المعروف بابن أبي زمنين فقيه ومفسر، من الوعاظ والأدباء، توفي سنة (٣٩٩هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١٠٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٩٣).

(٥) تفسير مجاهد (٢٨٠/١)، وجامع البيان للطبري (١٤٥/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٠٨/٦) ، والدر المنثور للسيوطي (٢١٢/٤) .

(٦) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسّابة مفسر، شيعي كذاب، متروك الحديث، توفي سنة(١٤٦هـ). ينظر: التاريخ الكبير(١٠١/١)، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للبستي (٢٥٣/٢)، والضعفاء والمتروكين للنسائي(٦٢/٣).

(٧) الكشف والبيان للثعلبي (٥١/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩٨/٢).

(٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/١٥).

(1) أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٢٠) .

مجازاة الكافر على حسناته في الدنيا عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [التوبة: ٥٣].

ترجيح القرطبي :

ذهب القرطبي رحمه الله إلى أنّ مجازاة الكافر على حسناته في الدنيا مقيد بمشيئة الله تعالى. ولا تلزم المجازاة بحكم الوعد الصادق في قوله ﷺ : "إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها"[١]. حيث يقول : "ثم قيل: هل بحكم هذا الوعد الصادق لابد أن يُطعم الكافر ويُعطى بحسناته في الدنيا، أو ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة في قوله : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] وهذا هو الصحيح من القولين، والله أعلم"[٢] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه السمرقندي[٣] وابن أبي زمنين[٤] والثعلبي[٥] والبغوي[٦] وابن عطية[٧] وابن جزّي[٨] والثعالبي[٩] وأبو السعود[١٠] والشوكاني[١١] والألوسي[١٢] والشنقيطي[١٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٦٢/٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، حديث رقم (٢٨٠٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤٦/٨) .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٣٠٦/٢) .

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٦٦/٤).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٧٩/٣) .

(٦) معالم التنـزيل للبغوي (٣٥٩/١) .

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٥١٨/١).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (١١٩/١) .

(٩) الجواهر الحسان للثعالبي (٢٠٠/٢) .

(١٠) تفسير أبي السعود (١٩٣/٤) .

(١١) فتح القدير للشوكاني (٤٨٧/٢).

(١٢) روح المعاني للألوسي (٢٤/١٢).

(١٣) أضواء البيان للشنقيطي (٨٣/٣)، (٢٣٠/٧)، (٥٥٠/٥) .

والقول الثاني: أن أعمال الكفار التي يتقرب بها إلى الله تعالى يُجازى بها في الدنيا ولا حظّ له منها في الآخرة. والأدلة على ذلك ما يلي:

١ــ قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥].

٢ــ قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[الشورى: ٢٠].

٣ــ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها"[(١)].

وعند النظر في القولين أجد أن أدلة القول الثاني من أن الكافر ينتفع بعمله الصالح في الدنيا كبرّ الوالدين وإكرام الضيف والجار والتنفيس عن المكروب ونحو ذلك أدلة مطلقة قُيّدت بمشيئة الله تعالى المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨].

قال الشنقيطي: " وقد تقرر في الأصول أن المقيد يقضي على المطلق ولاسيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا"[(٢)] .

(١) تقدم تخريجه ص

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣/٨٣) .

وجه التعذيب بالأموال والأولاد في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن التعذيب بالأموال والأولاد يكون في الدنيا. حيث يقول : "قال الحسن: المعنى بإخراج الزكاة والإنفاق في سبيل الله. وقال ابن عباس وقتادة: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: يعذبهم بالتعب في الجمع، وعلى هذا التأويل وقول الحسن لا تقديم فيه ولا تأخير، وهو حسن. وقيل: المعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا لأنهم منافقون، فهم ينفقون كارهين ويُعذَّبون بما يُنفقون"(١) .

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن الحسن البصري(٢).

وهو قول ابن جرير (٣) وابن أبي زمنين(٤) وابن عطية(٥) وابن كثير(٦).

قال ابن جرير: الأولى بالصواب قول الحسن؛ لأن ذلك هو الظاهر في التنزيل فصرفُ تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره أولى من صرفُه إلى باطنٍ لا دلالة على صحته (٧).

وذهب ابن عباس(٨) وقتادة(٩) ومجاهد(١)

ومجاهد(١)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٨/٨)

(٢) جامع البيان للطبري (١٥٣/١٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢١٢/٢).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥/٠٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٤/٢).

(٧) جامع البيان للطبري (١٥٣/١٠).

(٨) جامع البيان للطبري (١٥٣/١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥٢/٣).

(٩) المرجعين السابقين .

والسدي[٢] وابن قتيبة[٣] إلى أنّ في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، ووافقهم السمرقندي[٤] والخازن[٥].

قال الرازي معلقاً على هذا القول : وههنا سؤالان وهو أن يُقال : المال والولد لا يكونان عذابان بل هما من جملة النعم التي مَنَّ الله بها على عباده، فعند هذا التزم هؤلاء التقديم إلا أن هذا الالتزام لا يدفع هذا السؤال؛ لأنه يقال بعد هذا التقديم والتأخير فكيف يكون المال والولد عذاباً؟ فلابد لهم من تقدير حذف في الكلام بأن يقولوا أراد التعذيب بها من حيث كانت سبباً للعذاب، وإذا قالوا ذلك فقد استغنوا عن التقديم والتأخير؛ لأنه يصح أن يُقال: يريد اللهُ أن يعذبهم بها في الدنيا من حيث كانت سبباً للعذاب وأيضاً فلو أنه قال : "فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم" وقال: "إنما اتخذتم" لم يكن لهذه الزيادة كثير فائدة لأن من المعلوم أن الإعجاب بالمال والولد لا يكون إلا في الدنيا وليس كذلك حال العذاب فإنها قد تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، وثبت أن القول بهذا التقديم والتأخير ليس بشيء [٦] .

وقال ابن عاشور: محاولة التقديم والتأخير تعسُّف[٧] .

وقيل : يعذبهم بالتعب في الجمع. وذهب إليه السعدي[٨] .

وقيل: يعذبهم بما يحصل لهم من الغم والحزن عندما يغنمها المسلمون ويأخذونها قسراً من أيديهم مع كونها زينة حياتهم وقرة أعينهم. وذهب إليه

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٢).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٢). والسدّي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدّي، أبو محمد، صاحب التفسير والمغازي والسّير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥) .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٢).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٦٥).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٣٢).

(٦) التفسير الكبير للرازي (١٦/٧٤) .

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/٢٢٩) .

(٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٤٠) .

الشوكاني[١].

وقال ابن زيد: ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها، هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر [٢]. ووافقه الواحدي[٣] .

قال ابن عطية : وهذا القول وإن كان يستغرق قول الحسن فإن قول الحسن يتقوّى تخصيصه بأن تعذيبهم بإلزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة لهم [٤] .

وبالتأمل في الأقوال السابقة يظهر أنّ القول بالتقديم والتأخير مخالف لظاهر التنزيل وأنّ جميع الأقوال الأخرى متقاربة ولا تعارض بينها.

ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها من قِبل التفسير بالمثال أو الجزء ولا معارض له فهو أولى بتفسير الآية والقاعدة ناطقة بأنه : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص) [٥] .

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣٧٠/٢).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥٣/١٠).

(٣) الوسيط للواحدي (٤٦٨/١).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥/٣).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

الأصل في كلمة "مُدَّخلاً" في قوله تعالى : ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [التوبة: ٥٧] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن الأصل في كلمة "مُدَّخلاً مدتخل. حيث يقول :" قال النحاس: الأصل فيه مدتخل قلبت التاء دالاً؛ لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة وهما من مخرج واحد. وقيل: الأصل فيه مُتُدَخّل على مُتَفَعّل؛ كما في قراءة أُبيّ :" أو مُتَدَخَّلاً" ومعناه دخول بعد دخول أي قوماً يدخلون معهم"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه الزجاج[٢] والنحاس في إعراب القرآن[٣] والبغوي[٤] وابن عطية[٥] وابن الجوزي في زاد المسير[٦] والرازي[٧] وأبو حيان[٨] حيان[٨] والسمين الحلبي[٩] والشوكاني[١٠] والألوسي[١١] وابن عاشور[١٢].

قال الزجاج : فأما مُدَّخل فأصله مُدْتخل، ولكن التاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف[١٣] .

وقال أبو جعفر النحاس: الأصل في مُدَّخل مُدْتخل، قلبت التاء دالاً؛ لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة وهما من مخرج واحد، والأصل الأولى في مُدخل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٨).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٦٧/٢).
(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢٢٢/٢).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣٠١/٢) .
(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٦/٣).
(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٤٥٣/٣).
(٧) التفسير الكبير للرازي (٧٧/١٦).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٥٦/٥).
(٩) الدر المصون للسمين الحلبي (٦٩/٦).
(١٠) فتح القدير للشوكاني (٣٧٩/٢).
(١١) روح المعاني للألوسي (١١٩/١٠).
(١٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣١/١٠).
(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٦٧/٢).

متدخل" [١].

وقيل: الأصل فيه مُتدخّل على مُتَفَعَّل؛ كما في قراءة أُبيّ: "أو مُتَدَخلاً" ومعناه دخول بعد دخول، أي قوماً يدخلون معهم. وذهب إليه الثعلبي[٢].

قال السمين الحلبي: وقرأ قتادة، وعيسى بن عمر، والأعمش، مُدَّخَّلاً بتشديد الدال والخاء معاً. وتوجيهها أن الأصل : مُتَدَخَّلاً من تدخَّل بالتضعيف، فلما أُدغمت التاء في الدال صار اللفظ مُدَّخَّلاً نحو مُدَّيَّن من تَدَيَّن[٣].

عند التأمل في القولين يتضح أن قراءة "مُدَّخَلاً" قراءة متواترة والأصل فيها مُدْتَخَل. وقراءة "مُدَّخَّلاً" قراءة شاذة والأصل فيها مُتَدَخَّل. وما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه هو الراجح وذلك للقاعدة المعروفة : (إذا ترددت الكلمة بين أصلين رُجِّح أقواهما إذ أن المستند والمعوّل عليه القراءة المتواترة)[٤] .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٢٢).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٥٤).

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٦٩).

(٤) المزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي (١/٢٧٧).

كيفية قسمة الصدقات على الأصناف الثمانية في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

ذهب القرطبي رحمه الله إلى أن الآية تبيين لمصارف الصدقات حتى لا تخرج عنهم وفي أي صنف وُضعت الصدقة جاز. حيث يقول : قوله تعالى : "للفقراء" تبيين لمصارف الصدقات والمحل حتى لا تخرج عنهم. ثم الاختيار إلى من يقسم؛ هذا قول مالك وأبي حنيفة وأصحابهما. كما يقال: السرج للدابة، والباب للدار. وقال الشافعي: اللام لام التمليك؛ كقولك: المال لزيد وعمرو وبكر؛ فلابد من التسوية بين المذكورين.

قال الشافعي وأصحابه: وهذا كما لو أوصى لأصناف معينين أو لقوم معينين"[١].

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن عمر[٢] وعلي[٣] ومعاذ[٤] وحذيفة[٥] وابن عباس[٦] والحسن البصري[٧] وعطاء[٨] وإبراهيم النخعي[١]

النخعي[١]

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٥١/٨).

[٢] جامع البيان للطبري (١٦٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨١٧/٦).

[٣] تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢١٣/٢).

[٤] البحر المحيط لأبي حيان (٥٨/٥). ومعاذ هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، صحابي جليل، توفي بالطاعون سنة (١٧هـ). الإصابة (١٣٦/٦) .

[٥] جامع البيان للطبري (١٦٦/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨١٧/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢٠١/٤).

[٦] المراجع السابقة .

[٧] تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٧/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢٠٢/٤).

[٨] جامع البيان للطبري (١٦٦/١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨١٧/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢٠٢/٤).

وسعيد بن جبير[2] وأبي العالية[3] وميمون بن مهران[4] وسفيان الثوري[5] ومقاتل بن حيان[6] والإمام مالك[7] وأبي حنيفة[8] وأحمد[9]. ورجحه ابن جرير الطبري[10] والنحاس في معاني القرآن[11] وفي الناسخ والمنسوخ[12]والسمرقندي[13] وابن أبي زمنين[14] وابن الجوزي [15] والرازي[1] والبيضاوي[2] والنسفي[3]

---

(1) جامع البيان للطبري (١٠/١٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨١٧)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٢٠٢). وإبراهيم النخعي هو: إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، تابعي مشهور، إمام حافظ، فقيه محدِّث، توفي سنة (١٩٦) . ينظر: وفيات الأعيان (١/٢٥)

(2) جامع البيان للطبري (١٠/١٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٨١٧)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٢٠٢).

(3) المراجع السابقة .

(4) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٨١٧). وميمون بن مهران هو: الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها ، أبو أيوب الجزري الرقي، فقيهاً فاضلاً ديناً، توفي سنة (١٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٧١)، ومشاهير علماء الأمصار (١١٧).

(5) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٥). وسفيان الثوري هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله ، شيخ الإسلام إمام الحفاظ، سيد العلماء في زمانه، توفي سنة (١٢٦هـ). ينظر: الكاشف (١/٤٤٩). وتذكرة الحفاظ (١/٢٠٣) .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨١٧). ومقاتل بن حيان هو: مقاتل بن حيان البلخي، أبو بسطام، كان من العلماء العاملين ذا نسك ودين، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٤٠)، ومشاهير علماء الأمصار (١/١٩٥).

(7) هو: مالك بن أنس بن أبي عامر أبو عبدالله الأصبحي المدني، إماماً في الحديث، من سادات التابعين وجلة الفقهاء والصالحين، صاحب المذهب المالكي، توفي سنة (١٧٩هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٧/٣١٠)، ومشاهير علماء الأمصار (١٤٠).

(8) المجموع شرح المهذب للنووي (٦/١٧٢) .

(9) المرجع السابق.

(10) جامع البيان للطبري (١٠/١٦٦).

(11) معاني القرآن للنحاس (٣/١٥٦).

(12) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٥١٤).

(13) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٦٨).

(14) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢١٣).

(15) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٩).

وابن كثير[٤] وأبو السعود[٥] والشوكاني[٦] والقاسمي[٧]و ابن عاشور[٨].

وحجتهم في ذلك ما يلي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ ﴾ [البقرة: ٢٧١]. والصدقة متى أطلقت في القرآن فهي تنصرف إلى صدقة الفرض.

ثانياً : قوله ﷺ : "أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم"[٩] .

قال القرطبي : وهذا نص في ذكر أحد الأصناف الثمانية قرآناً وسنة[١٠] .

ثالثاً : حديث النبي ﷺ حين قال لسلمة بن صخر[١١] حين وطئ في شهر رمضان نهاراً أطعم ستين مسكيناً، فقال: ما بتنا ليلتنا إلا وحشاء[٩] لا نصل إلى شيء فقال: امض إلى بني زريق فخذ صدقتهم فتصدق بوسق على ستين مسكيناً وكل أنت وعيالك ما بقي" [١٠] . فأعطاه النبي ﷺ صدقة هذه القبيلة ولم يقسمها على ثمانية.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٨٥/١٦).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٤/٣).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٩٤/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥/٢).

(٥) تفسير أبو السعود (٧٦/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٣٧٢/٢).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٩/٥).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/١٠).

(٩) هو بعض حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٤/٢)، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، حديث رقم (١٤٢٥). ومسلم في صحيحه (٥٠/١)، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩) .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٨).

(١١) هو: سلمة بن صخر بن سلمان بن الصمة بن الحارث بن الخزرج الخزرجي، وكان يقال له البياضي لأنه؛ كان حالفهم. ينظر: الإصابة: (١٥٠/٣)

(٩) بات وحشا أي: جائعاً لم يأكل شيئاً فخلا جوفه، والجمع أوحاش. ينظر: لسان العرب (٣٦٩/٦).

(١٠) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٥/٢)، كتاب الطلاق، باب في الظهار، حديث رقم (٢٢١٣)، وابن ماجه في سننه (٦٦٥/١) كتاب الطلاق، باب الظهار، حديث رقم (٢٠٦٢)، والإمام أحمد

رابعاً : أنه لم يظهر في ذلك خلاف من جهة الصحابة فجرى كالمُجمع عليه.
قال ابن عبد البر: يريد إجماع الصحابة فلا يعلم له مخالفاً منهم[١].

وذهب الشافعي[٢] إلى أنه لابد من صرف الصدقة إلى كل صنف وُجد من الأصناف الثمانية ومراعاة التسوية بينهم[٣]. وإلى هذا القول ذهب عكرمة[٤] والزهري[٥] وعمر بن عبد العزيز[٦] وعلي بن الحسين[٧]. ولم يُرجحه أحد من المفسرين .

وحجة الشافعي ومن معه ما يلي :

أولاً: ظاهر الآية يقضي بالقسمة بين الأصناف الثمانية للفظة "إنما" حيث أنها تقتضي الحصر في الصدقات على الثمانية الأصناف المذكورين ولا تتعداهم.

في مسنده عن سلمة بن صخر الأنصاري ﷺ حديث رقم (١٦٤٦٨)، وأخرجه الحاكم(٢/٢٢١)، وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٢/١٤).

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٧٢) .

(٢) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب الشافعي، برع في الشعر واللغة ثم أقبل على الفقه والحديث، صاحب المذهب الشافعي ، توفي سنة (٢٠٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ (١/٣٦١)، والكاشف (٢/١٥٥)، والديباج المذهب (١/٢٢٧) .

(٣) الأم للشافعي (٧/٣٣)، والمجموع للنووي (٦/٢٠٥).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٦٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٦/٨٥)، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/٩٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/٥٨)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٥/٤٣٩).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٦٢)، والكشاف للزمخشري (٢/٢٦٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٦/٨٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/٥٨)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٥/٤٣٩).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٦٢)، والكشاف للزمخشري (٢/٢٦٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٦/٨٥). وعمر بن عبد العزيز هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أمية، الإمام الحافظ العلامة المجتهد، أمير المؤمنين الخليفة الزاهد. ينظر : سير أعلام النبلاء (٥/١١٤) .

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٥٨). وعلي بن الحسين هو: علي بن الحسين زين العابدين بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله الهاشمي أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان ثقة عابداً، صاحب صدقة سرّ، توفي سنة (٩٤هـ). ينظر: حلية الأولياء (٣/١٣٣) ، وتذكرة الحفاظ (١/٧٤) .

ثانياً : حديث زياد بن الحارث الصدائي[1] قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يبعث إلى قومي جيشـــاً فقلت: يا رسول الله احبس جيشك فأنـــا لك بإسلامهم وطـــاعتهم، وكتبت إلى قومي فجاء إسلامهم وطاعتهم. فقال رسول الله ﷺ: "يا أخا صداء المُطاع في قومه" قال: قلت بل منَّ الله عليهم وهداهم، قال: ثم جاءه رجل يسأله عن الصدقات؛ فقال له رسول الله ﷺ:" إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى جزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من أهل تلك الأجزاء أعطيتك"[2] .

ثالثاً : أن ذلك بمنزلة الوصية، إذا وصى رجل لجماعة لم يخرج منهم أحد.

الجواب على ما احتج به الشافعي :

١ــ القول بوجوب صرفها إلى جميع الأصناف، حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذاً من إشعار (اللام) بالتمليك، كما ذهب إليه الشافعي لا يسعفه السياق، فإن الآية مُصدّرة بكلمة الحصر الدّالة على قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة، وأنها مختصة بهم، وأن غيرهم لا يستحق فيها نصيباً . كأنه قيل : إنما هي لهم لا لغيرهم، فهذا هو الغرض الذي سيقت له الآية، فلا اقتضاء فيها لما سواه[3] .

---

[1] هو: زياد بن الحارث الصدائي، صحابي جليل ، بايع النبي ﷺ وأذّن بين يديه. ينظر: الإصـــابة (٥٨٢/٢)، والاستيعاب (٥٣٠/٢) .

[2] أخرجه أبو داود في سننه (١١٧/٢)، كتاب الزكاة، باب من يُعطى من الصـــدقة وحـــد الغنـــي، حديث رقم (١٦٣٠)، والدار قطني في سننه (١٣٧/٢)، كتاب الزكاة، باب الحث علـــى إخـــراج الصدقة وبيان قسمتها ، وكلاهما أخرجاه من حديث زياد بن الحارث الصدائي، وفي إسناده عبـــد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، قال عنه ابن حجر في التقريب رقم (٣٨٦٢): ضـــعيف فـــي حفظه ، وضعفه النسائي في الضعفاء والمتروكين رقم (٣٦١)، وابن معين في الكامل في ضعفاء الرجال رقم (١١٠٨). قال الشيخ الألباني: ضعيف. ينظر: ضعيف سنن أبي داود (١٢٧/١).

[3] محاسن التأويل للقاسمي (١٤٣٩/٥).

٢ــ الحديث الذي احتج به الشافعي. في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وهو ضعيف[١] .

٣ــ قال النحاس: وحجة غير الشافعي أنّ هذا مخالف للوصية؛ لأنّ الوصية لا يجوز أن تُقسم إلا فيمن سُمّيت له. فإن فُقد بعضهم لم يرجع سهمه إلى من بقي. وقد أجمع الجميع على أنه إذا فُقد من ذُكر في الآية رجع سهمه إلى من بقي، وأيضاً وفاته فإنه لا يجوز ولا توصل إلى أن يعم كل من ذكر في الآية؛ لأن الفقراء والمساكين لا يُحاط بهم"[٢].

قال ابن تيمية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٦٠] أي: ما هي إلا لهؤلاء وقد تقرر أنّ مثل هذا الخطاب يثبت للمذكور ما نفاه عن غيره، فلما نفى الجواز لغير الأصناف أثبت الجواز لا الوجوب ولا استحقاق كما فهمه من اعتقد وجوب الاستيعاب من ظاهر الخطاب [٣] .

---

(١) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بفتح أوله وسكون النون وضم المهملة الإفريقي، ضعيف في حفظه مات سنة ست وخمسين وقيل بعدها وقيل جاز المائة ولم يصح وكان رجلاً صالحاً. ينظر: تقريب التهذيب (١/٣٤٠) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٥١٥).

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/٧٦) .

الفرق بين الفقير المسكين في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [التوبة: ٦٠].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن الفقير والمسكين سواء. حيث قال : "واختلف علماء اللغة وأهل الفقه في الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة أقوال... وما ذهب إليه أصحاب مالك والشافعي في أنهما سواء حسن"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي ذهب إليه الشافعي[٢] وابن القاسم[٣] وسائر أصحاب مالك[٤] وبه قال أبو يوسف[٥] ورجحه البغوي[٦] وأبو حيان[٧].

قال البغوي : "وبالجملة: الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضُعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضَعُفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت"[٨].

وقيل: الفقير أحسن حالاً من المسكين، فالفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين الذي لا شيء له. وهو القول الثاني وإليه ذهب أبو حنيفة[١]

حنيفـــة[١]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٥٢).

(٢) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي لعلي الماوردي (٨/٤٩٠).

(٣) الاستذكار لابن عبد البر (٣/٢٠٩).

(٤) المرجع السابق.

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٢٤). وأبو يوسف هو: القاضي العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة لم يسلك سبيله إلا في الفروع وكان يباينه في الإيمان والقرآن، توفي سنة (١٨١هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (١/٢٩٣)، ومشاهير علماء الأمصار (١/١٧١) .

(٦) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٢).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٥٨).

(٨) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٢).

ويعقوب بن السِّكِّيت[2] والقُتَبي[3] ويونس بن حبيب[4]والقاضي عبد الوهاب[5].

واحتجوا بقول الراعي[6]:

أمـــا الفقير الذي كانت حَلُوبَتُه وفْقَ العِيَال فلم يُترك له سَبَد[7][8]

والوْفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام؛ يقال: حَلُوبته وفْق عياله، أي : لها لـــبن قدر كفايتهم لا فضل فيه[9] .

والقول الثالث: أن المســـكين أحسن حالا من الفقير. وإليه ذهب الأصمعي[10] وهو القول الثاني للشافعي[10].

---

(1) المبسوط للسرخسي (٣/٨).

(2) الاستذكار لابن عبد البر (٣/٢٠٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٦)، ويعقوب بن السِّـكِّيت هو: يعقوب بن إسحاق السكيت أبو يوسف النحوي اللغوي، من أهل الفضل والدين والثقة، تـوفي سنة (٢٤٦هـ) وقد بلغ ٥٨ سنة. يُنظر: المنتظم فـي تـاريخ الملـوك والأمـم لأبـي الفـرج بن الجوزي (١١/٣١٢).

(3) أدب الكاتب لابن قتيبة (١/٢٩) والقُتَبي هو: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري وقيل المروزي، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وتصانيفه كلها مفيدة، توفي سنة (٢٩٦هـ). ينظـر: تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٤٤).

(4) الاستذكار لابن عبد البر (٣/٢٠٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٦)، ويونس بـن حبيـب هو: أبو عبد الرحمن الضبّي وقيل الليثي بالولاء، إمام نحاة البصرة في عصره ومرجـع الأدبـاء والنحويين في المشكلات، توفي سنة (١٨٣هـ) ، وله ٩٨ سنة. ينظر: المنتظم (٩/٩١).

(5) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٥٤٢)، والقاضي عبد الوهاب هو: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي، كان فقيهاً أديباً شاعراً توفي سنة (٤٢٢هـ) بمصر ودفن في القُرافة الصغرى. ينظر: وفيات الأعيان (٣/٢٢٢) .

(6) هو: عبيد بن حصين بن جندل بن قطن ابن ظويلم بن ربيعة بن نميـر، لُقِّـب بـالراعي لكثـرة وصفه للإبل، شاعر فحل من شعراء الإسلام. ينظر: طبقات فحول الشعراء (٢/٢٩٨)، والأغاني (٢٤/٢٦٨).

(7) السبد هو: الشعر . ينظر: العين للفراهيدي (٧/٢٣٢)، وتهذيب اللغة (١٢/٢٥٨).

(8) ديوان الراعي النميري (١/٥٦).

(9) مختار الصحاح (١/٣٠٤).

(10) زاد المسير (٣/٤٥٦)، والاستذكار (٣/٢٠٩) والأصمعي هو: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد الباهلي البصري، ينظر: الوافي بالوفيات(١٩/١٢٦).

واختاره ابن الأنباري[1] ورجَّحه الرازي[2] والبيضاوي[3] وابن كثير[4] والشوكاني[5] والقاسمي[6] والسعدي[7].

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ [الكهف: ٧٩]. فأخبر أن لهم سفينة من سفن البحر، وربما ساوت جملة من المال.

وعضّدوه بما روي عن النبي ﷺ أنه تعوذ من الفقر. وروي عنه أنه قال: "اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً"[8]، فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لتناقض الخبران، إذ يستحيل أن يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالاً منه، وقد استجاب الله دعاءه وقبضه وله مال مما أفاء الله عليه ، ولكن لم يكن معه تمام الكفاية.

واحتجوا أيضاً بمعنى الفقير في كلام العرب، إذ أن معناه المفقور الذي نزعت فِقَرُه من ظهره من شدة الفقر، فلا حال أشد من هذه[9] .

---

(١٠) الحاوي الكبير(٤٨٩/٨)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري (٢٩٢/١).

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١٢٨/١)، وابن الأنباري هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن دعامة أبو بكر الأنباري، كان من بحور العلم في اللغة العربية والتفسير، والحديث، توفي سنة (٥٧٧هـ). ينظر: البداية والنهاية (١٩٦/١١)، ووفيات الأعيان (١٣٩/٣).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٨٥/١٦) .

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٣/٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥/٢) .

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣٧٢/٢) .

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٧/٥).

(٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٤١/١) .

(٨) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٨١/٢) كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، حديث رقم (٤١٢٦)، وأخرجه الترمذي في سننه (٥٧٧/٤) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم (٢٣٥٢). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٨/٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي (٥٤٤/٢).

(٩) العين (١٥٠/٥)، وتهذيب اللغة (١٠٣/٩) .

وقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

واستشهدوا بقول الشاعر[١] :

لما رأى لُبَدُ[٢] النسور تطايرت رفع القوادم[٣] كالفقير الأعزل[٤]

أي : لم يطق الطيران فصار بمنـــزلة من انقطع صلبه ولصق بالأرض .

وأجابوا عن احتجاج أصحاب القول الثاني بأن بيت الراعي لا حجة فيه؛ لأنه إنما ذكر أن الفقير كانت له حلوبة في حال ما قالوا.

وأجيب عن احتجاج أصحاب القول الثالث بأنه لا حجة في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ [الكهف: ٧٩] لأنه يحتمل أن تكون مستأجرة لهم؛ كما يقال: هذه دار فلان إذا كان ساكنها وإن كانت لغيره. وقد قال تعالى في وصف أهل النار : ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴾ [الحج: ٢١] فأضافها إليهم. وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥] وقال ﷺ : "من باع عبداً وله مال"[٥] وهو كثير جداً يُضاف الشيء إليه وليس له. ويجوز أن يُسمّوا مساكين على جهة الرحمة والاستعطاف ؛ كما يُقال لمن امتُحن بنكبة أو دُفع إلى بلية، مسكين. وفي الحديث : "مساكين أهل النار"[٦] .

---

(١) هو: لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، وفد فأسلم ولم يقل بعد الإسلام بيتاً من الشعر، يكنى أبا عقيل، مات بالكوفة أيام الوليد بن عقبة وعمره ١٤٠ سنة وقيل ١٥٧سنة. ينظر: البدء والتاريخ للمقدسي (١٠٨/٥)، والتاريخ الكبير (٢٤٩/٧) .

(٢) لبد هو: اسم آخر نسور لقمان بن عاد. ينظر: جمهرة اللغة (٣٠١/١)، ولسان العرب (٣٨٥/٣). (٣٨٥/٣).

(٣) والقادمة هي: الريشة التي تلي منكب الجناح وكلها قوادم. ينظر: العين (١٢٣/٥)، وتهذيب اللغة اللغة (٢٢/١٣)، ولسان العرب (٤٣١/٧).

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (٦٦/١) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٨/٣) كتاب الإجارة، باب في العبد يُباع وله مال، حديث رقم (٣٤٣٣)، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٨٩/٣)، حديث رقم (٤٩٨٣). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٣٥٧/٢).

(٦) لم أجد هذا الحديث .

وقال الشاعر[١]:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم   عليها تراب الذل بين المقـــابر[٢]

وأجيب عن ما تأولوه من قوله ﷺ : "اللهم أحيني مسكيناً" أن المعنى ههنا: التواضع لله الذي لا جبروت فيه ولا نخوة، ولا كبر ولا بطر، ولا تكبّر ولا أَشِر. ولقد أحسن أبو العتاهية[٣] حيث قال :

إذا أردت شـــريف القـــوم كلّهم   فانظـــر إلى مَلِك في زِيّ مسكين

ذاك الذي عَظُمت في الله رغبته   وذاك يصلـــح للدنيـــا وللـــدين[٤]

وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] بأنه لا يمتنع أن يكون لهم شيء.

وعند النظر في أوجه الرد أجدها ضعيفة لا تقاوم الأدلة المُحتجّ بها. والله أعلم.

القول الرابع : الفقير المحتاج المتعفف، والمسكين السائل. روي عن ابن عبـــاس[٥] والحســن[١] ومجــاهد[٢] وعكرمـــة[٣] وقـــاله الزهري[٤]

الزهري[٤]

---

[١] هو: عبدالله بن المعتز بن المتوكل أبو العباس الهاشمي، كان أديباً بليغـاً شـاعراً مقتـدراً علـى الشعر سهل اللفظ جيد القريحة، توفي سنة (١٩٦هـ) . ينظر: وفيات الأعيان (٧٦/٣).

[٢] مصارع العشاق (١٤٠/١) ، وديوان الصبابة (١٢/١)، وحماسة الظرفاء (١٣/١)، وفـي الأخيرين: مساكين أهل العشق .

[٣] هو: إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية الشاعر المشهور، نزيل بغداد، وأصله من الحجاز كان يبيـع الجرار، ولد سنة ١٣٠هـ ، وتوفي سنة (٢١١هـ)، ينظر: البداية والنهاية (٢٦٦/١٠) ، وتـاريخ الإسلام (٤٥٨/١٥) .

[٤] العقد الفريد (٤٧/١) .

[٥] زاد المسير لابن الجوزي (٤٥٥/٣).

واختاره ابن شـــعبان[٥] ورجحه الطبري[٦] والنحاس في معاني القرآن[٧].

القول الخامس: الفقير الذي له المسكن والخادم إلى من هو أسفل من ذلك. والمسكين الذي لا مال له. قاله محمد بن مسلمة[٨] .

وأُجيب عن هذا القول بأنه عكس ما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو، أنّ رجلاً سأله فقال: " ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك"[٩] .

القول السادس: الفقراء من المهاجرين والمساكين من الأعراب الذين لم يُهاجروا. روي عن ابن عباس[١٠] وقاله الضحاك[١١].

القول السابع: المسكين الذي يخشع ويستكنّ وإن لم يسأل، والفقير الذي يتحمل ويقبل الشيء سراً ولا يخشع. قاله عبيدالله بن الحسن[١].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٢١) .

(٣) المرجعين السابقين .

(٤) المرجعين السابقين .

(٥) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٧٢) . وابن شعبان هو: أحمد بن عبد الرحيم الإمـــام المقـــرئ الفقيـــه شهاب الدين ابن النحاس الدمشقي الحنفي، توفي سنة (١٧١هـــ) ينظر: معرفـــة القـــراء الكبـــار (٢/٧٥٢) .

(٦) جامع البيان للطبري (١٠/١٥٩).

(٧) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٢١) .

(٨) تفسير الثعلبي (٥/٥٨). ومحمد بن مسلمة هو: محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن إســـماعيل أبو هشام، كان أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان أفقههم، له كتب فقه أُخذت عنـــه وهـــو ثقة مأمون حجة جمع العلم والورع، توفي سنة (٢٠٦هـــ). ينظر: الديباج المذهب (١/٢٢٧) .

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٨٥)، كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (٢٩٧٩).

(١٠) جامع البيان للطبري (١٠/١٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٥٦).

(١١) المرجعين السابقين .

القــول الثامــن : المســاكين الطوافون، والفقــراء فقراء المسلمين. قاله مجاهد[٢]

وعكرمة [٣] والزهري[٤] وروي عن ابن عباس[٥].

القول التاسع : الفقراء فقراء المسلمين، والمساكين فقراء أهل الكتاب، قاله عكرمة أيضاً[٦].

وبعد النظر في الأقوال أجد أنه قد ثبت بحسب مُؤدّى اللغة شدة الحاجة لكل من الفقير والمسكين. فالفقير المكسور فقار الظهر، فقد قال أهل اللغة: منه اشتق اسم الفقير كأنه مكسور فقار الظهر من ذلته ومسكنته، ومن ذلك فقرتهم الفاقرة، وهي الداهية كأنها كاسرة لفقار الظهر[٧]. والمسكين الذي لا شيء له ، فهو الذي أسكنه الفقر، أي قلل حركته[٨]. وعند اجتماع الفقراء والمساكين كما في هذا الموضع فلا بدّ أن يكون هناك فرق وبذلك يترجح القول الثالث وهو أنّ المسكين أحسن حالا من الفقير لقوة ما احتجوا به، والله أعلم.

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٠٨/١) . وعبيدالله بن الحسن هو: عبيدالله بن الحسن بن الحصــين بن أبي الحصين العنبري التميمي، قاضي البصرة، كان يتفقه على مذهب الكوفيين ، توفي ســنة (١٦٨هــ). ينظر: مشاهير علماء الأمصار (١٥٩)، والتاريخ الكبير (٣٧٦/٥) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥١٠/١) .

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥١٠/١) .

(٤) المرجع السابق.

(٥) جامع البيان للطبري (١٥٨/١٠).

(٦) جامع البيان للطبري (١٥٨/١٠)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٥١٠/١).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٤٤٤/٤).

(٨) لسان العرب (٢١٤/١٣) .

نقل الزكاة عن موضعها عند قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أنها لا تنقل عن موضعها حيث يقول : "وقد اختلف العلماء في نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة أقوال: لا تنقل؛ قاله سحنون[١] وابن القاسم، وهو الصحيح لما ذكرناه [ساق أحاديث تدل على ما ذهب إليه] قال ابن القاسم أيضاً : وإن نقل بعضها لضرورة رأيته صواباً. ورُوي عن سحنون أنه قال: ولو بلغ الإمام أن ببعض البلاد حاجة شديدة جاز له نقل بعض الصدقة المستحقة لغيره إليه؛ فإن الحاجة إذا نزلت وجب تقديمها على من ليس بمحتاج . والقول الثاني: تُنقل. وقاله مالك أيضاً . القول الثالث: وهو أن سهم الفقراء والمساكين يقسم في الموضع، وسائر السهام تُنقل باجتهاد الإمام. والقول الأول أصح. والله أعلم"[٢] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه البغوي[٣] والثعالبي[٤] وهو مذهب الإمام مالك[٥] مالك[٥] والإمام الشافعي[٦] والإمام أحمد بن حنبل[٧] وكره نقلها الإمام أبو حنيفة[٨]. حنيفة[٨].

وقد ساق القرطبي أدلة تؤيد ما ذهب إليه وهي على النحو التالي:

---

(١) هو: سحنون بن سعيد التنوخي، من أهل إفريقية، من فقهاء أصحاب مالك، روى عنه أكثر من ثلاثين ألف مسألة، وكان يفرّع على مذهبه، وهو الذي أظهر علم مالك ومذهبه بالمغرب، ينظر: الثقات: (٨/٢٩٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٥٩).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٥).

(٤) الجواهر الحسان للثعالبي (٢/١٣٧).

(٥) المدونة الكبرى للإمام مالك (٢/٢٩٦)، والمبسوط للسرخسي (٢/١٨١).

(٦) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٣٩).

(٧) المرجع السابق .

(٨) الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني (١/١١٥).

١ــ حديث معاذ ﷺ حينما أرسله النبي ﷺ فقال له : "أخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم"[١] فاختص أهل كل بلد بزكاة بلده .

٢ــ روى أبو داود[٢]: أن زياداً أو بعض الأمراء بعث عمران بن حصين[٣] على الصدقة، فلما رجع قال لعمران: أين المال! قال: وللمال أرسلتني! أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله ﷺ ووضعناها حيث كنا نضعها في عهد رسول الله ﷺ"[٤] .

٣ــ روى الترمذي عن عون بن أبي جُحيفة[٥] عن أبيه قال: "قدم علينا مصدّق النبي ﷺ فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا فكنت غلاماً يتيماً فأعطاني منها قلوصاً"[٦] [٧].

والقول الثاني: تنقل.. وقاله مالك أيضاً [٨].

قال أبو بكر: ظاهر قوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" يقتضي جواز إعطائها في غير البلد الذي فيه المال وفي أي موضع شاء.. ولذلك قال

---

(١) سبق تخريجه ص١١٢.

(٢) هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني، صاحب السنن، ثبت حجة، توفي سنة (٢٧٥هـ) . ينظر الكاشف (٤٥٦/١)، وطبقات الحفاظ (٢٦٥) .

(٣) هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن كعب بن عمرو الخزاعي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا عدة غزوات، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، سكن البصرة ومات بها سنة(٥٢هـ وقيل ٥٣هـ). ينظر: الإصابة(٧٠٥/٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١١٥/٢)، كتاب الزكاة، باب في الزكاة هل تُحمل من بلد إلى بلد حديث رقم (١٦٢٥)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٤٥٠/١).

(٥) هو: عون بن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي الكوفي، له صحبة، توفي سنة (١١٦هـ). ينظر: تهذيب التهذيب (١٥١/٨).

(٦) القلوص هي: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الثنية، وقيل: هي ابنة المخاض، وقيل: هي كل أنثى من الإبل حين تُركب وإن كانت بنت لبون أو حِقّة إلى أن تصير بكرة. ينظر: لسان العرب (٨١/٧).

(٧) أخرجه الترمذي (٤٠/٣) كتاب الزكاة، باب ما جاء أن الصدقة تُؤخَذ من الأغنياء فتُردُّ في الفقراء حديث رقم (٦٤٩) قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد. ينظر: ضعيف سنن الترمذي (٦٨).

(٨) المدونة الكبرى (٢٨٦/٢)، والمبسوط للسرخسي (١٨١/٢).

أصحابنا: أي موضع أدّى فيه أجزأه ويدل عليه أنّا لم نر في الأصول صدقة مخصوصة بموضع حتى لا يجوز أداؤها في غيره. ألا ترى أن كفارات الأيمان والنذور وسائر الصدقات لا يختص جوازها بأدائها في مكان دون غيره[١].

١ــ وروي عن طاوس[٢] أن معاذاً قال لأهل اليمن: ائتوني بخميس[٣] أو لبيس[٤] آخذه منكم في الصدقة مكان الذرة والشعير فإنه أيسر عليكم وخير لمن بالمدينة من المهاجرين والأنصار" [٥] .

فهذا يدل على أنه كان ينقلها من اليمن إلى المدينة وذلك لأن أهل المدينة كانوا أحوج إليها من أهل اليمن .

٢ــ وروي عن عُديّ بن حاتم[٦] أنه نقل صدقة طي إلى رسول الله ﷺ وبلادهم بالبعد من المدينة[٧] .

٣ــ ونقل أيضاً عُديّ والزبرقان بن بدر[٨] صدقات قومهما إلى أبي بكر ﷺ من بلاد بلاد طي وبلاد بني تميم فاستعان بها على قتال أهل الردة[٩] .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣٤٢/٤) .

(٢) هو: طاوس بن كيسان الهمداني الخولاني يُكنى بأبي عبد الرحمن ، من فقهاء أهل اليمن وعبادهم وخيار التابعين وزُهادهم، مرض بمِنى ومات بمكة سنة (١٠١هـ). ينظر: مشاهير علماء الأمصار (١٢٢/١)، وتهذيب التهذيب (٨/٥) .

(٣) الخميس : الثوب الذي طوله خمسة أذرع ، كأنه يعني الصغير من الثياب. وقيل: الخميس ثوب منسوب إلى ملك كان باليمن أمر أن تُعمل هذه الأردية فنُسبت إليه. ينظر: لسان العرب(٧٠/٦).

(٤) اللبيس: ثوب لبيس إذا كثر لبسه وقيل: قد لبس فأخلق. ينظر: لسان العرب (٢٠٢/٦).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١١٣/٤) باب من أجاز أخذ القيم في الزكوات حديث رقم (٧١٦٤).

(٦) هو: عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن امرئ القيس الطائي، أبو وهب، من الأجواد العقلاء، توفي سنة (٦٨هـ). ينظر: الكاشف (١٥/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦٣/٣) .

(٧) أحكام القرآن للجصاص (٣٤٢/٤) .

(٨) هو: الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف البهدلي التميمي، يكنى أبا عياش وقيل: أبا سدرة، وفد على رسول الله ﷺ في قومه وكان أحد ساداتهم، ولاه النبي ﷺ صدقات قومه. ينظر: الاستيعاب (٥٦٠/٢)، وطبقات ابن سعد (٣٧/٧) .

(٩) أحكام القرآن للجصاص (٣٤٢/٤) .

القول الثالث : سهم الفقراء والمساكين يقسم في الموضع، وسائر السهام تُنقل باجتهاد الإمام .

وعند النظر في الأقوال الثلاثة يمكن القول بأن صدقة كل بلد تقسم في فقرائه إلا أن تفضل فتنتقل إلى بلد آخر. وهذا ما قاله الفقهاء الأربعة. الإمام أبو حنيفة[١] والإمام مالك[٢] والإمام الشافعي[٣] والإمام أحمد بن حنبل[٤]. وعند أبي حنيفة أيضاً لا بأس بنقلها إلى قرابته في بلد آخر[٥].

وبذلك تُحمل أحاديث عدم نقل الزكاة من بلدها إلى بلد آخر على وجود المستحقين في البلد الذي جُبيت منه الزكاة. أما الأحاديث التي تدل على نقل الصدقة من بلدها إلى بلد آخر فمحمولة على الفاضل من الصدقات . والله أعلم.

---

(١) البحر الرائق لأبي نجيم (٢/٢٦٩).

(٢) المدونة الكبرى (٢/٢٩٦) .

(٣) الأم للشافعي (٢/٧١)، والإقناع للشربيني (١/٢٣١) .

(٤) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (١/٣٧٤) .

(٥) البحر الرائق (٢/٢٦٩) .

المراد بالرقاب في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة : ٦٠].

ترجيح القرطبي :

رَجَّح القرطبي أن المراد بالرقاب في فك الرقاب، بأن يشتري رقاباً ثم يعتقها عن المسلمين حيث يقول : "وفي الرقاب" أي في فك الرقاب؛ قاله ابن عباس و ابن عمر؛ وهو مذهب مالك وغيره. فيجوز للإمام أن يشتري رقاباً من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين؛ ويكون ولاؤهم لجماعة المسلمين. وإن اشتراهم صاحب الزكاة وأعتقهم جاز. هذا تحصيل مذهب مالك؛ وروي عن ابن عباس والحسن. وبه قال أحمد وإسحاق وأبو عبيد. وقال أبو ثور: لا يبتاع منها صاحب الزكاة نسمة يعتقها بجر ولاء. وهو قول الشافعي وأصحاب الرأي ورواية عن مالك. والصحيح الأول؛ لأن الله عز وجل قال : "وفي الرقاب" فإذا كان للرقاب سهم من الصدقات كان له أن يشتري رقبة فيعتقها. ولا خلاف بين أهل العلم أن للرجل أن يشتري الفرس فيحمل عليه في سبيل الله. فإذا كان له أن يشتري فرساً بالكمال من الزكاة جاز أن يشتري رقبة بالكمال؛ لا فرق بين ذلك"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي هو المروي عن ابن عمر[٢] وابن عباس[٣] ومجاهد[٤] والحسن البصري[٥]. وبه قال مالك[٦] وأحمد في أحد الروايتين عنه[٧]

عنه[٧]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦٦/٨).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (/٥)، وفتح القدير للشوكاني (٤٣٧/٥).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/١)، والدر المنثور للسيوطي (٢٠٤/٤).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/١).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المدونة الكبرى (٣٦٩/٨)، (٢٩٩/٢).

(٧) الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة (٣٣٤/١)، وشرح الزركشي (٣١٢/٢).

وإسحاق[١] وأبو عبيد[٢] ورجّحه ابن جزّي[٣] والسعدي[٤] .

وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أعتق من زكاة مالك[٥]. قال أبو عبيد: قول ابن عباس أعلى ما جاءنا في هذا الباب، وهو أولى بالإتباع وأعلم بالتأويل وقد وافقه عليه كثير من أهل العلم[٦].

وذهب جمهور المفسرين الطبري[٧] والزجاج[٨] والسمرقندي[٩] والثعلبي[١٠] والثعلبي[١٠] والواحدي[١١] والسمعاني[١٢] والبغوي[١٣] والزمخشري[١٤] والبيضاوي[١٥] والنسفي[١٦] وأبو السعود[١٧] والألوسي[١٨] إلى أن المراد بالرقاب في الآية هم المكاتبون. وهذا هو المروي عن علي بن أبي طالب[١٩] وأبي موسى

---

(١) المجموع (٦/١٨٨). وإسحاق هو: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قرين الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة (٢٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/١٩)، وحلية الأولياء (٩/٢٣٤) .

(٢) المجموع (٦/١٨٨)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٧٨).

(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٤١).

(٥) الدر المنثور للسيوطي (٤/٢٠٤).

(٦) المرجع السابق .

(٧) جامع البيان للطبري (١٠/١٦٤).

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٣٦٨).

(٩) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٦٨).

(١٠) الكشف والبيان للثعلبي (٢/٥٢).

(١١) الوسيط للواحدي (١/٤٦٩).

(١٢) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٢١).

(١٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٠٤).

(١٤) الكشاف للزمخشري (٢/٢٧٠) .

(١٥) أنور التنزيل للبيضاوي (٣/١٥٣).

(١٦) مدارك التنزيل للنسفي (٢/٩٥) .

(١٧) تفسير أبي السعود (٤/٧٦).

(١٨) روح المعاني للألوسي (١٠/١٢٣).

(١٩) زاد المسير لابن الجوزي (١/١٧٩).

الأشعري[1]. وإليه ذهب سعيد بن جبير[2] والنخعي[3] والليث[4] والزهري[5] وابن وابن زيد[6] ومالك في أحد الروايتين عنه[7] والشافعي[8] وأبو حنيفة[9] .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال عني بالرقاب في هذا الموضع المكاتبون لإجماع الحجة على ذلك[10].

وقال النووي[11]: واحتج أصحابنا بأن قوله عز وجل:﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [التوبة: ٦٠] كقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦٠] وهناك يجب الدفع إلى مجموع المجاهدين، فهكذا هنا يجب الدفع إلى الرقاب، ولا يكون دفعاً إليهم إلا على مذهبنا. وأما من قال : يشتري به عبيد، فليس بدفعٍ إليهم، وإنما هو دَفعٌ إلى ساداتهم؛ ولأنّ في جميع الأصناف يُسلَّم السهم إلى المستحق ويملكه إياه وينبغي هنا أن يكون كذلك؛ لأن الشرع لم يخصهم بقيد يخالف غيرهم؛ ولأن ما قالوه يؤدي إلى تعطيل هذا السهم في حق كثير من الناس؛ لأن من الناس من لا يجب عليه من الزكاة لهذا السهم ما يشتري به رقبة يعتقها، وإن أعتق بعضها قُوِّم عليه الباقي[12] .

---

[1] أضواء البيان للشنقيطي (١٤٥/٢).

[2] المجموع (١٨٨/٦).

[3] الدر المنثور للسيوطي (٢٠٤/٤).

[4] المجموع (١٨٨/٦). والليث هو: الليث بن سعد أبو الحارث الإمام، ثَبتٌ من نظراء مالك، تـوفي سنة (١٧٥هـ). ينظر: الكاشف (١٥١/٢) ، وحلية الأولياء (٣١٨/٧) .

[5] المجموع (١٨٨/٦) .

[6] زاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/١).

[7] الاستذكار (٢١٢/٣).

[8] الأم للشافعي (٨٥/٢).

[9] الهداية شرح البداية (١١٣/١)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٣٩/٢).

[10] جامع البيان للطبري (١٦٤/١٠).

[11] هو: يحيى بن شرف بن مري الشافعي، أبو زكريا النووي ، الإمام الفقيه الحافظ كان شديد الورع والزهد، بارك الله في تصانيفه لحسن قصده، توفي سنة (٦٧٦هـ) . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٩٥/٨)، وتاريخ الإسلام (٢٤٦/٥٠) .

[12] المجموع (١٨٨/٦).

واستدل لهذا القول بقوله تعالى في المكاتبين : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ ﴾ [النور : ٣٣].

وذهب الشوكاني إلى أن لفظ "الرقاب" يَعُم المكاتب وإعتاق العبد حيث قال: والأولى حمل ما في القولين جميعاً لصدق الرقاب على شراء العبد وإعتاقه وعلى إعانة المكاتب على مال الكتابة[١]. ووافقه القاسمي[٢] والمراغي[٣].

وذهب السعدي إلى أن فك الأسرى داخل في قوله تعالى : "وفي الرقاب". وجمع الأقوال جميعاً حيث قال : الرقاب هم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا بل أولى ، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق الرقاب استقلالاً لدخوله في قوله : "وفي الرقاب"[٤]. ووافقه في الأقوال الثلاثة أبو حيان حيث قال: "وهو الظاهر"[٥]. وكذلك ابن عاشور[٦] والقاسمي[٧].

واستدل لهذا القول بما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه[٨] قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار. فقال: "أعتق النسمة وفك الرقبة. قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣٧٣/٢).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٧/٥).

(٣) تفسير المراغي (١٤٤/٤) .

(٤) تفسير الكريم المنان للسعدي (٣٤١/١).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٩/١٠).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٩/٥).

(٨) هو: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة ، صحابي قائد من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً ، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة كان أولها غزة الخندق، توفي سنة (٧١هـ). ينظر الإصابة (٢٧٨/١)، والاستيعاب (١٥٥/١) .

وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها"[١] .

قال ابن حبيب : "يجزيه لأنها رقبة قد مُلكت بملك الرق فهي تخرج من رق إلى عتق بل ذلك أحق و أولى من فكاك الرقاب التي بأيدينا"[٢] .

قال ابن تيمية : "وفي الرقاب" يدخل فيه إعانة المكاتبين وافتداء الأسرى وعتق الرقاب وهو أقوى الأقوال فيها[٣].

وأرى من خلال النظر فيما ذُكر أن القول بالعموم أولى لأن القاعدة تؤيده وهي:(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل على التخصيص) [٤].
.[٤]

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٩/٤) عن البراء بن عازب حديث رقم (١٨٦٧٠)، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها واللفظ له، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٣٦/٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) التاج والإكليل لمحمد المواق (٣٥٠/٢) .

(٣) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧٤/٢٨).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

حق الغازي من الزكاة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن الغازي إذا كان غنياً يعطى من الزكاة. حيث قال : "قال أبو حنيفة وصاحباه: لا يُعطى الغازي إلا إذا كان فقيراً منقطعاً به. فهذه زيادة على النص، والزيادة عنده على النص نسخ، والنسخ لا يكون إلا بقرآن أو خبر متواتر، وذلك معدوم هنا......... وروى أبو زيد وغيره عن ابن القاسم أنه قال : يُعطى من الزكاة، الغازي وإن كان معه في غزاته ما يكفيه من ماله وهو غني في بلده، وهذا هو الصحيح؛ لظاهر الحديث : "لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي مذهب الإمام مالك[٢] والشافعي[٣] وروي عن ابن القاسم[٤]. ورجّحه الماوردي[٥] والبغوي[٦] وابن عطية[٧] وابن الجوزي في زاد المسير[٨] والخازن[٩] وأبو حيان[١٠].

واستدلوا بحديث النبي ﷺ : "لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جار مسكين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧١/٨) .

(٢) التمهيد (٩٧/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٣٣/٢).

(٣) الأم للشافعي (٧٣/٢).

(٤) التمهيد (٩٧/٥) .

(٥) النكت والعيون للماوردي (٧٦/٢).

(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٠٤/٢).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٥١/٣).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٤٥٨/٣).

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١١٣/٣).

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٦١/٥) .

فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني"[١] .

قال الجصاص: قد يكون الرجل غنياً في أهله وبلده بدار يسكنها، وأثاث يتأثث به في بيته، وخادم يخدمه، وفرس يركبه، وله فضل مائتي درهم أو قيمتها فلا تحل له الصدقة فإذا عزم على الخروج في سفر غزوٍ واحتاج من آلات السفر والسلاح والعدة إلى ما لم يكن محتاجاً إليه في حال إقامته فينفق الفضل عن أثاثه وما يحتاج إليه في مِصره على السلاح والآلة والعدّة فتجوز له الصدقة، وجائز أن يكون الفضل عما يحتاج إليه من دابة الأرض أو سلاحاً أو شيئاً من آلات السفر لا يحتاج إليه في المِصر فيمنع ذلك جواز إعطائه الصدقة إذا كان ذلك يساوي مائتي درهم وإن هو خرج للغزو فاحتاج إلى ذلك جاز أن يعطى من الصدقة وهو غني في هذا الوجه فهذا معنى قوله ﷺ : "الصدقة تحل للغازي الغني"[٢].

وقال أبو حنيفة وصاحباه: لا يعطى الغازي إلا إذا كان فقيراً منقطعاً به[٣].
وروي عن ابن القاسم[٤] ورجَّحه الزمخشري[٥] وأبو السعود[٦] والألوسي[٧].

قال ابن العربي : وهذه زيادة على النص، والزيادة عنده [أي عند أبي حنيفة] على النص نسخ والنسخ لا يكون إلا بقرآن أو خبر متواتر، وهو معدوم هنا[٨].

قال أبو حيان: "والذي يقتضيه تعداد هذه الأوصاف أنها لا تتداخل واشتراط

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه (١١٩/٢) كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني، حديث رقم (١٦٣٦) وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥٩٠/١)، كتاب الزكاة، باب من تحل له الصدقة، حديث رقم (١٨٤١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٦/١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لإرسال مالك بن أنس عن زيد بن أسلم. قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٤٥٥/١).

[٢] أحكام القرآن للجصاص (٣٢٩/٤).

[٣] المبسوط للسرخسي (١٠/٣).

[٤] التمهيد (٩٧/٥).

[٥] الكشاف للزمخشري (٢٧٠/٢).

[٦] تفسير أبي السعود (٧٦/٤).

[٧] روح المعاني للألوسي (١٢٣/١٠).

[٨] أحكام القرآن لابن العربي (٥٣٣/٢).

الفقر في بعضها يقضي بالتداخل فإن كان الغازي أو الحاج شرط إعطائه الفقر فلا حاجة لذكره؛ لأنه مندرج في عموم الفقراء بل كل من كان بوصف من هذه الأوصاف جاز الصرف إليه على أي مال كان من فقر أو غنى؛ لأنه قام به الوصف الذي اقتضى الصرف إليه"[١] .

وبعد النظر في القولين أجد أن حديث النبي ﷺ : "ولا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة" مفسراً لمعنى الآية، ومفسراً أيضاً لقوله ﷺ : "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّةٍ سَوِيٍّ [٢]" [٣]؛ لأن قوله هذا مجمل وليس على عمومه بدليل الخمسة الأغنياء المذكورين في الحديث سابقاً. وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة : (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) [٤] .

وقاعدة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)[٥] .

---

[١] البحر المحيط لأبي حيان (٥/٦١).

[٢] المِرّة : القوة والشدة، والسّوي: الصحيح الأعضاء. ينظر: لسان العرب (٥/١٦٨).

[٣] أخرجه أبو داود في سننه (٢/١١٨)، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغني، حديث رقم (١٦٣٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/٥٨٩)، كتاب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى، حديث رقم (١٨٣٩)، وأخرجه الترمذي في سننه (٣/٥٨٩)، كتاب الزكاة، باب ما جاء من لا تحل له الصدقة، حديث رقم (٦٥٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٦٥)، وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه. شاهده حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة قوي" . وقال الشيخ الألباني : صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (١/٤٥٤).

[٤] قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧).

[٥] المرجع السابق (١/٢٠٦) .

حق ابن السبيل من الزكاة إذا وجد من يسلفه في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن ابن السبيل يُعطى من الزكاة وإن كان غنياً في بلده ولا يلزمه أن يشغل ذمته بالسلف حيث قال : "والمراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله، فإنه يعطى منها وإن كان غنياً في بلده، ولا يلزمه أن يُشغل ذمته بالسلف. وقال مالك في كتاب ابن سحنون : إذا وجد من يسلفه فلا يُعطى. والأول أصح؛ فإنه لا يلزمه أن يدخل تحت منة أحد وقد وجد منة الله تعالى"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي لم أجد له مخالف، إلا ما نقله ابن سحنون[٢] عن الإمام مالك أنه قال : "إذا وجد من يسلفه فلا يعطى"[٣] .

وبعد النظر يترجح ما رجحه القرطبي لظاهر قوله تعالى : ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠] . وعليه قاعدة : (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/٨) .

(٢) هو: فقيه المغرب محمد أبو عبدالله بن فقيه المغرب، عبد السلام بن سحنون بن سعيد التنوخي، تفقه بأبيه، وكان محدثاً بصيراً بالآثار، واسع العلم، متحرياً متفنناً، علامة كبير القدر، توفي سنة (٢٦٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦٠/١٣)، وتاريخ الإسلام (١٦٣/٢٠) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٥٣٤/٢).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

إعطاء المرأة زكاتها لزوجها عند قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي جواز إعطاء المرأة زكاتها لزوجها حيث قال : "واختلفوا في إعطاء المرأة زكاتها لزوجها، فذُكر عن ابن حبيب أنه كان يستعين بالنفقة عليها بما تعطيه. وقال أبو حنيفة : لا يجوز، وخالفه صاحباه فقالا : يجوز. وهو الأصح"(١).

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ذهب إليه الشافعي(٢) وبه قال أبو يوسف(٣) ومحمد(٤) والثوري(٥) وذُكر عن ابن حبيب(٦) .

واستدلوا بحديث زينب(٧) امرأة عبدالله بن مسعود عندما أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أريد أن أتصدق على زوجي أيُجزيني؟ فقال عليه السلام : نعم لك أجران أجر الصدقة وأجر القرابة"(٨).

وقال أبو حنيفة : لا يجوز(٩). وإليه ذهب الإمام مالك أيضاً(١٠) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/٨).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣٣٩/٤).

(٣) الجامع الصغير للشيباني (١٢٣/١).

(٤) المبسوط للشيباني (١٤٩/٢).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٣٣٩/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/٨) .

(٧) هي: زينب بنت معاوية بن عتاب بن الأسعد بن عامرة بن حطيط الثقفية، امرأة عبدالله بن مسعود، روت عن النبي ﷺ وعن زوجها . ينظر: الإصابة (٦٨٠/٧) .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٣٣/٢) كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، حديث رقم (١٣٩٧). وأخرجه مسلم في صحيحه (٦٩٤/٢)، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين حديث رقم (١٠٠٠).

(٩) الجامع الصغير (١٢٣/١).

(١٠) المدونة الكبرى (٢٩٨/٢).

واحتجوا بأنه قد ثبت أن شهادة كل واحد من الزوجين لصاحبه غير جائزة فوجب أن لا يعطي واحد منهما صاحبه من زكاته لوجود العلة المانعة من دفعها في كل واحد منهما[١] .

قال الجصاص معلقاً على الحديث الذي استدل به المجيزون: كانت صدقة التطوع، وألفاظ الحديث تدل عليه وذلك لأنه ذكر فيه أن زينب قالت : "لما حث النبي ﷺ النساء على الصدقة وقال: تصدقن ولو بحليكن، جمعتُ حلياً لي وأردت أن أتصدق فسألت النبي ﷺ " وهذا يدل على أنها كانت صدقة تطوع[٢] .

قال ابن العربي : "صدقة التطوع والفرض هاهنا واحد لأن المنع منه إنما هو لأجل عوده عليه وهذه العلة لو كانت مراعاة لاستوى فيه التطوع والفرض"[٣] .

وبعد النظر في القولين أجد أنه ليس لأبي حنيفة دليل يقاوم النص المذكور[٤]. المذكور[٤]. كما أن ترك استفصاله ﷺ لزينب امرأة عبدالله بن مسعود ينزل منزلة العموم، فلما لم يستفصلها عن الصدقة هل هي تطوع أو واجب؟ فكأنه قال: يجزئ عنك فرضاً كان أو تطوعاً[٥].

وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه) [٦] .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣٣٩/٤) .

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٥٣٧/٢) .

(٤) سبل السلام للأمير الصنعاني (١٤٣/٢).

(٥) نيل الأوطار للشوكاني (٢٤٧/٤).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

جواز صدقة التطوع لبني هاشم عند قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [التوبة : ٦٠] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن صدقة التطوع لا بأس بها لبني هاشم ومواليهم. حيث قال: واختلفوا في جواز صدقة التطوع لبني هاشم، فالذي عليه جمهور أهل العلم – وهو الصحيح – أن صدقة التطوع لا بأس بها لبني هاشم ومواليهم؛ لأن علياً، والعباس[١]، وفاطمة[٢] رضوان الله عليهم تصدقوا وأوقفوا أوقافاً على جماعة من بني هاشم، وصدقاتهم الموقوفة معروفة مشهورة"[٣] .

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي عليه جمهور أهل العلم[٤] .

والدليل لهذا القول أن علي بن أبي طالب والعباس وفاطمة رضوان الله عليهم تصدقوا وأوقفوا أوقافاً على جماعة من بني هاشم وصدقاتهم الموقوفة معروفة مشهورة"[٥] . وأيضاً قال النبي ﷺ : "كل معروف صدقة"[٦] .

---

(١) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عمّ رسول الله ﷺ، كنيته أبو الفضل، ولد قبل الفيل بثلاث سنين ومات سنة (٣٢هـ) في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ينظر: الإصابة (٦٣١/٣)، ومشاهير علماء الأمصار (٩/١) .

(٢) هي: فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها، كانت تُكنى أمَّ أبيها، سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة، وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل. ينظر: تقريب التهذيب (٧٥١/١)، والإصابة (٥٣/٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧٦/٨).

(٤) التمهيد (٩٢/٣)، والمجموع (٢٣٢/٦).

(٥) التمهيد (٩٣/٣) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٤١/٥) كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، حديث رقم (٥٦٧٥)، و أخرجه مسلم في صحيحه (٦٩٧/٢) كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٥) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ [المائدة : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

ولا خلاف في إباحة المعروف إلى الهاشمي والعفو عنه وإنظاره[١] .

وقال ابن الماجشون[٢]، ومُطرِّف[٣]، وأَصْبَغ[٤]، وابن حبيب: لا يُعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة ولا من التطوع[٥] .

واستدلوا لهذا القول بحديث ابن عباس ﷺ قال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء دون الناس إلا بثلاث: إسباغ الوضوء، وأن لا نأكل الصدقة، وأن لا نرى الحمير على الخيل"[٦] . وبما روي أن الحسن بن علي أخذ تمرة من الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ : "كخ كخ ليطرحها، ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة"[٧] . وأيضاً بما روي عن النبي ﷺ أنه قال : "إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس"[٨].

---

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لابن قدامة (٢٧٥/٢) .

(٢) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة، الأعمى الفقيه المالكي، تفقه على الإمام مالك، توفي بالمدينة سنة (٢١٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (١٢٠/١٩).

(٣) هو: مُطرِّف بن عبدالله بن مُطرِّف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي أبو مصعب المدني مولى ميمونة، وأمه أخت مالك بن أنس، ولد سنة ١٣٧هـ وتوفي سنة(٢١٤هـ). ينظر : تهذيب التهذيب (١٥٨/١٠).

(٤) هو: أَصْبَغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الأموي مولاهم، الفقيه المصري أبو عبدالله، كان من أعلم أعلم خلق الله كلهم برأي مالك بن أنس، توفي سنة(٢٢٥هـ). ينظر: تهذيب التهذيب (٣١٥/١).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٠/٢) .

(٦) أخرجه النسائي في المجتبى (٨٩/١)، كتاب الطهارة، باب الأمر بإسباغ الوضوء ، حديث رقم (١٤١). قال الشيخ الألباني : صحيح. ينظر: صحيح سنن النسائي (٥٣/١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٢/٢) كتاب الزكاة، باب ما يُذكر في الصدقة للنبي ﷺ ، حديث رقم (١٤٢٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٥١/٢) كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو الملطب دون غيرهم، حديث رقم (١٠٦٩) .

(٨) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (٧٥٣/٢) كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبيﷺ على الصدقة، حديث رقم (١٠٧٢) .

واعترض عليه بأن الخبر أريد به الفرض؛ لأن الطلب كان لها والألف واللام تعود إلى المعهود. قال ابن القاسم: إنما ذلك في الزكاة لا في التطوع[١].

وقد روى جعفر بن محمد[٢] عن أبيه[٣] أنه كان يشرب من سقايات بين مكة مكة والمدينة. فقلت له: أتشرب من الصدقة؟ فقال: إنما حرمت علينا الصدقة المفروضة[٤].

وقال ابن القاسم : يُعطى بنو هاشم من صدقة التطوع، ويُعطى مواليهم من الصدقتين[٥].

وقال مالك في الواضحة: لا يُعطى لآل محمد من التطوع[٦]. قال ابن القاسم: القاسم: قيل له – يعني مالكاً– فمواليهم؟ قال: لا أدري ما الموالي. فاحتججت عليه بقوله عليه السلام : "مولى القوم منهم"[٧] فقال قد قال: "أخت القوم منهم"[٨].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٥٣٩/٢).

(٢) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أحد السادة الأعلام، توفي سنة (١٤٨هـ)، عن ٦٨ سنة . ينظر: تذكرة الحفاظ ١٦٦/٠١)، والتاريخ الكبير (١٩٨/٢).

(٣) هو: أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين الإمام الثبت الهاشمي المدني، اُشتهر بالباقر من قولهم: بقر العلم يعني شقه فعلم أصله وخفِيّه، ولد سنة ٥٦هـ ، وتوفي سنة (١١٨هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (١٢٤/١)، والكاشف (٢٠٢/٢) .

(٤) معرفة السنن والآثار للشافعي (٢٠/٥).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٠/٣) .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٠/٢).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٣/٢) كتاب الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم، حديث رقم (١٦٥٠)، وأخرجه الترمذي في سننه (٤٦/٣) كتاب الزكاة، باب ما جاء في كراهية الصدقة للنبيﷺ وأهل بيته ومواليه حديث رقم (٦٥٧)، وأخرجه النسائي في المجتبى (١٠٧/٥) كتاب الزكاة، باب مولى القوم منهم حديث رقم (٢٦١٢). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٤٥٩/١).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٩٤/٣) كتاب المناقب، باب ابن أخت القوم ومولى القوم منهم، حديث رقم (٣٣٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٣٥/٢) كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام و تَصَبُّرِ من قوي إيمانه، حديث رقم (١٠٥٩) .

قال أصبغ: وذلك في البرّ والحُرمة[١] .

وعند النظر في الأقوال أجد أن القول الأول تُعضدُّه الأدلة وهو قول جمهور أهل العلم وأما أدلة القول الثاني التي تدل على تحريم الصدقة على آل محمد إنما هي في الصدقات المفروضة وبذلك يترجح ما رجَّحه القرطبي والله أعلم .

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٥٤٠) .

توحيد الضمير في "يرضوه" من قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن السبب في توحيد الضمير في كلمة "يرضوه" أن في الكلام ما يدلّ عليه؛ لأن في رضا الله تعالى رضا الرسول ﷺ فحُذف اختصاراً ومعناه : والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه حيث قال : " قوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ ابتداء وخبر، ومذهب سيبويه أن التقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حُذف... وقال محمد بن يزيد: ليس في الكلام محذوف، والتقدير، والله أحق أن يرضوه ورسوله، على التقديم والتأخير. وقال الفراء : المعنى ورسوله أحق أن يرضوه، والله افتتاح كلام؛ كما تقول: ما شاء الله وشئت. قال النحاس : قول سيبويه أولاها ... قلت : وقيل إن الله سبحانه جعل رضاه في رضاه ألا ترى أنه قال:﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] [(١)].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي رجّحه الزجاج[(٢)] والنحاس في إعراب القرآن[(٣)] والسمرقندي[(٤)] والثعلبي[(٥)] والسمعاني[(٦)] والبغوي[(٧)] والزمخشري[(٨)] وابن عطية[(٩)] وابن الجوزي في زاد المسير[(١٠)] والخازن[(١١)]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٨/٨) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٠/٢).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٢) .

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٦٩/٢).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٨٩/١).

(٦) تفسير القرآن للسمعاني (١٠٥/٢).

(٧) معالم التنزيل للبغوي (٩٧/٢) .

(٨) الكشاف للزمخشري (٢٧٢/٢).

(٩) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٥/٣).

(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (١٠٥/٣).

(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١١٦/٣).

وابن جزّي[١] وأبو حيان[٢] والسمين الحلبي[٣] والثعالبي[٤] وابن عادل[٥] والمراغي[٦] وابن عاشور[٧] وهو مذهب سيبويه، والتقدير عنده: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حُذف[٨].

قال محمد بن يزيد: ليس في الكلام محذوف، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله، على التقديم والتأخير[٩] .

وقال الفراء: المعنى ورسوله أحق أن يرضوه، والله افتتاح كلام؛ كما تقول: ما شاء الله وشئت[١٠].

قال مكي بن أبي طالب: يلزم المبرد من قوله أن يجوز ما شاء الله وشئت بالواو؛ لأنه يجعل الكلام جملة واحدة وقد نُهي عن ذلك إلا بثمّ ولا يلزم سيبويه ذلك لأنه يجعل الكلام جملتين فقول سيبويه هو المختار في الآية[١١] .

وقال النحاس: قول سيبويه أولاها؛ لأنه قد صح عن النبي ﷺ النهي أن يقال: "ما شاء الله وشئت" ولا يقدَّر في شيء تقديم ولا تأخير، ومعناه صحيح[١٢].

وبالنظر في القولين يترجح مذهب سيبويه؛ لأن فيه عدم الفصل بين المبتدأ وخبره، ولأن فيه أيضاً الإخبار بالشيء عن الأقرب إليه، وأيضاً فهو متعين في قول

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٧٩/٢).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦٥/٥) .

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٧٥/٦).

(٤) الجواهر الحسان للثعالبي (٣٧٨/٢).

(٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٣١/١).

(٦) تفسير المراغي (١٥٠/٤). والمراغي هو: أحمد بن مصطفى المراغي، توفي سنة (١٣٧١هـــ). ينظر: معجم المفسرين للنويهض(٨٠/١)

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤٦/١٠).

(٨) كتاب سيبويه (٧٣/١) .

(٩) إعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٢).

(١٠) معاني القرآن للفراء (٣٢٢/١).

(١١) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (٣٢٢/١).

(١٢) إعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٢).

الشاعر :

نحـــن بما عنـــدنا وأنت بما　　　عنـــدك راض والرأي مختلف[١]

إذاً ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة: (يجب حمل معاني كتاب الله تعالى على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة)[٢] .

---

(١) نُسب هذا البيت للعديد من الشعراء . ينظر: جمهرة أشعار العــرب (١٢/١) ، وكتــاب ســيبويه (٧٤/١)، وخزانة الأدب (٢٥٥/٤) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤٥/٢) .

المراد بـــ "يحذر" في قوله تعالى : ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة: ٦٤]

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أنَّ "يحذر" إخبار من الله عز وجل عن حال المنافقين حيث يقول: قوله تعالى : ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ خبر وليس بأمر. ويدل على أنه خبر أنَّ ما بعده ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ لأنهم كفروا عناداً. وقال الزجاج: معناه ليحذر؛ فهو أمر؛ كما يُقال: يفعل ذلك"[١] .

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن الحسن[٢] وقتادة[٣] ومجاهد[٤] .

ورجّحه الزمخشري[٥] وابن عطية[٦] والبيضاوي[٧] وأبو حيان[٨] وأبو السعود[٩] والقاسمي[١٠] والألوسي[١١] وفسر به الطبري[١٢] والبغوي[١٣] والخازن[١٤] والمراغي[١٥] والشنقيطي[١٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٣/٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٤٨/٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٣/٣).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣٤٨/٤) ، وتفسير مجاهد (٢٨٣/١).

(٥) الكشاف للزمخشري (٢٧٣/٢) .

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤/٣) .

(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٥/٣).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٦٧/٥).

(٩) تفسير أبي السعود (٧٩/٤).

(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٤٤٧/٥) .

(١١) روح المعاني للألوسي (١٣٠/١٠).

(١٢) جامع البيان للطبري (١٧١/١٠).

(١٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٠٧/٢).

(١٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخان (٢٣٨/٢) .

(١٥) تفسير المراغي (١٥٢/٤) .

(١٦) أضواء البيان للشنقيطي (١٤٥/٢) .

واستُدل لهذا القول بسياق الآية حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤]. وقد أخرج الله تعالى ما كانوا يخفونه.

وعلى هذا القول يكون الحذر صادر من المنافقين. وهذا الحذر ينافي كونهم لا يصدقون بأن نزول القرآن من الله تعالى، وأن خبره صدق. فكيف يحذرون نزول الوحي على الرسول ﷺ ؟

ذكر الرازي(١) وأبو حيان(٢) وابن عادل(٣) الجواب على ذلك، وكان من عدة عدة وجوه وهي على النحو التالي :

أولاً: أن هذا حذر أظهره المنافقون على وجه الاستهزاء حين رأوا الرسول ﷺ يذكر كل شيء ويدعي أنه عن الوحي، وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، وأمره أن يعلمهم أنه يظهر سرهم الذي حذروا ظهوره، ويدل على ذلك قوله : "استهزئوا" وهذا الوجه اختاره ابن عاشور(٤) .

ثانياً : أن القوم وإن كانوا كافرين بدين الرسول ﷺ إلا أنهم شاهدوا أن الرسول ﷺ كان يخبرهم بما يفسرونه؛ فلهذه التجربة وقع الحذر والخوف في قلوبهم.

ثالثاً : أنهم كانوا شاكين في صحة نبوته، والشاك خائف، فلهذا خافوا أن ينزل عليه في أمرهم ما يفضحهم.

رابعاً : أنهم كانوا يعرفون كونه رسولاً حقاً من عند الله؛ إلا أن كفرهم كان حسداً وعناداً. وهذا الوجه اختاره القرطبي(٥) .

قال الزجاج: لفظ "يحذر" لفظ الخبر ومعناه الأمر، لأنه لا لبس في الكلام أنه أمر، فهو كقولك: ليحذر المنافقون، وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمر به أن تقول يُفعل ذلك، فينُوب عن قولك لِيُفعل ذلك(٦).

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٦/٩٧) .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٦٧) .

(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/١٣٦) .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/٢٤٧) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٨٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٣٧١).

ووافق الزجاج في قوله النسفي[١] والشوكاني[٢].

قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر فيقولون: يرحم الله المؤمن ويعذب الكافر يريدون ليرحم وليعذب فيُسقطون اللام ويجرونه مجرى الخبر في الرفع وهم لا ينوون إلا الدعاء مضارع الأمر. [٣]

وقال أبو حيان : ويُبعد هذا القول قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤]. [٤]

إذا اتضح هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه هو الراجح . وعليه قاعدة : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [٥] .

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٩٦/٢) .

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣٧٦/٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٣/٣) .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦٧/٥).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

إخراج الله تعالى ما يحذره المنافقون في قوله تعالى : ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة: ٦٤].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن أسماء المنافقين نزلت في القرآن الكريم ثم نُسخت. حيث قال: قال ابن عباس أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلاً ثم نُسخت تلك الأسماء من القرآن رأفة منه ورحمة؛ لأن أولادهم كانوا مسلمين والناس يُعيّر بعضهم بعضاً. فعلى هذا قد أنجز الله وعده بإظهاره ذلك إذ قال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ وقيل: إخراج الله أنه عرف نبيه عليه السلام أحوالهم وأسماءهم لا أنها نزلت في القرآن، ولقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ [محمد: ٣٠] وهو نوع إلهام"(١).

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي قاله ابن عباس(٢) ولم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير من يرجح هذا القول.

وقيل: إخراج الله أنه عرَّف نبيه عليه السلام أحوالهم وأسماءهم لا أنها نزلت في القرآن .

قال السعدي: كانت هذه السورة الكريمة [أي سورة التوبة] تسمى الفاضحة؛ لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم إلا أنه لم يُعيّن أشخاصهم لفائدتين :

أحدهما : أن الله ستّير يحب الستر على عباده .

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب حتى خافوا غاية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٨).

(٢) لم أجد من نقل هذا القول عن ابن عباس غير القرطبي وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (١٣٥/١٠).

الخوف[١].

والذي يؤيد هذا ما رواه مسلم عن عمار بن ياسر[٢] قال : "أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال : في أصحابي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج[٣] الجمل في سم[٤] الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدّبيلة[٥]، سراج من نار تظهر بين أكتافهم حتى ينجم[٦] في صدورهم"[٧] .

قال ابن كثير : ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، أي من تعيين جماعة من المنافقين، وهم هؤلاء قد أطلعه عليهم الرسول ﷺ دون غيره"[٨].

وبذلك يترجح أن الله سبحانه وتعالى عرّف نبيه عليه السلام أحوالهم وأسماءهم ولم تنزل في القرآن الكريم . والله أعلم .

---

(١) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٤٢/١).

(٢) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان حليف بني مخزوم، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكان ممن يُعذّب في الله تعالى، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها، قُتل مع علي بصفين سنة (٨٧هـ)، وله ٩٣هـ. ينظر: الإصابة (٥٧٤/٤) .

(٣) من ولج يلج إذا دخل. ينظر: لسان العرب (٢٧٤/٢)، وتهذيب اللغة (١٣١/١١).

(٤) هو: ثقب الإبرة والمخيط. ينظر : لسان العرب (٢٩٨/٧).

(٥) هي: الداهية. ينظر : لسان العرب (٢٣٥/١١).

(٦) نجم الشيء ينجمُ نجوماً : طلع وظهر. ينظر: لسان العرب (٥٦٨/١٢).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٤٣/٤) كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (٢٧٧٩) .

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٤/٢) .

المراد بقوله : "نسوا الله فنسيهم" من قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن النسيان بمعنى الترك ومعنى الآية: تركوا ما أمرهم الله به فتركهم في الشك. حيث قال: "والنسيان : الترك هنا؛ أي تركوا ما أمرهم الله به فتركهم في الشك. وقيل: إنهم تركوا أمره حتى صار كالمنسيّ فصيَّرهم بمنــزلة المنسيّ من ثوابه"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي مفهومه أن الترك من الله يكون في الدنيا حيث تركهم في الشك ولم يهدهم إلى الصواب. وفسر بذلك الثعلبي حيث قال: "قوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: تركوه حين تركوا اتباع نبيه وشرعه . ﴿ فَنَسِيَهُمْۗ ﴾ فتركهم حين لم يهدهم"[٢].

وقيل: إنهم تركوا أمره حتى صار كالمنسي فصيرهم بمنــزلة المنسي من ثوابه.

ومفهوم هذا القول أن الترك من الله يكون في الآخرة. وروي عن ابن عباس[٣] وسعيد بن جبير[٤] وفسر به السمرقندي[٥] والرازي[٦] والخازن[٧] والشوكاني[٨] وابن عاشور[٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٨٣).

(٢) الجواهر الحسان للثعالبي (٢/١٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٨٣٢)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٢٣٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٧١).

(٦) التفسير الكبير للرازي (١٦/١٠١).

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٤٠).

(٨) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٨٠).

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/٢٥٥).

قال الماوردي عند قوله تعالى:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي: تركوا أمره فترك رحمتهم[١]. ووافقه الواحدي[٢] والسمعاني[٣] والزمخشري[٤] والبيضاوي[٥] والنسفي[٦] وابن جزي[٧] وأبو حيان[٨] وأبو السعود[٩] والقاسمي[١٠] والألوسي[١١].
والألوسي[١١].

وقال ابن جرير : وأما قوله:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته[١٢].

ووافقه الزجاج[١٣] والنحاس في معاني القرآن[١٤] والثعلبي[١٥] والبغوي[١٦] وابن عطية[١٧] وابن عادل[١٨] والمراغي[١٩] والسعدي[٢٠].

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٣٧٩/٢).
(٢) الوسيط للواحدي (٤٧١/١).
(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣٢٥/٢).
(٤) الكشاف للزمخشري (٢٧٤/٢).
(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٦/٣).
(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٩٧/٢).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٧٩/٢).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٦٩/٥).
(٩) تفسير أبي السعود (٨٠/٤).
(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٤٥١/٥).
(١١) روح المعاني للألوسي (١٤٢/١٠).
(١٢) جامع البيان للطبري (١٧٥/١٠) .
(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٥/٢).
(١٤) معاني القرآن للنحاس (٢٣١/٣) .
(١٥) الكشف والبيان للثعلبي (٦٦/٥).
(١٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٠٩/٢).
(١٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٦/٣) .
(١٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٤١/١٠).
(١٩) تفسير المراغي (١٥٦/٤).
(٢٠) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٤٣/١) .

وقال ابن أبي زمنين: "نسوا الله" أي : تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم "فنسيهم" فتركهم أن يذّكرهم بما يُذّكر به المؤمن من الخير[1] .

وقال ابن كثير : "نسوا الله" أي : نسوا ذكر الله "فنسيهم" عاملهم معاملة من نسيهم[2].

وعند التأمل في جميع الأقوال أرى أن جميعها صحيحة ولا تعارض بينها لإمكان الجمع ، فمعنى "نسيهم" في هذه الآية. تركهم الله في الدنيا فلم يوفقهم إلى الخير ولم يهدهم إلى الصواب ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥] ، وتركهم أيضاً في الآخرة فلم يدخلهم في رحمته وفضله ولم يستحقوا جنته فتركهم في العذاب ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الجاثية: ٣٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٥١] .

ويؤيد هذا القول ما قرره العلماء أنه إذا احتمل اللفظ عدة معان ولم يمتنع إرادة الجمع حمل عليها[3] .

---

(1) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢١٧).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٦٩).

(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/١١) .

المراد بالمؤتفكات في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ ﴾ [التوبة: ٧٠].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن المراد بالمؤتفكات[١] قوم لوط. حيث يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ ﴾ قيل : يراد به قوم لوط؛ لأن أرضهم ائتفكت بهم، أي انقلبت؛ قاله قتادة. وقيل: المؤتفكات كل من أُهلك ؛ كما يقال: انقلبت عليهم الدنيا"[٢] .

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن ابن عباس[٣] وقتادة[٤] .

ورجّحه أبو عبيدة [٥] والطبري[٦] والسمرقندي[٧] وابن أبي زمنين[٨] والثعلبي[٩] والواحدي[١٠] والسمعاني[١١] والبغوي[١٢] والزمخشري[١٣] وابن عطية [١٤] وابن الجوزي في زاد المسير[١٥]

---

(١) الائتفاك عند أهل العربية الانقلاب كقريات قوم لوط التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت. والمؤتفكات: الرياح تختلف مهابها. والمؤتفكات : الرياح التي تقلب الأرض. ينظر: لسان العرب (٣٩١/١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/٨).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٦/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٣٧/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢١٣/٤) .

(٥) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (٢٦٣/١) .

(٦) جامع البيان للطبري (١٧٧/١٠).

(٧) بحر العلوم للسمرقندي (٧٢/٢).

(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢١٨/٢).

(٩) الكشف والبيان للثعلبي (٦٧/٥) .

(١٠) الوسيط للواحدي (٤٧٢/١).

(١١) تفسير القرآن للسمعاني (٣٢٦/٢).

(١٢) معالم التنزيل للبغوي (٣١٠/٢).

(١٣) الكشاف للزمخشري (٢٧٥/٢).

(١٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٧/٣).

(١٥) زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٨/٣).

والرازي[١] والبيضاوي[٢] والنسفي[٣] والخازن[٤] وابن جزّي الكلبي[٥] وأبو حيان[٦] حيان[٦] وابن كثير[٧] والثعالبي[٨] وأبو السعود[٩] والشوكاني[١٠] والقاسمي[١١] والمراغي[١٢] والسعدي[١٣] والشنقيطي[١٤] وابن عاشور[١٥].

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي : "والمؤتفكات" قوم لوط، ائتفكت أي انقلبت[١٦].

وقيل : المؤتفكات كل من أهلك ؛ كما يقال انقلبت عليهم الدنيا . ذكر هذا القول الزجاج[١٧] والنحاس في إعراب القرآن[١٨] والألوسي[١٩] .

ولم أقف على من يُرجّح هذا القول.

وعند التأمل في القولين أجد أن القول الأول رواه ابن عباس وقتادة. كما أجد

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦/١٠٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٥٧) .

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٢/٩٨).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٤١).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٨٠).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٧٠).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٧٠).

(٨) الجواهر الحسان للثعالبي (٢/١٤٠).

(٩) تفسير أبي السعود (٤/٨٢).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٨٠).

(١١) محاسن التأويل للقاسمي (٥/٤٥٣).

(١٢) تفسير المراغي (٤/١٥٥).

(١٣) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٤٣).

(١٤) أضواء البيان للشنقيطي (٤/٣٨) .

(١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٠/٢٦١) .

(١٦) تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي (١/٢٢٠) .

(١٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٣٧٢).

(١٨) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٢٨).

(١٩) روح المعاني للألوسي (١٠/١٣٥).

أنّ القرية التي انقلبت هي قرية قوم لوط عليه السلام، إذ جعل الله تعالى أعلاها أسفلها، وقد أوضح الله تعالى هذا المعنى في أكثر من موضع، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً ﴾[هود:٨٢]. وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴾. [الحجر: ٧٣].

إذا اتضح هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي وجمهور المفسرين هو الراجح. وعليه قاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [١]. وقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [٢].

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

(٢) المرجع السابق (٢٧١/١) .

المراد بجنات عدن في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن المراد بجنات عدن دار إقامة حيث قال : "أي في دار إقامة. يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام به، ومنه المَعْدِن[١]. وقال عطاء الخرساني : "جنات عدن" هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن جلَّ وعز. وقال ابن مسعود: هي بطنان الجنة، أي وسطها. وقال الحسن: هي قصر من ذهب لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل؛ ونحوه عن الضحاك. وقال مقاتل والكلبي: عدن أعلى درجة في الجنة، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محفوفة بها، وهي مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن يشاء الله"[٢].

المناقشة والترجيح :

ما اختاره القرطبي مروي عن ابن عباس[٣] ورجّحه أبو عبيدة [٤] والطبري[٥] والنحـــاس في المعاني [٦] وابن أبي زمنين[٧] والثعلبي[٨] والسمعاني[٩] والبغوي[١]
والبغوي[١]

---

(١) المَعْدِن: هو المكان الذي يثبت فيه الناس؛ لأن أهله يقيمون فيـه ولا يتحولـون عنـه شـتاءً ولا صيفاً، ومَعدِن كل شيء من ذلك ، ومعدِن الذهب والفضة سمي معدناً لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن أي ثبت فيها. ينظر: لسان العرب (٢٧٩/٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٧/٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣٩/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢١٦/٤) .

(٤) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (٢٦٣/١).

(٥) جامع البيان للطبري (١٧٩/١٠).

(٦) معاني القرآن للنحاس (٣٤٢/٤).

(٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢١٩/٢).

(٨) الكشف والبيان للثعلبي (٦٨/٥).

(٩) تفسير القرآن للسمعاني (٣٠٢/٣).

وابن عطية[٢] والبيضاوي[٣] وأبو حيان[٤] والسمين الحلبي[٥] وابن كثير[٦] وابن عادل[٧] والشوكاني[٨] والألوسي[٩] والقاسمي[١٠] والمراغي[١١] والسعدي[١٢] والشنقيطي[١٣] وابن عاشور[١٤] وابن عثيمين[١٥].

قال الرازي: "حاصل الكلام أن في جنات عدن قولان: أحدهما : أنه اسم علَمٍ لموضع معين في الجنة"[١٦] .

ورجّح هذا القول السمرقندي[١٧] والواحدي[١٨] والزمخشري[١٩] والنسفي[٢٠]

---

(١) معالم التنــزيل للبغوي (٣١٠/٢).
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٨/٣).
(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٧/٣ـ٣٢٧).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٧١/٥).
(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٨٦/٦).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١١/٢).
(٧) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٤٥/١٠).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٣٨١/٢).
(٩) روح المعاني للألوسي (١٣٦/١٠).
(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٤٥٤/٥).
(١١) تفسري المراغي (١٦١/٤).
(١٢) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٤٤/١).
(١٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٢/٢).
(١٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦٤/١٠).
(١٥) تفسير جزء عم لابن عثيمين (٢٨٦) . وابن عثيمين هو: محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن الوهيبي التميمي، أبو عبد الله، إمام عالم من مجتهدي المذهب الحنبلي في هذا العصر، ذو ذكاء وهمة عالية في تحصيل العلم، وكان زاهداً عابداً متواضعاً. ينظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن عثيمين العلمية والعملية .
(١٦) التفسير الكبير للرازي (١٠٦/١٦).
(١٧) بحر العلوم للسمرقندي (٧٣/٢).
(١٨) الوسيط للواحدي (٤٧٢/١) .
(١٩) الكشاف للزمخشري (٢٧٦/٢).
(٢٠) مدارك التنزيل للنسفي (٩٩/٢).

وابن حزي الكلبي[١] والثعالبي[٢] وأبو السعود[٣].

قال الزمخشري : "وعَدْن علَم بدليل قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيًّا ﴾[مريم: ٦١][٤].

قال أبو حيان : "وإنما استدل بالآية على أنّ عدناً علَمٌ؛ لأن المضاف إليها وُصف بالتي وهي معرفة، فلو لم تكن جنات مضافة لمعرفة لم توصف بالمعرفة. ولا يتعين ذلك إذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف، أو منصوباً بإضمار أعني أو أمدح، أو بدلاً من جنات، ويبعد أن تكون صفة لقوله الجنة؛ للفصل بالبدل الذي هو جنات، والحكم أنه إذا اجتمع النعت والبدل قُدِّم النعت وجيء بعده بالبدل"[٥] .

وهناك مجموعة من الآثار تدل على أن جنات عدن اسم لموضع معين في الجنة مع اختلافها في تعيين هذا الموضع .

١ـ قال ابن مسعود : هي بطنان الجنة أي : وسطها[٦] .

٢ـ قال مقاتل والكلبي : عدن أعلى درجة في الجنة، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محفوفة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون ومن يشاء الله[٧]. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : "....فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة أراهُ فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"[٨].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٠/٢).

(٢) الجواهر الحسان للثعالبي (٢٧٠/٢).

(٣) تفسير أبي السعود (٨٣/٤) .

(٤) الكشاف للزمخشري (٢٧٦/٢) .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٧٢/٥) .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٤٠/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٦٣٨/٤) .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي (٦٨/٥) .

(٨) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٢٨/٣) كتاب الجهاد والسير ، بـاب درجـات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم (٢٦٣٧).

٣ــ قال عطاء الخرساني: "جنات عدن" هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن جلَّ وعز[١].

٤ــ قال الحسن : هي قصر من ذهب لا يدخلها إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد أو حكم عَدل[٢].

وروي نحوه عن عبدالله بن عمرو حيث قال : "إن في الجنة قصراً يُقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله إلا نبي أو صديق"[٣] . وذكر الطبري رواية أخرى عن الحسن فيها: "له خمسة آلاف باب على على كل باب خمسة آلاف حبرة" [٤] .

قال القاضي أبو محمد : والآية تأبى هذا التخصيص إذ قد وعد الله بها جميع المؤمنين[٥].

والقول الثاني : أنه صفة للجنة.

قال الأزهري[٦]: والعَدْنُ مأخوذ من قولك عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به يَعْدِن عُدُوناً. عُدُوناً.

وتقول العرب : تركت إبل بني فلان عودان بمكان كذا وكذا وهو أن تلزم الإبل المكان فتألفه ولا تبرحه ومعدن الذهب والفضة سمِّي مَعْدِناً لإنبات الله جلّ وعزَّ فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن أي ثبت[٧] .

وقال الأعشى في معنى الإقامة :

وإن تستضيفوا إلى حكمه   تضافوا إلى راجح قد عدن[١]

والقائلــون بهذا الاشتقــاق قالوا: الجنات كلها جنات عدن. وهو ما اختاره القرطبي

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٦٨/٥) .
(٢) الدر المنثور للسيوطي (٦٣٨/٤).
(٣) المرجع السابق.
(٤) جامع البيان للطبري (١٨٢/١٠).
(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٥/٣) .
(٦) تهذيب اللغة (١٢٩/٢).
(٧) المرجع السابق، ولسان العرب (٢٧٩/١٣).

وجمهور المفسرين .

قال ابن عثيمين : العدن بمعنى الإقامة في المكان وعدم النـــزوح عنه، ومن تمام نعيم أهل الجنة أنّ كل واحد منهم لا يطلب تحولاً عما هو عليه من النعيم؛ لأنّه لا يرى أحداً أكمل منه، ولا يحس في قلبه أنّه في غضاضة بالنسبة لمن هو أرقى منه وأكمل، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴾[الكهف: ١٠٨] أي: لا يبغون تحولاً عما هم عليه؛ لأنّ الله تعالى قد أقنعهم بما أعطاهم فلا يجدون أحداً أكمل نعيماً منهم، ولهذا سمى الله تعالى هذه الجنات جنات عدن" [٢].

وقيل : هي مدينة الجنة، وروي عن الضحاك[٣].

وقيل : إنّه اسم نهر، وروي عن عطاء الخرساني[٤] .

وروي أنّ ابن عباس سأل كعباً عن جنات عدن فقال: هي الكروم والأعناب بالسريانية[٥].

قال القاضي أبو محمد: وأظن هذا وَهْماً اختلط بالفردوس[٦] .

وعند النظر في الآثار المنقولة عن السلف في قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ ﴾ أجد أنها مختلفة ولا يمكن الجمع بينها. ولا يوجد نص من القرآن أو من صحيح السنة يؤيد تخصيص جنات عدن بموضع معين في الجنة.. لذا فإن القول الذي ذهب إليه القرطبي ومن وافقه هو الراجح وعليه قاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص) [٧] .

قـــال ابن القيم : "الصحيح أنهـــا اسم لهـــا كلهـــا، فكلها جنات عدن . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ

(١) ديوان الأعشى(٢٤٦).
(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين (٢٨٦) .
(٣) الدر المنثور للسيوطي (٦٣٨/٤) .
(٤) جامع البيان للطبري (١٨٢/١٠).
(٥) المرجع السابق.
(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٨/٣).
(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣] ، والاشتقاق يدل على أنّ جميعها جنات عدن، فإنّه من الإقامة والدوام"[١] .

[١] فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤٤٤/٣) .

اللامان في" لئن آتانا و لنصدقن" في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أنّ اللام الأولى للقسم والثانية لام الجواب. حيث قال: "وقد أتى بلامين الأولى للقسم والثانية لام الجواب، وكلاهما للتأكيد. ومنهم من قال: إنهما لاما القسم؛ والأول أظهر"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه ابن تيمية[٢] والسمين الحلبي[٣] والشوكاني[٤].

قال الشوكاني: اللام الأولى هي : "لئن آتانا" لام القسم، واللام الثانية هي : "لنصدقن" لام الجواب للقسم والشرط[٥] .

وقال السمين الحلبي : قوله تعالى : "من عاهد الله" : فيه معنى القسم فلذلك أُجيب بقوله : "لنصدَّقن"، وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه، وقد عرفت قاعدة ذلك"[٦] .

وقد ذكرها ابن تيمية عندما قال : "والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقُدِّم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط والقسم" [٧] .

قيل : إنهما لاما القسم . ولم أجد فيما بين يدي من كتب من رجَّح هذا القول .

وبعد النظر والتأمل أرى أن القول الذي رجَّحه القرطبي هو الراجح.

وعليه قاعدة: (يجب حمل كتاب الله تعالى على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة)[٨] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/٨) .

(٢) دقائق التفسير لابن تيمية (٣٣٤/١) .

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٨٧/٦) .

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣٨٤/٢) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٧٨/٦) .

(٧) دقائق التفسير لابن تيمية (٣٣٤/١) .

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤٥/٢) .

هل من شرط المعاهدة أن يحصل التلفظ بها باللسان، أو لا حاجة إلى التلفظ، فلو نواها بقلبه دخل تحت هذه المعاهدة؟ وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [التوبة : ٧٥] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن كل حكم ينفرد به المرء ولا يفتقر إلى غيره، فإنه يلزمه بعد أن يلفظ به. حيث قال: "العهد والطلاق وكل حكم ينفرد به المرء ولا يفتقر إلى غيره فيه، فإنه يلزمه منه ما يلتزمه بقصده وإن لم يلفظ به؛ قاله علماؤنا. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يلزم أحداً حكم إلا بعد أن يلفظ به؛ وهو القول الآخر لعلمائنا..... قال أبو عمر: ومن اعتقد بقلبه الطلاق ولم ينطق به لسانه فليس بشيء. هذا هو الأشهر عن مالك. وقد روي عنه أنه يلزمه الطلاق إذا نواه بقلبه؛ كما يكفر بقلبه وإن لم ينطق بلسانه. والأول أصح في النظر وطريق الأثر"(١) .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه الرازي(٢) وابن تيمية(٣) وهو مذهب الشافعي(٤) وأبو حنيفة(٥) وأحمد(٦) والمشهور عن مالك(٧).

وحجة هذا القول ما رواه مسلم عن أبي هريرة(٨) قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله تجاوز لأمتي عمَّا حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به"(٩).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/٨) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١١/١٦).

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (١٥٠/٣٢).

(٤) الإقناع للشربيني (٤٤٤/٢).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢٣٥/٥).

(٦) الكافي في فقه ابن حنبل (٤٢٤/٤).

(٧) التاج والإكليل (٥٨/٤).

(٨) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي المُلقّب بأبي هريرة، إمام فقيه مجتهد حافظ، سيد الحفاظ الأثبات، روى عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً، توفي سنة (٥٧هـ). ينظر: الإصابة (٣١٦/٤).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٦/١) كتاب الإيمان ، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، حديث رقم (١٢٧).

وقوله ﷺ : "تجاوز الله لأمتي عما وسوست به أنفسها ما لم ينطق به لسان أو تعمله يد"[١] .

قال الرازي: "وأيضاً قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ إخبار عن تَكلُّمِه بهذا القول وظاهره مشعر بالقول باللسان"[٢].

وقيل : كل حكم ينفرد به المرء ولا يفتقر إلى غيره فيه فإنه يلزمه منه ما يلتزمه بقصده وإن لم يلفظ به. رواه أشهب عن مالك[٣] .

قال ابن العربي : "والدليل على صحة ما ذهبنا إليه ما رواه أشهب عن مالك، وقد سُئل إذا نوى رجلٌ الطلاق بقلبه ولم يلفظ به بلسانه يلزمه ذلك أم لا؟ فقال: يلزمه كما يكون مؤمناً بقلبه وكافراً بقلبه. وهذا أصل بديع تحريره أن يقال: عقد لا يفتقر المرء فيه إلى غيره في التزامه فانعقد عليه بنيّة، أصله الإيمان والكفر"[٤] .

قال محمد الزرقي : "لا حجة في أن من كفر في نفسه فقد كفر، على وقوع الطلاق والعتاق بمجرد النية من غير تلفظ؛ لأن من اعتقد الكفر بقلبه أوشك فهو كافر؛ لزوال الإيمان الذي هو عقد القلب مع الإقرار، فإذا زال العقد الجازم كان نفس زواله كفراً، فإنّ الإيمان أمر وجودي ثابت قائم بالقلب، فما لم يقم بالقلب حصل ضده وهو الكفر، وهذا كالعلم والجهل، وإذا فقد العلم حصل الجهل، وكذلك كل نقيضين زال أحدهما خلفه الآخر"[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩٤/٢) كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ولا عتاقه إلا لوجه الله، حديث رقم (٢٣٩١)، وأخرجه أيضاً في (٢٠٢٠/٥) كتاب الطلاق، باب إذا قال لامرأته وهو مكره هذه أختي فلا شيء عليه، حديث رقم (٤٩٦٨)، وأخرجه أيضاً (٢٤٥٤/٦) في كتاب الإيمان والنذور، باب إذا حنثت ناسياً في الأيمان وقول الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ حديث رقم (٦٢٨٧). جميعها من حديث أبي هريرة مع اختلاف يسير في لفظه .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١١/١٦) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٨/٢)، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية (٢٠٣/٥) .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٨/٢).

(٥) زاد المعاد (٢٠٣/٥) .

وبعد النظر في هذه المسألة وجدت أن كل حكم ينفرد به المرء و لا يفتقر إلى غيره فإنه يلزمه، بشرط التلفظ به باللسان. وهو أصح في النظر وطريق الأثر. وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي والقاعدة تؤيده وهي : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه)[1] .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

الضمير في "فأعقبهم" من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٧].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن الضمير في "فأعقبهم" يرجع إلى الله تعالى. حيث قال: "أي: أعقبهم الله تعالى نفاقاً في قلوبهم. وقيل: أي أعقبهم البخل نفاقاً؛ ولهذا قال: "بخلوا به"[١] .

مناقشة الترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن ابن عباس[٢] ومجاهد[٣].

ورجّحه الطبري[٤] والزجاج[٥] والسمرقندي[٦] والواحدي[٧] والسمعاني[٨] والبغوي[٩] والزمخشري[١٠] وابن عطية[١١] والرازي[١٢] والخازن[١٣] وأبو وأبو حيان[١٤] وابن عادل[١٥] وأبو السعود[١٦] والشوكاني[١٧]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤٧٥/٣).

(٣) المرجع السابق .

(٤) جامع البيان للطبري (١٨٨/١٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٣/٢).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٧٦/٢).

(٧) الوسيط للواحدي (٤٧٤/١).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٣١/٢).

(٩) معالم التنزيل للبغوي (٣١٤/٢).

(١٠) الكشاف للزمخشري (٢٧٩/٢).

(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (٦٢/٣).

(١٢) التفسير الكبير للرازي (١١٣/١٦).

(١٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٤٦/٢).

(١٤) البحر المحيط لأبي حيان (٧٥/٥).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥٣/١٠).

(١٦) تفسير أبي السعود (٨٥/٤).

(١٧) فتح القدير للشوكاني (٣٨٥/٢).

والألوسي[١] .

وقيل : أي أعقبهم البخل نفاقاً؛ ولهذا قال : "بخلوا به" . وروي عن الحسن[٢] الحسن[٢] وقتادة[٣] وفسر به النسفي[٤] والمراغي[٥].

قال الرازي : "فأعقبهم نفاقاً" فعل ولابد من إسناده إلى شيء تقدم ذكره والذي تقدَّم ذكره هو الله جل ذكره والمعاهدة والتصدق والصلاح والبخل والتولي والإعراض، ولا يجوز إسناد أعقاب النفاق إلى المعاهدة أو التصدق أو الصلاح؛ لأن هذه الثلاثة أعمال الخير فلا يجوز جعلها مؤثرة في حصول النفاق. ولا يجوز إسناد هذا الإعقاب إلى البخل والتولي والإعراض؛ لأن حاصل هذه الثلاثة كونه تاركاً لأداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثراً في حصول النفاق في القلب؛ لأن ذلك النفاق عبارة عن الكفر وهو جهل وترك بعض الواجب لا يجوز أن يكون مؤثراً في حصول الجهل في القلب، أما أولاً: فلأن ترك الواجب عدم والجهل وجود العدم لا يكون مؤثراً في الوجود ، وأما ثانياً : فلأن هذا البخل والتولي والإعراض قد يوجد في حق كثير من الفساق مع أنه لا يحصل معه النفاق ، وأما ثالثاً : فلأن هذا الترك لو أوجب حصول الكفر في القلب لأوجبه سواء كان هذا الترك جائزاً شرعاً أو كان محرماً شرعاً؛ لأن سبب اختلاف الأحكام الشرعية لا يخرج المؤثِّر عن كونه مؤثراً، وأما رابعاً: فلأنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ فلو كان فعل الأعقاب مسند إلى البخل والتولي والإعراض لصار تقدير الآية فأعقبهم بخلهم وإعراضهم وتوليهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وذلك لا يجوز؛ لأنه فرق بين التولي وحصول النفاق في القلب بسبب التولي ومعلوم أنه كلام باطل فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز إسناد

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٠/١٤٥).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٧٥).

(٣) الكشاف للزمخشري (٢/٢٧٩).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٠٠).

(٥) تفسير المراغي (٤/١٦٩) .

هذا الإعقاب إلى شيء من الأشياء التي تقدم ذكرها إلا إلى الله سبحانه فوجب إسناده إليه فصار المعنى أنه تعالى هو الذي يعقب النفاق في قلوبهم"[١] .

إذا اتضح هذا فإنَّ ما رجَّحه القرطبي هو الراجح للوجوه الأربعة السابقة في كلام الإمام الرازي . والله أعلم.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦/١١٣) .

مرجع الضمير في "يلقونه" من قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٧].

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن الضمير في يلقونه يرجع إلى جزاء البخل حيث قال : "أي يلقون بخلهم، أي جزاء بخلهم؛ كما يُقال: أنت تلقى غداً عملك. وقيل : "إلى يوم يلقونه" أي يلقون الله"[١] .

مناقشة الترجيح:

وافق القرطبي في ترجحيه الألوسي[٢] .

وذهب النسفي إلى عموم الجزاء حيث قال : "إلى يوم يلقونه" أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة[٣]. وفسَّر بذلك المراغي[٤] .

وقيل : "إلى يوم يلقونه" أي يلقون الله .

وذهب إلى هذا القول الطبري[٥] والسمرقندي[٦] وابن عطية[٧] والرازي[٨] والخازن[٩] وأبو حيان[١٠] وابن كثير[١١] وابن عادل[١٢] والشوكاني[١٣] وابن عاشور[١٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٨) .

(٢) روح المعاني للألوسي (١٤٥/١٠).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٠٠/٢).

(٤) تفسير المراغي (١٦٩/٤).

(٥) جامع البيان للطبري (١٨٨/١٠).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٧٦/٢).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٦٢/٣).

(٨) التفسير الكبير للرازي (١١٣/١٦).

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٤٦/٢).

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٧٥/٥).

(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٤/٢).

(١٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥٣/١٠).

(١٣) فتح القدير للشوكاني (٣٨٥/٢).

(١٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧٢/٥).

وذهب البيضاوي إلى الجمع بين القولين. فقال : أي : يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أي : جزاءه وهو يوم القيامة[١]. ووافقه الثعالبي[٢] وأبو السعود[٣] .
السعود[٣] .

قال ابن العربي : "وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه فيُحتمل عود الضمير "يلقونه" إلى ضمير الفاعل في "أعقبهم" المُقدَّر بقولنا هو، ويُحتمل أن يعود إلى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء[٤] .

إذا اتضح هذا فإن قول من ذهب إلى الجمع بين القولين هو الراجح؛ لأنه من المعلوم أن الجمع أولى من الترجيح ما أمكن، والله أعلم .

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٦٠/٣).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٤٤/٢).
(٣) تفسير أبي السعود (٨٥/٤).
(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٥٥٤/٢) .

الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢]

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن الأمر في "فليضحكوا" أمرٌ معناه معنى التهديد. حيث قال: "أمر، معناه معنى التهديد وليس أمراً بالضحك. وقيل: هو أمر بمعنى الخبر. أي إنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً"[١] .

مناقشة الترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي ذهب إليه العز بن عبد السلام في تفسيره[٢] ووافقه النحاس في معاني القرآن[٣] والسمرقندي[٤] والماوردي[٥] وابن الجوزي في زاد المسير[٦] وابن كثير[٧] .

وقيل : هو أمر بمعنى الخبر. أي إنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً".

وإلى هذا القول ذهب جمهور المفسرين، الزمخشري[٨] وابن عطية[٩] والرازي[١٠] والبيضاوي[١١] والنسفي[١٢] والخازن[١٣] والكلبي[١٤] وأبو حيان[١٥]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/٨).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٤٠/٢).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٤٩٣/٢).
(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٧٨/٢).
(٥) النكت والعيون للماوردي (٣٨٧/٢).
(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٤٧٩/٣).
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٨/٢).
(٨) الكشاف للزمخشري (٢٨٢/٢).
(٩) المحرر الوجيز لابن عطية (٦٦/٣).
(١٠) التفسير الكبير للرازي (١١٩/١٦).
(١١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٦٣/٣).
(١٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٠٢/٢).
(١٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٤٨/٢).
(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨١/٢).
(١٥) البحر المحيط لأبي حيان (٨١/٥).

والثعالبي[١] وابن عادل[٢] وأبو السعود[٣] والشوكاني[٤] والألوسي[٥] والقاسمي[٦].
والقاسمي[٦].

قال الرازي عند قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[التوبة: ٨٢]: وهذا إن ورد بصيغة الأمر إلا أن معناه الإخبار بأنه ستحصل هذه الحالة. والدليل عليه قوله بعد ذلك : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة: ٨٢] ومعنى الآية أنهم وإن فرحوا وضحكوا في كل عمرهم فهذا قليل؛ لأن الدنيا بأسرها قليلة، وأما حزنهم وبكاؤهم في الآخرة فكثير؛ لأنه عقاب دائم لا ينقطع والمنقطع بالنسبة إلى الدائم قليل فلهذا المعنى قال : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[التوبة: ٨٢] [٧].

وقال الألوسي : إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل في الدنيا والبكاء الكثير في الأخرى وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تَحتُّم وقوع المخبر به، وذلك لأن صيغة الأمر للوجوب في الأصل والأكثر، فاستُعمل في لازم معناه أو لأنه لا يحتمل الصدق والكذب بخلاف الخبر[٨].

قال ابن عطية: فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم ويُحتمل أن يكون صفة حالهم أي هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلاً وبكاؤهم من أجل ذلك كثيراً [٩]. وإلى هذا الاحتمال ذهب المراغي[١٠] .

---

(١) الجواهر الحسان للثعالبي (١٤٦/٢).
(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٦٠/١٠).
(٣) تفسر أبي السعود (٨٨/٤).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٣٨٨/٢).
(٥) روح المعاني للألوسي (١٥٢/١٠).
(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٩/٥).
(٧) التفسير الكبير للرازي (١١٩/١٦).
(٨) روح المعاني للألوسي (١٥٢/١٠).
(٩) المحرر الوجيز لابن عطية (٦٦/٣) .
(١٠) تفسير المراغي (١٧٤/٤).

وبعد النظر في القولين أرى أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين هو الراجح لقوله تعالى في سياق الآية : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[التوبة: ٨٢] وعليه قاعدة : (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مُرجَّح على ما خالفه)[١].

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٩/١).

السبب في إعطاء النبي ﷺ قميصه لعبد الله بن أبيّ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] .

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن النبي ﷺ أعطى قميصه لعبدالله بن أبيّ مكافأة له حيث قال: "واختلف في إعطاء النبي ﷺ قميصه لعبدالله؟ فقيل: إنما أعطاه؛ لأن عبدالله كان قد أعطى العباس عم النبي ﷺ قميصه يوم بدر. وذلك أنّ العباس لما أُسر يوم بدر وسُلب ثوبه رآه النبي ﷺ كذلك فأشفق عليه؛ فطلب له قميصاً فما وجد له قميصاً يقادره إلا قميص عبدالله، لتقاربهما في طول القامة، فأراد النبي ﷺ بإعطاء القميص أن يرفع اليد عنه في الدنيا، حتى لا يلقاه في الآخرة وله عليه يد يكافئه بها، وقيل: إنما أعطاه القميص إكراماً لابنه وإسعافاً له في طلبته وتطييباً لقلبه. والأول أصح"[١] .

مناقشة الترجيح:

ما رجحه القرطبي ذهب إليه سفيان بن عيينة[٢] ورجّحه البغوي[٣] والزمخشري[٤] والبيضاوي[٥] والخازن[٦] وأبو السعود[٧] والألوسي[٨]. وذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره[٩] .

قال ابن العربي: قال علماؤنا: إنما أعطاه قميصه مكافأة على إعطائه قميصه يوم بدر للعباس فإنه لما أُسر واستُلب ثوبه رآه النبي ﷺ كذلك فأشفق وطلب له

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٠٢).

(٢) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢/٩٤) .

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣١٧).

(٤) الكشاف للزمخشري (٢/٢٨٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٦٣).

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٤٩).

(٧) تفسير أبي السعود (٤/٩٠).

(٨) روح المعاني للألوسي (١٠/١٥٤).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٨٠).

قميصاً فما وجد له في الجملة قميصاً يقادره إلا قميص عبدالله لتقاربهما في طول القامة، فأراد النبي ﷺ بإعطائه القميص أن ترتفع اليد عنه في الدنيا حتى لا يلقاه في الآخرة وله عنده يد يكافئهُ بها"[1] .

وقال ابن عيينة: "كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه"[2] .

وقيل : إنما أعطاه القميص إكراماً لابنه وإسعافاً له في طلبته وتطييباً لقلبه، ورجَّح هذا القول ابن عاشور[3] .

قال النووي : "إنما فعل هذا إكراماً لابنه وكان صالحاً، ولأنه أيضاً من مكارم أخلاقه ﷺ وحسن معاشرته لمن انتسب إلى صحبته"[4] .

وذكر الرازي وجوهاً أخرى مع هذين الوجهين. حيث قال : "وأما دفع القميص إليه فذكروا فيه وجوهاً ... الأول: أن العباس عمّ رسول الله ﷺ لما أُخذ أسيراً ببدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طويلاً فكساه عبد الله قميصه. الثاني: أن المشركين قالوا له يوم الحديبية إنا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال: لا، إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله ﷺ له ذلك . والثالث : أن الله تعالى أمره أن لا يرد سائلاً بقوله : ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠] فلما طلب القميص منه دفعه إليه لهذا المعنى . الرابع : أن منع القميص لا يليق بأهل الكرم. الخامس: أن ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبيّ كان من الصالحين وأن الرسول ﷺ أكرمه لمكان ابنه. السادس : لعل الله تعالى أوحى إليه أنك إذا دفعت قميصك إليه صار ذلك حاملاً لألف نفر من المنافقين في الدخول في الإسلام ففعل ذلك لهذا الغرض"[5].

واستُدل للقول الأول بحديث أخرجه البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: "لما كان يوم بدر أُتي بأُسارى وأُتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب؛ فطلب النبيﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبدالله بن أُبيّ يَقْدِرُ عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع

(1) أحكام القرآن لابن العربي (٥٥٩/٢).
(2) تخريج الأحاديث والآثار (٩٤/٢) .
(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٥/٥) .
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢١/١٧) .
(5) التفسير الكبير للرازي (١٢١/١٦).

النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه"[1] .

وعند النظر في القولين يتضح أنه يمكن الجمع بينهما بأن النبي ﷺ أعطى قميصه لعبد الله بن أبيّ ردّاً للجميل وإكراماً لابنه ولا مانع من ذلك، ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح[2]. والله أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩٥/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى ، حديث رقم (٢٨٤٦) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٤٥/١).

التكبير على الجنائز عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن التكبير على الجنائز أربع تكبيرات حيث قال : "والجمهور من العلماء على أن التكبير أربع. قال ابن سيرين : كان التكبير ثلاثاً فزادوا واحدة. وقالت طائفة: يكبر خمساً؛ وروي عن ابن مسعود وزيد بن أرقم. وعن علي: ست تكبيرات. وعن ابن عباس وأنس بن مالك وجابر بن زيد: ثلاث تكبيرات والمعول عليه أربع"(١) .

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي عليه الجمهور من العلماء(٢) .

قال ابن سيرين(٣): كان التكبير ثلاثاً فزادوا واحدة(٤) .

وعن ابن مسعود قال: كنا نكبر على الميت خمساً أو ستاً ثم اجتمعنا على أربع تكبيرات"(٥).

وعن أبي وائل(٦) قال: كانوا يكبرون على عهد رسول الله ﷺ سبعاً وخمساً وستاً أو قال أربعاً، فجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ فأخبر كل

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٠٣) .

(٢) اختلاف الأئمة العلماء لأبي المظفر الشيباني (١/١٨٥) ، وشرح السنة للبغوي (٥/٣٤٣)، والتمهيد (٦/٣٣٧) .

(٣) هو: محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري، من أروع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعُبّادهم، وكان يُعبّر الرؤيا، مات بالبصرة سنة (١١٠هـ) . ينظر: مشاهير علماء الأمصار (١/٨٨)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٢٤١) .

(٤) المُحلَّى لابن حزم (٥/١٢٧)، واللباب في علوم الكتاب (١٠/١٦٤)، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف للنيسابوري (٥/٤٢٩).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٤٩٦)، وشرح الزرقاني (٢/٧٩).

(٦) هو: شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك النبي ﷺ وليست له صحبة، كانت أمه نصرانية سكن الكوفة وكان من عبادها، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز . ينظر: الثقات (٤/٣٥٤)، والإصابة (٣/٣٨٦)، وتقريب التهذيب (١/٢٦٨) .

رجل بما رأى فجمعهم عمر ﷺ على أربع تكبيرات كأطول الصلاة"[1] .

وقال إبراهيم النخعي: "قُبض رسول الله ﷺ والناس مختلفون فمنهم من يقول كبر النبي ﷺ أربعاً ومنهم من يقول كبر خمساً وآخر يقول سبعاً فلما كان عمر جمع الصحابة فقال لهم انظروا أمراً تجتمعون عليه فأجمع أمرهم على أربع تكبيرات"[2] .

وحجتهم حديث أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي اليوم الذي مات فيه فخرج بهم إلى المُصلّى وكبّر أربع تكبيرات[3] .

قال ابن عبد البر: هو أصح ما يُروى عن النبي ﷺ في التكبير على الجنازة. وقد انعقد الإجماع على أربع وعليه فقهاء الأمصار[4] .

وروي أن النبي ﷺ : "كان يكبر على الجنائز أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانياً حتى جاء موت النجاشي فخرج إلى المُصلّى فصف الناس وراءه وكبَّر عليه أربعاً ثم ثبت النبي ﷺ على أربع حتى توفاه الله عز وجل"[5] .

واحتجوا أيضاً بما رواه الدارقطني[6] عن أُبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: "إن الملائكة صلَّت على آدم فكبرت عليه أربعاً، وقالوا: هذه سنتكم يا بني آدم"[7].

---

(1) سنن البيهقي (٣٧/٤)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤٩٥/٢) .

(2) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣١٤/٣)، ومختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣٨٩/١) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٥٦/٢)، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ، حديث رقم (٩٥١) .

(4) التمهيد (٣٣٢/٦).

(5) الاستذكار (٣٠/٣)، والدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢٣٣/١) ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١٨/٧)، والديباج على مسلم (٣٥/٣).

(6) هو: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي أبو الحسن المقري المحدث، المجود شيخ الإسلام الإمام الحافظ من أهل محلة دار القطن ببغداد. ينظر : سير أعلام النبلاء (٨٥١/٣) ، ووفيات الأعيان (٢٩٧/٣) .

(7) سنن الدارقطني (٧١/٢) .

وقالت طائفة : يكبر خمساً وروي عن ابن مسعود[1] وزيد بن أرقم[2].

روى مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[3] قال: كان زيد يكبر على جنائزنا جنائزنا أربعاً وإنه كبر على جنازة خمساً فسألته فقال: كان رسول الله ﷺ يكبرها"[4] .

قال النووي : وهذا الحديث عند العلماء منسوخ دل الإجماع على نسخه. وقد سبق أن ابن عبد البر وغيره نقلوا الإجماع على أنه لا يكبر اليوم إلا أربعاً، وهذا دليل على أنهم أجمعوا بعد زيد بن أرقم، والأصح أن الإجماع بعد الخلاف يصح والله أعلم[5].

وقيل : ست تكبيرات. روي عن علي أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً وعلى أصحاب محمد ﷺ خمساً وعلى سائر الناس أربعاً[6] .

وقيل: ثلاث تكبيرات. روي عن ابن عباس[7] وأنس بن مالك[8] وجابر بن زيد[1].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (٤٩٦/٢)، وشرح الزرقاني (٧٩/٢) .

(2) مصنف ابن أبي شيبة (٤٩٦/٢) ، ومختصر اختلاف العلماء (٣٨٨/١) . وزيد هو : زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن كعب بن الخزرج الأنصاري، أبو عمر، اُستصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق وغزا مع الرسول ﷺ سبعة عشرة غزوة، ونزل الكوفة وتوفي بها سنة (٦٦هـ) وقيل (٦٨هـ). يننظر: تهذيب التهذيب (٣٤٠/٣)، والإصابة (٥٨٩/٢).

(3) هو: عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، عالم الكوفة، تابعي مشهور، استعمله الحجاج على القضاء، القضاء، ثم عزله، توفي سنة(٨٢هـ أو ٨٣هـ) . ينظر: تذكرة الحفاظ (٥٨/١)، والإصابة (٣٥٧/٤).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٥٩/٢) كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، حديث رقم (٩٥٧).

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٦/٧) .

(6) مصنف ابن أبي شيبة (٤٩٦/٢)، وسنن الدارقطني (٧٣/٢) ، وسنن البيهقي الكبرى (٣٧/٤).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (٤٩٦/٢) ، وشرح السنة (٣٤٥/٥).

(8) المرجعين السابقين .

قال ابن عبد البر: إذا كان السلف في مسألة على قولين أو أكثر ثم أجمع أهل عصر في آفاق المسلمين بعدهم على قول من أقاويلهم وجب الاحتمال عليه والوقوف عنده والرجوع إليه[٢] .

قال ابن بطال[٣]: يُحتمل أن يكون ما روي عن الصحابة من خلاف في ذلك كان قبل اجتماع الناس على أربع، وحديث النجاشي أصح ما روي في ذلك[٤] .

وبالتحقيق في الأقوال أجد أن القول بأربع تكبيرات على الجنائز هو أصح ما يروى عن النبي ﷺ وعليه الإجماع. وبذلك يترجح ما رجَّحه القرطبي . والله أعلم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٩٦/٢) . وجابر بن زيد هو: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري الخوفي، كان عالم أهل البصرة في زمانه، توفي سنة (٩٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨١/٤). وتذكرة الحفاظ (٧٢/١) .

(٢) الاستذكار (٣٠/٣) .

(٣) هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن القرطبي ، ويعرف أيضاً بابن اللجام، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط. ينظر: تاريخ الإسلام (٢٣٣/٣٠).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣١٤/٣) .

قراءة الفاتحة في الصلاة على الجنازة عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي قراءة الفاتحة في الصلاة على الجنازة. حيث قال: "ولا قراءة في هذه الصلاة [أي صلاة الجنازة] في المشهور من مذهب مالك، وكذلك أبو حنيفة والثوري. وذهب الشافعي وأحمد وإسحاق ومحمد بن مسلمة وأشهب من علمائنا وداود إلى أنه يقرأ بالفاتحة....... والعمل على حديث أبي أمامة أولى؛ إذ فيه جمع بين قوله عليه السلام : "لا صلاة" وبين إخلاص الدعاء للميت. وقراءة الفاتحة فيها إنما هي استفتاح للدعاء"(١).

المناقشة والترجيح :

وافق القرطبي في ترجيحه ابن كثير(٢). وهو مذهب الشافعي(٣) وأحمد(٤) وإسحاق(٥) ومحمد بن مسلمة(٦) وأشهب(٧) وداود(٨).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٤/٣) .

(٣) الأم (٢٧٠/١ـ٢٧١)، ومسند الشافعي (٣٥٩/١).

(٤) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (١٣٨/١)، والكافي في فقه ابن حنبل (٢٦١/١). والإمام أحمد هو: أحمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، وكان إمام المحدثين وكتابه المسند، صاحب المذهب المشهور، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع. ينظر: وفيات الأعيان (٦/١)، والبداية والنهاية (٣٢٦/٨).

(٥) الأوسط (٤٣٨/٥)، والشرح الكبير لابن قدامة (٣٤٦/٢).

(٦) القوانين الفقهية لابن جزّي (٦٥/١).

(٧) المرجع السابق. وأشهب هو: أشهب بن عبد العزيز القيسي ، من أهل مصر من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك، ولد سنة ١٤٠هـ، وقيل١٥٠هـ، وتوفي بمصر سنة (٢٠٤هـ). ينظر: الديباج المذهب (٩٩/١) ، والثقات (١٣٦/٨).

(٨) الاستذكار (٤١/٣)، وداود هو: داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، إمام أهل الظاهر، وكان من المتعصبين للشافعي، توفي سنة (٢٧٠هـ). ينظر: طبقات الشافعية (٧٨/١).

واستدلوا بحديث النبي ﷺ : "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب" [١] حملاً على عمومه؛ ولأنها صلاة يجب فيها القيام فوجبت فيها القراءة كسائر الصلوات .

واستدلوا أيضاً بما أخرجه البخاري عن طلحة بن عبدالله بن عوف[٢]، قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب فقال: ليعلموا أنها سنة[٣] .

وأخرج النسائي[٤] من حديث أبي أمامة[٥] قال : "السنة[٦] في الصلاة على الجنائز أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثاً، والتسليم عند الآخرة"[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢/١) كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، حديث رقم (٧٢٢)، ومسلم في صحيحه (٢٩٥/١) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إن لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم (٣٩٤)، وكلاهما من حديث عباد بن الصامت "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" ورواية لمسلم "لا صلاة لمن لم يقترئ بأمّ القرآن".

(٢) هو: طلحة بن عبدالله بن عوف، يكنى أبا محمد ، ولي المدينة، وكان من سراة قريش وأجوادهم. توفي سنة (٩٧هـ) عن ٧٢ سنة. ينظر: المنتظم (٢٥/٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٨/١) كتاب الجنائز، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة، حديث رقم (١٢٧٠).

(٤) هو: أحمد بن شعيب الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن النسائي، صاحب السنن ، توفي شهيداً سنة (٣٠٣هـ) ينظر: الكاشف (١٩٥/١)، وطبقات الحفاظ (٣٠٦) .

(٥) هو: أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري أبو أمامة مشهور بكنيته، ولد قبل وفاة النبيﷺ بعامين وأُتي به إلى النبي ﷺ وسمَّاه وحنَّكه، وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث أرسلها. ينظر: الإصابة (١٨١/١).

(٦) قال النووي: قوله : "سنة" هو كقول الصحابي ﷺ : من السنة كذا . فيكون مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ على المذهب الصحيح. ينظر: المجموع (١٨٨/٥). وقال ابن حجر: وقد أجمعوا على أن قول الصحابي "سنة" حديث مسند. ينظر: فتح الباري (٢٠٤/٣) .

(٧) أخرجه النسائي في سننه (٦٤٤/١)، كتاب الجنائز وتمني الموت، باب الدعاء، حديث رقم (٢١١٦)، له حكم الرفع. قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن النسائي (٥٥/٢).

وذكر محمد بن نصر المروَزِيّ[١] عن أبي أمامة أيضاً قال : "السنة في الصلاة على الجنائز أن تكبر، ثم تقرأ بأم القرآن، ثم تصلي على النبي ﷺ ، ثم تخلص الدعاء للميت، ولا يقرأ إلا في التكبيرة الأولى ثم يُسلِّم"[٢] .

وقيل : لا قراءة في صلاة الجنازة. وهو المشهور من مذهب مالك[٣] وإليه ذهب أبو حنيفة[٤] والثوري[٥] .

واستدلوا بقول النبي ﷺ : "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء"[٦].

قال المباركفوري[٧]: هذا الاستدلال ليس بشيء، فإن المراد بقوله : "فأخلصوا "فأخلصوا له الدعاء" ادعوا له بالإخلاص، وليس فيه نفي القراءة على الجنازة[٨].

وبعد النظر في القولين يتضح لي أن أصحاب القول الأول استدلوا بحديث أبي أمامة، وهو حديث صحيح له حكم الرفع، وفيه وقع الجمع بين قراءة الفاتحة وإخلاص الدعاء للميت. وهذا هو الأولى وبذلك يترجح قول القرطبي ومن وافقه. وعليه قاعدة :(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مُرجِّح له على ما خالفه)[٩].

---

(١) هو: محمد بن نصر أبو عبدالله المروَزِيّ، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام، وكان عالماً بالأحكام. ينظر: البداية والنهاية (١٠٢/١١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٨٩/٣) حديث رقم (٤٨٩/٣) وابن الجارود في المنتقى (١٤١/١) حديث رقم (٥٤٠) .

(٣) المدونة الكبرى (١٧٤/١)، وموطأ مالك (٢٢٨/١).

(٤) المبسوط للشيباني (٤٢٥/١)، والآثار لمحمد بن الحسن (٣٠٦/١).

(٥) الأوسط (٤٣٨/٥) ، ومختصر اختلاف العلماء (٣٩٢/١).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، حديث رقم (٣١٩٩)، وابن ماجه في في سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، حديث رقم (١٤٩٧)، وابن حبان في صحيحه حديث رقم (٣٠٧٦ – ٣٠٧٧)، والبيهقي في سننه حديث رقم (٦٧٥٥) قال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٢٩٩/٢).

(٧) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. ينظر: مقدمة كتابه تحفة الأحوذي (٧/١).

(٨) تحفة الأحوذي (٩٥/٤) .

(٩) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

حكم شهادة أهل البادية في قوله تعالى : ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ ﴾ [التوبة: ٩٧] .

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي جواز شهادة أهل البادية إذا كانوا عدولاً حيث قا ل: "إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة لما في ذلك من تحقق التهمة. وأجازها أبو حنيفة قال: لأنها لا تراعي كل تهمة، والمسلمون كلهم عنده على العدالة. وأجازها الشافعي إذا كان عدلاً مرضياً، وهو الصحيح"[١] .

المناقشة والترجيح:

وافق القرطبي في ترجيحه ابن عادل[٢] وهو مذهب الشافعي[٣] وأبو حنيفة[٤] حنيفة[٤] واستدلوا بما روي عن ابن عباس أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: فقال: إني رأيت الهلال يعني رمضان ، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال : نعم، قال : يا بلال أذّن في الناس : أن صوموا غداً"[٥].

وروى ابن وهب[٦] عن مالك أنه قال : لا تجوز شهادة بدوي على قروي إلا إلا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢١٢) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/١٧٨).

(٣) الأم (٦/٢٠٩).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٢٩).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢/٣٠٢) كتاب الصيام، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، حديث رقم (٢٣٤٠)، وابن ماجه في سننه (١/٥٢٩) كتاب الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال، حديث رقم (١٦٥٢)، والترمذي في سننه (٣/٧٤) كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، حديث رقم (٦٩١)، والنسائي في سننه (٢/٦٨)، كتاب الصيام، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال شهر رمضان، حديث رقم (٢٤٢٢). قال الشيخ الألباني : ضعيف. ينظر: ضعيف سنن أبي داود (١٨٢).

(٦) هو: أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصري كان أحد أئمة عصره، صحب الإمام مالك بن أنس ﷺ عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير، توفي سنة(١٩٧هـ) ينظر: وفيات الأعيان (٣/٣٦).

في الجراح. وقال ابن القاسم عنه: لا تجوز شهادة بدوي على قروي في الحضر إلا في وصية القروي في السفر أو في بيع فتجوز إذا كانوا عدولاً"[1] وكذلك منعها الإمام أحمد بن حنبل[2] .

ومستندهم في ذلك ما روي عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية"[3] .

وأيضاً لأن ما خرج عن العرف ريبة في الشهادة لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] والعرف جارٍ بأن البدوي يشهد للقروي، ولم يجر العرف بإشهاد القروي للبدوي، فصار بخروجه عن العرف متهوماً[4] .

قال أبو بكر الجصاص: الخبر الذي احتجوا به لا يجوز الاعتراض به على ظاهر القرآن مع أنه ليس فيه ذكر الفرق بين الجراح وبين غيرها، ولا بين أن يكون القروي في السفر أو في الحضر فقد خالف المحتج به ما اقتضاه عمومه[5] .

وتأويل الحديث إن ثبت أنهم قلما يضبطون الشهادة على وجهها؛ لجهلهم بأحكام الشريعة، وقصور علمهم عما يحيل الشهادة عن جهتها، فإن كان ضابطاً فطناً بصيراً بما يؤديه منها فلا فرق بينه وبين القروي[6] .

وأما الجواب عن اعتبار العرف في الإشهاد، فهو فاسد بأهل الأمصار والقرى، فإن العرف جارٍ بأن أهل القرى يشهدون أهل الأمصار، ولا يشهد أهل

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٢٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٢/٣٠٩) كتاب الأقضية ، باب شهادة البدوي على أهل الأمصار، حديث رقم (٣٦٠٢)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/٧٩٣)، كتاب الأحكام، باب من لا تجوز شهادته، حديث رقم (٢٣٦٧). قال الشيخ الألباني : صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٢/٣٩٧).

(٤) الحاوي الكبير (١٧/٢١٢) .

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٣٠).

(٦) المرجع السابق، والشرح الكبير لابن قدامة (١٢/٧٠)، وشرح السنة (١/٣٢٧).

الأمصار أهل القرى وهذا العرف غير معتبر، وكذلك في البادية والحاضرة[(١)].

قال أبو بكر الجصاص : يجب التسوية بين شهادة القروي والبدوي؛ لأن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [البقرة:٢٨٢] ، توجه إليهم بذكر الإيمان، وهؤلاء من جملة المؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ يعني من رجال المؤمنين الأحرار، وهذه صفة هؤلاء . ثم قال: ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ وإذا كانوا عدولاً فهم مرضيُّون. وقال في آية أخرى في شأن الرجعة والفراق:﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [الطلاق:٢] وهذه الصفة شاملة للجميع إذا كانوا عدولاً وفي تخصيص القروي بها دون البدوي ترك العموم بغير دلالة، ولم يختلفوا أنهم مرادون بقوله : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ ، وبقوله : ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ لأنهم يجيزون شهادة البدوي على بدوي مثله على شرط الآية، وإذا كانوا مرادين بالآية فقد اقتضت جواز شهادتهم على القروي من حيث اقتضت جواز شهادة بعضهم على بعض، ومن حيث اقتضت جواز شهادة القروي على البدوي [(٢)] .

وإذا اتضح هذه فإن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح والقاعدة ناطقة بأنه : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل تخصيص) [(٣)] .

---

(١) الحاوي الكبير (٢١٣/١٧).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢٢٩/٢) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

المراد بالصدقة في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي رحمه الله أنّ الصدقة المأمور بها هي صدقة الفرض. حيث قال: "اختُلف في الصدقة المأمور بها؟ فقيل: هي صدقة الفرض؛ قاله جويبر عن ابن عباس، وهو قول عكرمة فيما ذكره القشيري. وقيل: هو مخصوص بمن نزلت فيه؛ فإن النبي ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء" [١].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي رواه جويبر عن ابن عباس[٢] وقاله عكرمة[٣].

ورجّحه الطبري[٤] والنحاس في إعراب القرآن[٥] والسمرقندي[٦] وابن عطية[٧] والرازي[٨] والخازن[٩] وأبو حيان[١٠] وابن كثير[١١] والمراغي[١٢] والسعدي[١٣] والشنقيطي[١٤].

واستدلوا بقوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣] حيث دل على أن المأخوذ بعض تلك الأموال لا كلها؛ لأن "من" للتبعيض. ثم إن مقدار ذلك البعض

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٢٣).
(٢) المرجع السابق.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٩٦).
(٤) جامع البيان للطبري (١١/١٦).
(٥) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٣٣).
(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٨٦).
(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٧٨) .
(٨) التفسير الكبير للرازي (١٦/١٤١) .
(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٤٤).
(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٩٩).
(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٨٦) .
(١٢) تفسير المراغي (٤/١٦) .
(١٣) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٥٠).
(١٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢/١١٦) .

غير مُصرّح به، بل المُصرّح به قوله: "صدقة" وليس المراد منه التنكير حتى يكفي أخذ أي جزء كان وإن كان في غاية القلة، مثل الحبة الواحدة من الحنطة، أو الجزء الحقير من الذهب. فوجب أن يكون المراد منه صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم، حتى يكون قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣] أمراً بأخذ تلك الصدقة المعلومة لكي يزول الإجمال وليست إلا الصدقة التي وصفها الرسول ﷺ [١].

ومما يدل أيضاً على أن المراد الصدقات الواجبة قوله:﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[التوبة: ١٠٣] والمعنى: تطهرهم عن الذنب بسبب أخذ تلك الصدقات، وهذا إنما يصح لو قلنا إنه لو لم يأخذ تلك الصدقة لحصل الذنب، وذلك إنما يصح حصوله في الصدقات الواجبة[٢] .

وقيل : هو مخصوص بمن نزلت فيه، فإن النبي ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء. قاله الحسن[٣] وابن زيد[٤].

ورجحه ابن أبي زمنين[٥] والثعلبي[٦] والواحدي[٧] والسمعاني[٨] والبغوي[٩] والبيضاوي[١٠] والنسفي[١١] والثعالبي[١٢] وأبو السعود[١٣]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٩٣/١٠) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٤١/١٦).

(٣) المرجع السابق، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٩٣/١٠) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٧٥/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٦/٣) .

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٢٩/٢) .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (٨٩/٥).

(٧) الوجيز للواحدي (٤٨٠/١).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٤٥/٢).

(٩) معالم التنزيل للبغوي (٣٢٤/٢).

(١٠) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٠/٣) .

(١١) مدارك التنزيل للنسفي (١/٢).

(١٢) الجواهر الحسان للثعالبي (٨٩/٥).

(١٣) تفسير أبي السعود (٩٩/٤).

والألوسي[١] والقاسمي[٢] وابن عاشور[٣].

واحتجوا على صحة قولهم بأنّ الآيات لابد وأن تكون منتظمة متناسبة، فلو حملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلّق بما قبلها ولا بما بعدها، فصارت كلمة أجنبية وذلك لا يليق بكلام الله تعالى[٤] .

واحتجوا أيضاً بما ذكره المفسرون في سبب النزول . فقد أخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ ﴾[التوبة: ١٠٢]أرسل إليهم النبي ﷺ [أي أبو لبابة والجماعة التائبة التي ربطت أنفسها وهي المقصودة بقوله : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ التوبة: ١٠٢] فأطلقهم وعذرهم فجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنّا واستغفر لنا. قال: ما أمرت أن آخذ أموالكم. فأنزل الله عز وجل:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣][٦]. فأخذ رسول الله ﷺ منهم ثلث أموالهم وترك الثلثين ؛ لأن الله عز وجل قال : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ ولم يقل: أموالهم ، فلذلك لم يأخذ كلها .

قالوا: قوله "ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً" حيث لو كانت واجبة لم يقل ذلك . وأيضاً ما روي أنه أخذ الثلث وترك الثلثين. والواجبة ليست كذلك .

وأجيب عن الاحتجاج الأول بأن المناسبة حاصلة أيضاً على القول بأن المراد الزكاة الواجبة، وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف حبهم للمال أُمروا بإخراج الزكاة التي هي طهرة، فلما أخرجوها عَلِمت صحة قولهم وصحة توبتهم. ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم[٧].

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٤/١١).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٩٢/٥) .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/١١) .
(٤) التفسير الكبير للرازي (١٤١/١٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٤٤/٣).
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٧٤/٦) .
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٧٤/٦) .
(٧) التفسير الكبير للرازي (١٤١/١٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٤٤/٣).

وأُجيب عن الاحتجاج الثاني بأن الرواية الواردة في سبب النزول لا تمنع القول بأن المراد الزكاة الواجبة؛ لأنهم رضوا بإخراج الصدقة التي هي غير واجبة فرضوا ببذل الثلث من أموالهم فلأن يكونوا راضين بإخراج الزكاة أولى[1].

وبعد النظر والتأمل في القولين وما احتج به أصحاب كل قول، أجد أن القول الذي رجحه القرطبي هو الراجح. وعليه قاعدة : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [2].

---

(1) التفسير الكبير للرازي (١٤١/١٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٤٤/٣).

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

المقدار الواجب فيه الزكاة من الذهب عند قوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣]

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن الذهب إذا كان عشرين ديناراً فما زاد فالزكاة فيه واجبة.. حيث قال: "وأما زكاة الذهب فالجمهور من العلماء على أن الذهب إذا كان عشرين ديناراً قيمتها مائتا درهم فما زاد أن الزكاة فيها واجبة، ... وروي عن الحسن والثوري، وإليه مال بعض أصحاب داود بن علي على أن الذهب لا زكاة فيه حتى يبلغ أربعين ديناراً. وهذا يرده حديث علي وحديث ابن عمر وعائشة أن النبي ﷺ كان يأخذ من كل عشرين ديناراً نصف دينار، ومن الأربعين ديناراً ديناراً. على هذا جماعة أهل العلم إلا من ذُكر"(١) .

المناقشة والترجيح:

ما رجَّحه القرطبي عليه الجمهور من العلماء(٢) وإليه ذهب الأئمة الأربعة وفقهاء الأمصار(٣). ووافقه في ترجيحه الشنقيطي(٤) .

واستدلوا بما رواه أبو إسحاق(٥) عن عاصم بن ضمرة (٦) والحارث الأعور(٧) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥/٨) .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٥٤/٨)، والمجموع (١٤/٦)، والمغني (٣١٧/٢)، والتمهيد (١٤٥/٢٠).

(٣) شرح الزرقاني (٢٦٧/٣)، والحاوي الكبير (٢٦٧/٣)، وبداية المجتهد لابن رشد (١٨٦/١) .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٢٢/٢) .

(٥) هو: عمر بن عبدالله أبو إسحاق الهمداني السبيعي، رأى علياً وأسامة بن زيد وابن عباس والبراء وزيد بن أرقم. ينظر: التاريخ الأوسط للبخاري (٨/٢) .

(٦) هو: عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي، صاحب علي، وثقه ابن المديني، ويحيى، وقال النسائي: ليس به بأس، مات سنة (٧٤هـ). ينظر: الكاشف (٥١٩/١)، وطبقات ابن سعد (٢٢٢/٦).

(٧) هو: الحارث الأعور بن عبدالله، روى عن علي وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وكان له قول سوء، وهو ضعيف في روايته، توفي بالكوفة. ينظر: طبقات ابن سعد (١٦٨/٦)، والجرح والتعديل للتميمي (٧٨/٣).

صدقة الرِّقة من كل أربعين درهماً، درهماً، وليس في تسعين ومائةٍ شيء، فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة الدراهم" رواه الترمذي[1] ثم قال: سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث. فقال: كلاهما عندي صحيح عن أبي إسحاق[2].

وقيل: لا زكاة في الذهب حتى يبلغ أربعين ديناراً. روي عن الحسن[3] والثوري[4] وإليه مال بعض أصحاب داود بن علي[5] .

وهذا القول مردود بحديث علي ﷺ السابق. وحيث ابن عمر وعائشة:" أنّ النبيﷺ كان يأخذ من كل عشرين ديناراً نصف دينار، ومن الأربعين ديناراً ديناراً"[6].

وبعد النظر والتأمل في القولين يتضح أنّ الأدلة السابقة تقوّي القول الأول الذي هو أن الذهب إذا كان عشرين ديناراً فما زاد فالزكاة فيه واجبة، و هذا القول عليه جماعة أهل العلم إلا من شذَّ من أصحاب القول الثاني، وبذلك يترجَّح ما رجحه القرطبي. والله أعلم .

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (١٦/٣) كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الذهب والورق، حديث رقم (٦٢٠). ونقل الترمذي عن البخاري تصحيح هذا الحديث. قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي (٣٤١/١).

(2) سنن الترمذي (١٦/٣) .

(3) المجموع (١٤/٦)، والمغني (٣١٧/٢) .

(4) التمهيد (١٤٥/٢) .

(5) المرجع السابق، وبداية المجتهد (١٨٦/١).

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزكاة ، باب زكاة الورق و الذهب، حديث رقم (١٧٩١). والدار قطني في سننه (٩٢/٢). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه (٩٧/٢).

إعراب "تزكيهم" في قوله تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن قوله "وتزكيهم بها" حال في الضمير في "خذ" وهو النبيﷺ حيث قال : "وحكى النحاس ومكّي أن "تطهرهم" من صفة الصدقة "وتزكيهم بها" حال في الضمير في "خذ" وهو النبي ﷺ، ويحتمل أن تكون حالاً من الصدقة، وذلك ضعيف لأنها حال من نكرة"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي حكاه النحاس[٢] ومكّي[٣] ورجحه الزجاج[٤] وابن عطيّة[٥] وابن الجوزي في زاد المسير[٦] والرازي[٧] وابن جزّي[٨] وأبو حيان[٩] والسمين الحلبي[١٠] وابن كثير[١١] وابن عادل[١٢] والشوكاني[١٣] والألوسي[١٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/٨) .

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢٣٣/٢).

(٣) مشكل إعراب القرآن (٣٣٥/١). ومكي هو: أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي كان فقيهاً مقرئاً، غلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه، توفي سنة (٤٣٧هـ). ينظر: الديباج المذهّب (٣٤٦/١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٨/٢).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٧٨/٣).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٤٩٦/٣) .

(٧) التفسير الكبير للرازي (١٤٢/١٦).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٤/٢) .

(٩) البحر المحيط لأبي حيان (٩٩/٥).

(١٠) الدر المصون للسمين الحلبي (١١٦/٦) .

(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨٦/٢) .

(١٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٩٤/١٠) .

(١٣) فتح القدير للشوكاني (٣٩٩/٢).

(١٤) روح المعاني للألوسي (١٤/١١) .

وقيل : يحتمل أن تكون حالاً من الصدقة. قاله الأخفش[1] .

ولم أجد من رجَّح هذا القول .

قال السمين الحلبي: وأما "وتزكيهم" فالتاء فيه للخطاب لا غير لقوله "بها" فإن الضمير يعود على الصدقة فاستحال أن يعود الضمير من "تزكيهم" إلى الصدقة، وعلى هذا فتكون الجملة حالاً من فاعل "خذ"[2] .

وقال الألوسي : التاء هنا [أي في تزكيهم] للخطاب لا غير لقوله سبحانه "بها" والحمل على أن الصدقة تزكيهم بنفسها بعيد عن فصاحة التنزيل[3] .

وبعد النظر في القولين أرى أن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة: (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة) [4] .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٣٣). والأخفش هو: سعيد بن سعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه، سُمّي الأخفش لصغر عينيه، توفي سنة (٢١١هـ) . ينظر: البداية والنهاية (١٠/٢٩٣)، الوافي بالوفيات (١٥/١٦١) .

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/١١٦) .

(٣) روح المعاني للألوسي (١١/١٤).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦٤٥) .

الصلاة من النبي ﷺ في"وصل عليهم" من قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣]

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن الصلاة من النبي ﷺ الدعاء وهو أصل في فعل كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة. حيث قال: قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ أصل في فعل كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة. روى مسلم عن عبدالله بن أبي أوفى قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : "اللهم صل عليهم" فأتاه ابن أبي أوفى بصدقته فقال : "اللهم صلّ على آل أبي أوفى" ذهب قوم إلى هذا، وذهب آخرون إلى أن هذا منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا ﴾ [التوبة: ٨٤] قالوا: فلا يجوز أن يصلّى على أحد إلا على النبي ﷺ وحده خاصة؛ لأنه خُصّ بذلك. واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور: ٦٣] وبأن عبدالله بن عباس كان يقول : لا يصلَّى على أحد إلا على النبي ﷺ، والأول أصح"[١] .

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي رجّحه الفراء[٢] وأبو عبيدة[٣] والطبري[٤] والزجاج[٥] والنحاس[٦] والسمرقندي[٧] وابن أبي زمنين[٨] والثعلبي[٩] والسمعاني[١٠]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٤٥١/١).

(٣) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (٢٦٨/١) .

(٤) جامع البيان للطبري (١٦/١١) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٤/٢) .

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٢٥/١).

(٧) بحر العلوم للسمرقندي (٨٦/٢) .

(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٢٩/٢).

(٩) الكشف والبيان للثعلبي (٩٠/٥) .

(١٠) تفسير القرآن للسمعاني (٣٤٥/٢) .

والبغوي[١] والزمخشري[٢] وابن عطية[٣] والبيضاوي[٤] والنسفي[٥] والخازن[٦] وابن والخازن[٦] وابن جزّي[٧] وأبو حيان[٨] وابن كثير[٩] والثعالبي[١٠] وابن عـــادل[١١] عادل[١١] والسيوطي[١٢] وأبو السعود[١٣] والشوكاني[١٤] والألوسي[١٥] والقاسمي[١٦] والمراغي[١٧] والسعدي[١٨] وابن عاشور[١٩]. ويدل على هذا القول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي : إذا دعوت لهم حين يأتون بصدقاتهم سكن ذلك قلوبهم وفرحوا وبادروا رغبة في دعاء النبي ﷺ[٢٠].

واستدلوا بما روي عن عبدالله بن أبي أوفى[٢١] أنه قال : كان رسول الله ﷺ

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٢٤).
(٢) الكشاف للزمخشري (٢/٢٩٣) .
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٧٨).
(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٧٠).
(٥) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٠٨).
(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٤٤) .
(٧) التسهيل للعلوم التنزيل للكلبي (٢/٨٤) .
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٩٥) .
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٨٧) .
(١٠) الجواهر الحسان للثعالبي (٥/٩٠) .
(١١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/١٩٦) .
(١٢) الدر المنثور للسيوطي (٤/٢٧٥) .
(١٣) تفسير أبي السعود (٤/٩٩).
(١٤) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٩٩).
(١٥) روح المعاني للألوسي (١١/١٤) .
(١٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥/٤٩٢).
(١٧) تفسير المراغي (٤/١٧).
(١٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٥٠) .
(١٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٥) .
(٢٠) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٣٤) .
(٢١) هو: عبدالله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن رفاعـــة الأســـلمي، لـــه ولأبيـــه صحبة، شهد الحديبية وروى أحاديث مشهورة، نزل الكوفة ومات بها. ينظر: الإصابة (٤/١٨).

إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: "اللهم صل عليهم" فأتاه ابن أبي أوفى بصدقته فقال: "اللهم صلّ على آل أبي أوفى"[١] . وبما روي عن جابر بن عبدالله[٢] أنه قال : "أتاني النبي ﷺ فقلت لامرأتي: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئاً ؛ فقالت: يخرج رسول الله ﷺ من عندنا ولا نسأله شيئاً! فقالت: يا رسول الله صلّ على زوجي، فقال رسول الله : صلى الله عليك وعلى زوجك"[٣].

وذهب آخرون إلى أن قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة: ١٠٣] منسوخ بقوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] [٤] .

واستدلوا بقوله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن عطية: وهذا وهم بعيد وذلك أن تلك في المنافقين الذين لهم حكم الكافرين، وهذه في التائبين من التخلف الذين لهم حكم المؤمنين فلا تناسخ بين الآيتين[٥] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٤/٢) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ حديث رقم (٣٩٣٣) ، وأخرجه في كتاب الدعوات وقول الله تعالى:﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ باب قول الله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ومن خصّ أخاه بالدعاء دون نفسه، حديث رقم (٥٩٧٣)، وباب هل يصلى على غير النبي ﷺ وقول الله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ ﴾ حديث رقم (٥٩٩٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٥٦/٢)، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة، حديث رقم (١٠٧٨) .

[٢] هو: جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السّلمي، أبو عبدالله الصحابي الجليل، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة ، توفي سنة (٧٨هـ). ينظر: الإصابة (٤٣٤/١)، والاستيعاب (٢١٩/١) .

[٣] أخرجه أبو داود في سننه (٨٨/٢)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على غير النبي ﷺ، حديث رقم (١٥٣٣)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى حديث رقم (١٠٢٦٥). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٤٢٠/١).

[٤] الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٢٥/١).

[٥] المحرر الوجيز لابن عطية (٧٨/٣) .

قال أبو جعفر النحاس: وقد توهم بعض الناس أن قوله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ [التوبة: ٨٤] ناسخ لقوله عز وجل : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وهذا غلط عظيم. ولهذا كره العلماء أن يجترئ أحد على تفسير كتاب الله عز وجل حتى يكون عالماً بأشياء منها الآثار والاختلاف بين أهل الآثار. إذاً قوله عز وجل : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ ﴾ [التوبة: ١٠٣] ليس هم الذين قيل فيهم : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] ويدلك على ذلك أن بعد ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ ﴾ [التوبة: ١٠٣] قوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٤] فكيف لا يصلي على من تاب؟ [١] .

إذا اتضح هذا فإن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة : (لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها)[٢] .

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٢٥/١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٧١/١) .

المراد بالمسجد الذي أُسّس على التقوى من أول يوم في قوله تعالى :

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن المراد بالمسجد الذي أُسّس على التقوى من أول يوم هو المسجد النبوي، حيث قال : "واختلف العلماء في المسجد الذي أُسّس على التقوى، فقالت طائفة: هو مسجد قباء؛ يروى عن ابن عبّاس والضحاك والحسن.. وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: "تمارى رجلان في المسجد الذي أُسّس على التقوى من أول يوم؛ فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال آخر: هو مسجد النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : "هو مسجدي هذا" ... وحديث أبي سعيد الخدري نصَّ فيه النبي ﷺ على أنه مسجده فلا نظر معه"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي روي عن عمر بن الخطاب وأُبيّ بن كعب[٢] وزيد بن ثابت[٣] وأبو سعيد[٤] وعبدالله بن عمر[٥] وابن المسيّب[٦] وخارجة بن زيد[٧] وروي عن الإمام مالك[٨]. ورجحه الطبري[٩] والزجاج[١٠] والواحدي[١١]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/٨) .

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٢٨٧/٤) .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٧٨/٤).

(٤) المرجعين السابقين.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٧٨/٤).

(٦) المرجعين السابقين.

(٧) جامع البيان (٢٧/١١). وخارجة بن زيد هو: خارجة بن زيد بن ثابت الفقيه، أبو زيد الأنصاري، من فقهاء المدينة وعقلائهم وعبَّاد التابعين وعلمائهم، مات سنة (٩٩هـ). ينظر: الكاشف (٣٦١/١)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٤/١)، وتقريب التهذيب (٦٥/٣).

(٨) أحكام القرآن لابن العربي (٥٨٤/٢)، وكتاب الشفا للقاضي عياض (٧٦/٢) .

(٩) جامع البيان للطبري (٢٧/١١).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٧٩/٢) .

(١١) الوجيز للواحدي (٤٨١/١) .

والسمعاني[(١)] وابن عطية[(٢)] وأبو حيان[(٣)] والشوكاني[(٤)] والألوسي[(٥)] وبه بدأ ابن الجوزي في زاد المسير[(٦)].

واستدلوا بما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم؟ فقال رجل : هو مسجد قباء، وقال آخر: هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : "هو مسجدي هذا"[(٧)] .

وعند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : "دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت : يا رسول الله أي المسجدين الذي أُسس على التقوى، قال: فأخذ كفاً من حصباء[(٨)] فضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة"[(٩)] .

قال الشوكاني : "ولا يخفاك أن النبي ﷺ قد عيَّن هذا المسجد الذي أُسِّس على التقوى، وجزم بأنه مسجده، كما قدّمنا من الأحاديث الصحيحة، فلا يقاوم ذلك قول فرد من الصحابة ولا جماعة منهم ولا غيرهم"[(١٠)] .

وقيل: هو مسجد قبـــاء. روي عن ابن عباس[(١١)] وعروة بن الزبـــير[(١٢)]

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٣٤٨/٢) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٢/٣) .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١٠٢/٥) .

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤٠٣/٢).

(٥) روح المعاني للألوسي (٢١/١١) .

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣) .

(٧) تقدم تخريجه ص٤١.

(٨) الحصباء: الحصى واحدته حصبة. ينظر: لسان العرب (٣١٨/١).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠١٥/٢) كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أُسس على التقـوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة، حديث رقم (١٣٩٨).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٠٥/٢) .

(١١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٦٦/١) .

(١٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٨٧/٤)، وعروة بن الزبير هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبدالله ، فقيه مشهور وتابعي جليل، مات سـنة (٩٤هـ) على الصحيح. ينظر: تقريب التهذيب (٣٨٩/١)، والبداية والنهاية (١٠١/٩) .

وسعيد بن جبير[١] والضحاك[٢] والشعبي[٣] والحسن البصري[٤] وقتادة [٥] ومقاتل[٦] ومقاتل[٦] وابن زيد[٧] وأبو سلمة بن عبد الرحمن[٨].

ورجّح هذا القول ابن أبي زمنين[٩] والزمخشري[١٠] وأبو السعود[١١] والقاسمي[١٢] والسعدي[١٣]. وهذا القول هو الأليق بالقصة؛ لأن الموازنة بين مسجد قُباء ومسجد الضرار أوقع منها بين مسجد الرسول ﷺ ومسجد الضرار[١٤] .

ويدل عليه أيضاً سياق الآية وهو قوله سبحانه تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] فالمراد بهم أهل قباء[١٥]، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال :"نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[التوبة : ١٠٨] قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣) والدر المنثور للسيوطي (٢٨٧/٤) .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٠/٢)، وكنز العمال للمتقي الهندي (١٨٣/٢) .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٠/٢) .
(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣) .
(٦) المرجع السابق ، وتفسير مقاتل بن سليمان (٧١/٢).
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٠/٢).
(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣). وأبو سلمه بن عبد الرحمن هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، كان من أفاضل قريش وعبادهم وفقهاء أهل المدينة وزهادهم. مات سنة (١٠٤هـ). ينظر: تقريب التذهيب (٦٤٥/١)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٤/١) .
(٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٣١/٢) .
(١٠) الكشاف للزمخشري (٢٩٦/٢) .
(١١) تفسير أبي السعود (١٠٢/٤) .
(١٢) محاسن التأويل للقاسمي (٥٠٠/٥).
(١٣) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٢/١).
(١٤) الكشاف للزمخشري (٢٩٦/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٢/٥) .
(١٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٤٩/٣).

فيهم هذه الآية" [١] .

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأهل قباء : "إن الله سبحانه قد أحسن عليكم الثناء في التطهر فما تصنعون" قالوا: إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء"[٢] .

وروى الدارقطني عن طلحة بن نافع[٣] قال: حدثني أبو أيوب، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك الأنصاريون عن رسول الله ﷺ في هذه ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] فقال:"يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطُّهور فما طُهوركم هذا ؟ قالوا: يا رسول الله ، نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة. فقال رسول الله ﷺ : فهل مع ذلك من غيره؟ فقالوا: لا غير، إن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء. قال: هو ذاك فعليكموه"[٤] .

قال القرطبي : وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ومسجد قباء كان أُسس بالمدينة أول يوم؛ فإنه بني قبل مسجد النبي ﷺ[٥] .

قال الألوسي: ومعنى تأسيسه على التقوى من أول يوم أنّ تأسيسه على ذلك كان مبتدأ من أول يوم من أيام وجوده لا حادثاً بعده، ولا يمكن أن يراد من أول

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٠/٥) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣١٠٠٠)، وأخرجه أبو داود في سننه (١١/١) باب في الاستنجاء بالماء، حديث رقم (٤٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٢٨/١) باب الاستنجاء بالماء ، حديث رقم (٣٥٧). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي (٢٤٩/٣).

(٢) كنز العمال (١٨٣/٢) .

(٣) هو: طلحة بن نافع الواسطي، أبو سفيان الإسكاف. ينظر: تقريب التهذيب (٢٨٣/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٤/٥)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠٩/١) .

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه (٦٢/١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه(١٢٧/١) كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم (٣٥٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٥٧/١) وقال: حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة . قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه (١٢٧/١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/٨) .

الأيام مطلقاً ضرورة نعم[١].

وذهب ابن عاشور إلى الجمع بين القولين حيث قال : "ووجه الجمع بين هذين [أي القولين] عندي أن يكون المراد بقوله : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [التوبة : ١٠٨] المسجد الذي هذه صفته لا مسجداً واحداً معيناً، فيكون هذا الوصف كلياً انحصر في فردين المسجد النبوي ومسجد قباء، فأيهما صلّى فيه رسول الله ﷺ في الوقت الذي دعوه فيه للصلاة في مسجد الضرار كان ذلك أحق وأجدر فيحصل النجاء من حظ الشيطان في الامتناع من الصلاة في مسجدهم، ومن مطاعنهم أيضاً، ويحصل الجمع بين الحديثين الصحيحين"[٢]. ووافقه في الجمع الرازي[٣] والمراغي[٤] .

قال ابن تيمية : كلا المسجدين أسس على التقوى، لكن مسجد المدينة أكمل في هذا النعت فهو أحق بهذا الاسم، ومسجد قباء كان سبب نزول الآية[٥] .

وهناك قول ثالث في الآية وهو : أن المراد كل مسجد بُني في المدينة. قاله محمد بن كعب[٦] وأخرجه ابن أبي حاتم[٧] عن محمد بن سيرين[٨] .

ورجَّح الشنقيطي أنه عام في كل مسجد أُسّس على التقوى. حيث قال: "وقيل إن حديث مسلم في خصوص مسجد النبي ﷺ جاء ردّاً على اختلاف رجلين في المسجد المعنيّ بها، فأراد ﷺ أن يبين لهم أن الآية ليست خاصة في مسجد قباء، وإنما هي عامة في كل مسجد أسس على التقوى، وإن العبرة بعموم اللفظ

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢١/١١) .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/١١) .

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٥٥/١٦) .

(٤) تفسير المراغي (٢٦/٤) .

(٥) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (٤٠٦/٢٧).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٣).

(٧) هو: الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير محمد بن إدريس إدريس ابن المنذر التميمي الرازي ، ولد سنة ٤٠هـ. ينظر: طبقات الحفاظ (٣٤٦/١) .

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٢/٦) .

لا بخصوص السبب كما هو معلوم في الأصول، وعليه: فالآية إذاً اشتملت وتشتمل على كل مسجد أينما كان إذا كان أساسه من أول يوم بنائه على التقوى ، ويشهد لذلك سياق الآية بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها"[١] .

وبعد النظر يتضح أن ما رجّحه الشنقيطي هو الأولى والأقوى حيث جمع بين الأدلة ووفّق بينها، وبذلك يترجح أنه عام في كل مسجد أُسّس على التقوى، وعليه قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٢].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٢٣/٨) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

إزالة النجاسة من الأبدان والثياب عند قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أنّ إزالة النجاسة من الأبدان والثياب واجب فرض. حيث قال: "واختلف العلماء في إزالة النجاسة من الأبدان والثياب... على ثلاثة أقوال : الأول: أنه واجب فرض، ولا تجوز صلاة من صلى بثوب نجس عالماً كان بذلك أو ساهياً .... وقالت طائفة : إزالة النجاسة واجبة بالسنة من الثياب والأبدان، وجوب سنة وليس بفرض. قالوا: ومن صلى بثوب نجس أعاد الصلاة في الوقت فإن خرج الوقت فلا شيء عليه.. وقال ابن القاسم عنه [أي الإمام مالك]: تجب إزالتها في حالة الذكر دون النسيان؛ وهي من مفرداته. والقول الأول أصح إن شاء الله"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢] والحسن البصري[٣] وابن سيرين[٤] وهو قول الشافعي[٥] وأحمد[٦] وأبي ثور[٧] ورواه ابن وهب عن مالك[٨] وهو قول أبي الفرج المالكي[٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٩/٨) .

(٢) التمهيد (٢٣٦/٢٢) .

(٣) معرفة السنن والآثار (٢٢٤/٢)، والاستذكار (٣٣٤/١) .

(٤) الاستذكار (٣٣٤/١) .

(٥) الأم (٥٥/١) .

(٦) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله (٦٤/١) .

(٧) المجموع (٢٤٠/٢٤) . وأبو ثور هو: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي أبو ثور الفقيه صاحب الشافعي، كان أحد الفقهاء الأعلام. مات سنة (٢٤٦هـ) ينظر: وفيات الأعيان (٢٦/٢).

(٨) أحكام القرآن لابن العربي (٧٥/٢) .

(٩) المرجع السابق، والاستذكار (٣٣٤/١). وأبو الفرج المالكي هو: عمر بن محمد على مذهب مالك، قريب العهد، صاحب كتاب الحاوي في الفقه، وكتاب اللمع في أصول الفقه، توفي سنة (٣٣١هـ). ينظر : تاريخ الإسلام (٩١/٤٦)، والفهرست (٢٨٣/١).

ورجّحه الطبري إلا أنه قال: إن كانت النجاسة قدر الدرهم أعاد الصلاة [١]. وهو قول أبو حنيفة [٢] وأبو يوسف [٣] في مراعاة قدر الدرهم قياساً على حلقة الدبر.

وحجة أصحاب هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤].

فإنّ الآية أمرٌ بطهارة الثياب، والمراد الثياب المحسوسة فإنّ ذلك هو المعروف من لغة العرب وهي لغة القرآن الكريم .

واستدلوا أيضاً بحديث النبي ﷺ بأنه مرَّ على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله"[٤]. فظاهر هذا الحديث يقتضي الوجوب؛ لأن العذاب لا يتعلق إلا بالواجب.

وروى أبو بكر بن شيبة[٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أكثر عذاب القبر من البول"[٦] .

وقالت طائفة : إزالة النجاسة واجبة بالسنة من الثياب والأبدان، وجوب سنة وليس بفرض .

قالوا: ومن صلى بثوب نجس أعاد الصلاة في الوقت فإن خرج الوقت فلا

---

(١) التمهيد (٢٢/٢٣٩).

(٢) المبسوط للشيباني (١/٣٦)، والآثار لمحمد بن الحسن (١/١٩١).

(٣) المبسوط للشيباني (١/٣٦)

(٤) تقدم تخريجه ص٧٩.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١/١١٥). وابن أبي شيبة هو: عبدالله بن محمد بن القاضي أبي شيبة، الإمام العلم، سيد الحفاظ وصاحب الكتب الكبار المسند والمصنف والتفسير. ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٢٢) .

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/١٢٥)، كتاب الطهارة وسننها، باب التشديد في البول، حديث رقم (٣٤٨)، والنسائي في المجتبى (٣/٧٢)، كتاب الافتتاح، باب الدعاء بين التكبيرة والقراءة، نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم، حديث رقم (١٣٤٥)، والإمام أحمد في مسنده (٢/٣٢٦)، (٢/٣٨٨)، (٢/٣٨٩)، (٦/٦١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٢٩٣) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث أبي يحي القتات. قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه (١/١٢٥).

شيء عليه؛ هذا قول مالك وأصحابه[1] إلا أبا الفرج، ورواية ابن وهب عنه كما ذكرت سابقاً .

واحتج أصحاب هذا القول بما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف قال: لم خلعتم نعالكم؟ فقالوا يا رسول الله رأيناك خلعت فخلعنا. قال: إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعله فينظر فيها، فإن رأى بها خبثاً فليلمسه بالأرض ثم ليصل فيهما"[2]. فظاهر هذا الحديث أنه لو كانت واجبة لما بنى على ما مضى من الصلاة، ولكنه لما لم يعد الصلاة دلَّ على أن إزالتها سنة وصلاته صحيحة .

وهناك من جمع بين هذه الآثار فقال: هي فرض مع الذكر والقدرة، ساقطة مع النسيان وعدم القدرة، وهو ما قاله ابن القاسم[3] .

وبعد النظر في الأقوال أرى أن ما رجَّحه القرطبي هو الأولى والأحوط إن شاء الله تعالى .

قال ابن عبد البر: والذي أقول به أن الاحتياط للصلاة واجب، وليس المرء على يقين من أدائها إلا في ثوب طاهر، وبدن طاهر، وموضع طاهر على حدودها، فلينظر المؤمن لنفسه ويجتهد[4] .

---

(١) المدونة الكبرى (٣٣/١) ، والاستذكار (٣٣٤/١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/٣) ، وابن حبان في صحيحه (٥٦٠/٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩١/١) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال مسلم غير يزيد بن هارون فمن رجال الشيخين.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٧٥/٢)، وبداية المجتهد (٥٤/١) .

(٤) التمهيد (٢٤١/٢٢) .

معنى قوله : "فانهار به في نار جهنم" من قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن قوله تعالى : ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ على الحقيقة وأن النبي ﷺ إذ أرسل إليه فهُدِم رُؤي الدخان يخرج منه. حيث قال : اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ هل ذلك حقيقة أو مجازاً على قولين: الأول: أن ذلك حقيقة وأن النبي ﷺ إذ أرسل إليه فهُدم رُؤي الدخان يخرج منه ..، والثاني: أن ذلك مجاز، والمعنى : صار البناء في نار جهنم فكأنه انهار إليه وهوى فيه. والظاهر الأول إذا لا إحالة في ذلك"[١] .

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي هو ترجيح الطبري[٢] وابن جزّي[٣] وأبو حيان[٤] وابن كثير[٥] وابن عادل[٦].

قال جابر بن عبدالله: أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ[٧].

وعن قتادة أنه قال: والله ما تناهى أن وقع في النار، ذُكر لنا أنه حُفرت فيه بقعة فرؤي منها الدخان[٨].

وعن سفيـــان بن عيينة: أنه لا يزال منه دخان يفور لقوله : ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢/٨).
(٢) جامع البيان للطبري (٣٢/١١) .
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٥/٢) .
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٠٤/٥) .
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٢/٢).
(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٠٥/١٠).
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٢/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٣/٤) .
(٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٤/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٣/٤).

جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] ويقال: إنه بقعة في نار جهنم[١] .

وعن ابن مسعود أنه قال: جهنم في الأرض، ثم تلا ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] [٢].

وقال بعضهم: كان الرجل يُدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة[٣].

وقيل : ذلك مجاز، والمعنى : صار البناء في نار جهنم، فكأنه انهار إليه وهوى فيه، وهكذا كقوله تعالى : ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩] .

رجَّح هذا القول الزجاج[٤] والواحدي[٥] والزمخشري[٦] وابن عطية[٧] والشوكاني[٨] والألوسي[٩] والمراغي[١٠] وابن عاشور[١١].

قال ابن عطية: خارج مخرج المثل، أي مثل هؤلاء المضارين من المنافقين في قصدهم معصية الله وحصولهم من ذلك على سخطه كمن ينهار بنيانه في نار جهنم [١٢] .

بعد النظر في القولين أرى أن القول الذي رجَّحه القرطبي هو الراجح للقاعدة المعروفة وهي: (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) [١٣] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٤/٦) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٣/٤).

(٢) التمهيد (٢٦٧/١٣) .

(٣) المرجع السابق، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٤/٥) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨١/٢) .

(٥) الوجيز للواحدي (٤٨٢/١).

(٦) الكشاف للزمخشري (٨٥/٣) .

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٥/٣) .

(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٠٤/٢) .

(٩) روح المعاني للألوسي (٢٢/١١).

(١٠) تفسير المراغي (٢٨/٤).

(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٤/١١) .

(١٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٥/٣) .

(١٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٨٧/٢) .

المراد بالسائحون في قوله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي صحة جميع الأقوال التي ذُكرت في الآية. حيث قال: " قوله : "السائحون" الصائمون؛ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما .... قال عطاء: السائحون المجاهدون .... وقيل: السائحون المهاجرون؛ قاله عبد الرحمن بن زيد. وقيل: هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم؛ قاله عكرمة. وقيل: هم الجائلون بأفكارهم في توحيد ربهم وملكوته، وما خلق من العبر والعلامات الدالة على توحيده وعظمته؛ حكاه النقاش............ قلت: لفظ "س ي ح" يدل على صحة هذه الأقوال؛ فإن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء؛ فالصائم مستمر على الطاعة في ترك ما يتركه من الطعام وغيره ، فهو بمنــزلة السائح، والمتفكرون تجول قلوبهم فيما ذكروا"[١] .

المناقشة والترجيح :

وافق القرطبي في ترجيحه البيضاوي[٢] والنسفي[٣] .

ومستند القرطبي في ترجيحه أصل لفظ "س ي ح" حيث قال : "فإن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء"[٤] .

وقيل : الصائمون. روي عن ابن مسعود[٥] وابن عباس[٦] وعائشة[٧]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٥/٨).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٥/٣) .

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١١١/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٥/٨).

(٥) جامع البيان للطبري (٣٧/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣) .

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٩/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣)، وتنــوير المقبــاس مــن تفسير ابن عباس (١٦٧/١).

(٧) جامع البيان للطبري (٣٩/١١) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤).

وأبو هريرة [١] وسعيد بن جبير[٢] ومجاهد[٣] والضحاك[٤] والحسن[٥] وعطاء[٦] وعطاء[٦] وقتادة[٧] والربيع بن أنس[٨] ومقاتل بن سليمان[٩]. ورجَّح هذا القول الطبري[١٠] والزجاج[١١] والسمرقندي[١٢] وابن أبي زمنين[١٣] والواحدي[١٤] والزمخشري[١٥] والرازي[١٦] وابن كثير[١٧] وأبو السعود[١٨] والألوسي[١٩] .

قال سفيـــان بن عيينة[٢٠]: إنما قيل للصائم سائح؛ لأنه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح[٢١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٩/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣) .

(٣) تفسير مجاهد (٢٨٧/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٩/٦) .

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣) .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٩/٦).

(٧) المرجع السابق، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣).

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٨٩/٦).

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (٧٣/٢) .

(١٠) جامع البيان للطبري (٣٧/١١).

(١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٢/٢) .

(١٢) بحر العلوم للسمرقندي (٩٠/٢) .

(١٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٣٤/٢) .

(١٤) الوجيز للواحدي (٤٨٣/١).

(١٥) الكشاف للزمخشري (٢٩٩/٢).

(١٦) التفسير الكبير للرازي (١٦١/١٦).

(١٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٩٣/٢).

(١٨) تفسير أبي السعود (١٠٦/٤) .

(١٩) روح المعاني للألوسي (٤٠٨/١١) .

(٢٠) هو: سفيان بن عيينة أبو محمد مولى بني هلال الكوفي ، إماماً في التفسير، عالمـــاً ثبتـــاً، حجـــةً زاهداً، مُجمَعاً على صحة حديثه وروايته، سكن مكة، وتوفي بها سنة (١٩٨هـ). ينظر: وفيـــات الأعيان (٣٩١/٢)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٣).

(٢١) الدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤).

وقال أبو طالب[1] :

وبالسائحين لا يـــذوقـــون قطرة　　　　لربهم والذاكرات العوامل [2]

قال الرازي: وفي المعنى الذي لأجله حَسُن تفسير السائح بالصائم، وجهان:

١ـ قال الأزهري: قيل للصائم سائح؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبداً لا زاد معه كان ممسكاً عن الأكل، والصائم يمسك عن الأكل فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحاً.

٢ـ أنّ أصل السياحة، الاستمرار على الذهاب في الأرض، كالماء الذي يسيح والصائم يستمر على فعل الطاعة وترك الأكل والشرب والوقاع[3] .

وقال عطاء : السائحون: المجاهدون[4] .

روى أبو أمامة : أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ في السياحة فقال: "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله"[5] .

رجَّح هذا القول ابن عاشور حيث قال : "هو السير في الأرض، وهو السفر مثل الهجرة والسفر للحج أو الجهـــاد، وحمله هنا على السفر للجهـــاد أنسب بالمقام وأشمل للمؤمنين المأمورين بالجهاد بخلاف الهجرة والحج"[6] .

وقيل: السائحون: المهاجرون؛ قاله عبد الرحمن بن زيد[7] .

---

(١) هو: عبد الجبار المتنبي أبرع أهل وقته أدباً، وأعجبهم مذهباً، وأكثرهم تفنناً في العلوم، وأوسعهم ذراعاً في المنثور والمنظوم. ينظر: المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي (٣٧١/٢) .

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٦/١) ، وأساس البلاغة (٣١٦/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٦١/١٦) .

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣/٨) حديث رقم (٧٧٦٠) بهذا اللفظ، وأخرجه أبو داود في سننه (٥/٣) ، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، حديث رقم (٢٤٦٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٨٣/٢). قال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود (٩٢/٢).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠٨/١١).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤).

وقيل : هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم؛ قاله عكرمة[١] .

وقيل: هم الجائلون بأفكارهم في توحيد ربهم وملكوته، وما خلق من العبر والعلامات الدالة على توحيده وتعظيمه؛ حكاه النقاش[٢].

قال ابن عطية: وهذا قول حسن وهي من أفضل العبادات[٣] .

وذهب القاسمي والمراغي[٤] والسعدي[٥] إلى أن المراد بالسياحة في الأرض الأرض لغرض صحيح كعلم نافع، أو الجهاد، أو النظر في خلق الله، أو طلب الرزق الحلال من تجارة وغيرها، أو الحج والعمرة، أو صلة الأقارب ونحو ذلك .

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أن القول الذي رجَّحه القرطبي فيه جمع للأقوال ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح. وبذلك ما رجحه القرطبي هو الراجح والله أعلم.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٦/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٤).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٩/٣). والنقاش هو: محمد بن الحسن بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، إمام علم، مقرئ مفسر، ذو نُسك وورع، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، توفي سنة (٣٥١هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٩٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٧٥) .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٩/٣).

(٤) تفسير المراغي (٥١٠/٥).

(٥) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٣/١) .

المراد بالمعروف في قوله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بالمعروف السنة. حيث قال:" قوله :﴿ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ أي بالسنة، وقيل: بالإيمان........ وقيل: هو عموم في كل معروف ومنكر" [(١)] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي اكتفى به الثعلبي في تفسيره[(٢)] ووافقه الثعالبي[(٣)] .

وقيل : "الآمرون بالمعروف" أي بالإيمان والتوحيد. قاله ابن عباس[(٤)] وسعيد بن جبير[(٥)] ومقاتل بن سليمان[(٦)] ورجحه الواحدي[(٧)] والسمعاني[(٨)] والبغوي[(٩)] والبيضاوي[(١٠)] والنسفي[(١١)] والخازن[(١٢)] وابن عادل[(١٣)] وأبو السعود[(١٤)].

قال أبو العالية : كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/٨) .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٩٨/٥).

(٣) الجواهر الحسان للثعالبي (٩٨/٥).

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٦٧/١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٩١/٦).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٧٣/٢) .

(٧) الوجيز للواحدي (٤٨٣/١).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٢/٢) .

(٩) معالم التنزيل للبغوي (١٧٥/٣) .

(١٠) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٥/٣) .

(١١) مدارك التنزيل للنسفي (١١١/٢).

(١٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٥٢/٣).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٢٠/١٠).

(١٤) تفسير أبي السعود (١٠٧/٤) .

المنكر، فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر النهي عن عبادة الأوثان والشياطين[1] .

وقيل : هو عام في كل معروف .

ورجح هذا القول الطبري[2] والسمرقندي[3] وابن عطية[4] وابن كثير[5] والشوكاني[6] والألوسي[7] والمراغي[8] والسعدي[9] وابن عاشور[10] وجوَّزه الزجاج[11] والنحاس في معاني القرآن[12].

قال الطبري : وأما قوله : ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ فإنه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهوهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه[13].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال يتضح أن القول بأن الأمر بالمعروف هو: كل ما أمر الله سبحانه وتعالى به عباده، أو رسوله ﷺ وعلى رأسه الإيمان بالله، والنهي عن المنكر هو: كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله ﷺ وعلى رأسه الشرك بالله، قول عام. وقد قال الطبري: وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنها عنى بها خصوص دون عموم، ولا خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل

(١) جامع البيان للطبري (٣٩/١١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٩٠/٢).
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٩/٣).
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٣/٢).
(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٠٨/٢).
(٧) روح المعاني للألوسي (٣١/١١) .
(٨) تفسير المراغي (٣٤/٤).
(٩) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٣/١) .
(١٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤١/١١).
(١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٢/٢).
(١٢) معاني القرآن للنحاس (٢٥٨/٣) .
(١٣) جامع البيان للطبري (٣٩/١١).

العموم بها أولى[١].

وبذلك ما رجّحه الطبري ومن وافقه هو الراجح وعليه قاعدة:(يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[٢] .

---

(١) جامع البيان للطبري (٣٩/١١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

معنى التوبة على النبي ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار في قوله تعالى :

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧] .

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أنّ التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في التخلف عنه، وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه. حيث قال : "واختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار على أقوال؛ فقال ابن عباس: كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود؛ دليله قوله : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه. وقيل: توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة. وقيل: خلاصهم من نكاية العدو، .... وقال أهل المعاني: إنما ذُكر النبي ﷺ في التوبة؛ لأنه لما كان سبب توبتهم ذُكر معهم، كقوله : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٤١] [١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢] ورجّحه السمرقندي[٣] والواحدي[٤] والبغوي[٥] والبيضاوي[٦] والخازن[٧] وابن عادل[٨] وأبو السعود[٩]

السعود[٩]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٥٣).

(٢) لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير من نقل هذا القول عن ابن عباس غير القرطبي. ينظر: المرجع السابق.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٩٣).

(٤) الوجيز للواحدي (١/٤٨٥).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٣٣).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٧٧) .

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٥٧).

(٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٢٦).

(٩) تفسير أبي السعود (٤/١٠٨) .

والمراغي[١].

قال الخازن: "معنى توبة الله على النبي ﷺ : "عدم مؤاخذته بإذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك، وهي كقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً" ، ثم قال: "وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار فلأجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة تبوك؛ لأنها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم أنّا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس"[٢] .

وقيل : توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة. ذكره العز بن عبد السلام[٣]. ولم أجد من رجّحه من المفسرين .

وقيل : خلاصهم من نكاية العدو، وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه، وهو الرجوع إلى الحالة الأولى. ذكره العز بن عبد السلام[٤]. ولم أجد من رجّحه من المفسرين .

وقال أهل المعاني: المراد ذكر التوبة على المهاجرين والأنصار، إلا أنه جيء في ذلك بالنبي ﷺ تشريفاً لهم وتعظيماً لقدرهم في ضم توبتهم إلى توبة النبي ﷺ كما ضُمّ اسم الرسول ﷺ إلى اسم الله تعالى في قوله : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٤١] فهو تشريف له. ولما كان ﷺ سبب توبتهم ذكر معهم[٥].

(١) تفسير المراغي (٤٠/٤).
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٥٧/٣) .
(٣) تفسر العز بن عبد السلام (٥٦/٢).
(٤) المرجع السابق.
(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥١/٣).

وقد اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه الآية اختلاف عبارة ، ومن أجمع ما قيل في تفسيرها ما ذكره السعدي حيث قال: "غفر لهم الزلات ووفر لهم الحسنــات ورقــاهم إلى أعلى الدرجــات وذلك بسبب قيــامهم بالأعمــال الصعبة الشاقات"[1]. وفي معنى هذا القول فسَّر الطبري[2] والشنقيطي[3] وابن عاشور[4].

وقال الزمخشري: "قوله : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[التوبة: ١١٧] ، كقوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥] وهو بَعثٌ للمؤمنين على التوبة، وأنّه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار، وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء. كما وصفهم بالصالحين ليُظهر فضيلة الصلاح"[5] . وذكره القاسمي[6].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أستطيع القول بأن النبي ﷺ والمؤمنين معه لمّا تحملوا المشاقّ وصبروا على الشدائد العظيمة، غفر الله تعالى لهم وتاب عليهم، لأجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة. وقد علم المسلمون كلهم أن النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا المحور تدور عليه جميع الأقوال السابقة التي ذكرت في الآية ، وبالتالي يمكن الجمع بينها والله أعلم .

---

(١) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٤/١).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٤/١١).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/١) .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٠/١١).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٠٢/٢).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٨/٥).

المراد بساعة العسرة في قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧].

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بساعة العسرة جميع أوقات تلك الغزوة ولم يرد ساعة بعينها. حيث قال: " قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] أي في وقت العسرة، والمراد جميع أوقات تلك الغزاة ولم يرد ساعة بعينها. وقيل: ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة "[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه الزجاج[٢] والسمرقندي[٣] وابن أبي زمنين[٤] والثعلبي[٥] والسمعاني[٦] والبغوي[٧] والزمخشري[٨]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣/٨) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٤/٢).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٩٣/٢).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٣٦/٢) .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٠٤/٥).

(٦) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٥/٢).

(٧) معالم التنزيل للبغوي (٣٣٣/٢).

(٨) الكشاف للزمخشري (٣٠٣/٢).

وابـــــن عطيـــــة[1] وابــــن الجـــوزي[2] والبيضـــــاوي[3] والنسفـــي[4] والخـــازن[5] وابن جــــزّي[6] والسمـــين الحلبي[7] وابن عادل[8] وأبو السعود[9] والشوكاني[10] والألوسي[11] والقاسمي[12]. وفسّر به الطبري[13] والماوردي[14] والواحدي[15] والمراغي[16] والسعدي[17].

قال الزمخشري: والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم[18].

قال الشاعر[19] :

غَداة طغت علماء بكر بن وائل .... [1]

---

(1) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٩٢).

(2) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٥١١) .

(3) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٧٧).

(4) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١١٣).

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٥٧).

(6) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٨٦).

(7) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/١٣٢).

(8) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٢٧).

(9) تفسير أبي السعود (٤/١٠٨).

(10) فتح القدير للشوكاني (٢/٤١٣).

(11) روح المعاني للألوسي (١١/٤٠).

(12) محاسن التأويل للقاسمي (٥/٥١٨).

(13) جامع البيان للطبري (١١/٥٤) .

(14) النكت والعيون للماوردي (٢/٤١١).

(15) الوجيز للواحدي (١/٤٨٥) .

(16) تفسير المراغي (٤/٤٠) .

(17) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٥٤).

(18) الكشاف للزمخشري (٣/٣٠٣) .

(19) هو: قطري بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن بن يزيد بن زياد المـــازني، رأس الخوارج خرج زمن ابن الزبير وحُمل رأسه سنة (٧٩هـ) إلى الحجاج، وكان خطيباً بليغاً كبير المحل من أفراد زمانه. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/١٥٢)، ووفيات الأعيان (٤/٩٣).

وقال آخر[2] :

....   عشية قارعنا جُذام[3] وحميرا[4][5]

وقال آخر[6] :

إذا جاء يوماً ، وارثي يبتغي الغنى   ....[7]

قال جابر : اجتمع عليهم عسرة الظَّهر وعسرة الزاد وعسرة الماء[8] .

أما عسرة الظهر فقال الحسن : كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم[9]. وأما عسرة الزاد قال قتادة في قوله : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] هم الذين اتبعوا النبي ﷺ في غزوة تبوك قبل الشام في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها الآخر[10] . وأما عسرة الماء فقد أخرج ابن أبي حاتم عن عبدالله بن محمد بن

---

(١) الحماسة البصرية (٧٩/١)، وعجز البيت : وعُجنا صدور الخيل نحو تميم .

(٢) هو: زفر بن الحارث الكلابي الشامي، من أهل الشام، والد مزاحم بن زفر العامري. ينظر: التاريخ الكبير (٤٣٠/٣) .

(٣) هي: قبيلة باليمن تنزل بجبال حِسْمَى. ينظر : لسان العرب (٨٩/١٢).

(٤) هو: أبو قَبيلة من اليمن وهو حميد بن سبأ بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك في الدهر الأول. ينظر : لسان العرب (٢١٥/٤) .

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٨٣٣/١)، وصدر البيت: وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة.

(٦) هو: حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، وكان شاعراً جواداً. ينظر: البداية والنهاية (٢١٢/٢)، والمنتظم (٢٨٥/٢) .

(٧) ديوان حاتم الطائي (٢١/١) وعجز البيت : كفٍ غير ملأى ولا صفر .

(٨) الدر المنثور للسيوطي (٣٠٩/٤).

(٩) الكشف والبيان للثعلبي (١٠٤/٥)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٢٧/١٠).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٩٨/١)، والدر المنثور للسيوطي (٣٠٩/٤).

عقيل[١] قال: خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير، وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطش شديد، فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها فيشربون ماءه[٢] .

وقيل : ساعة العسرة أشد الساعات التي مَرَّت بهم في تلك الغزاة .

قال أبو حيان: يجوز أن يريد الساعة التي وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقة، إذ السّفرة كلها تَبعٌ لتلك الساعة وبها وفيها يقع الأجر على الله[٣].

وقال ابن عاشور: ساعة العسرة هي زمن استنفار النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك فهو الذي تقدمت الإشارة إليه بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [التوبة: ٣٨] فالذين انتدبوا وتأهبوا وخرجوا هم الذين اتبعوه، فأما ما بعد الخروج إلى الغزو فذلك ليس هو الإتباع ولكنه الجهاد[٤].

وبعد النظر والتأمل في القولين أرى أن القول الذي رجحه القرطبي قول عام، حيث أنه لم يخصص ساعة بعينها، وإنما المراد جميع أوقات تلك الغزوة. وبما أنه لم يرد دليل فيه تخصيص لتلك الساعة فالأولى أن تبقى على عمومها؛ لأن الساعة تقع على كل الزمان كما ذكر ذلك الزجاج[٥]. وعليه قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[٣].

---

[١] هو: عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد المدني، مات بعد الأربعين ومائة. ينظر: لسان الميزان (٢٦٨/٧) ، وتاريخ مدينة دمشق (٢٥٦/٣٢).

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٩٨/٦) .

[٣] البحر المحيط لأبي حيان (١١٠/٥).

[٤] التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٠/١١).

[٥] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٤/٢).

[٣] قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بـ (يزيغ) في قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن المراد بالزيغ الميل. حيث قال: واختلفوا في معنى تزيغ ، فقيل : تتلف بالجهد والمشقة والشدة. وقال ابن عباس : تعدل – أي تميل – عن الحق في الممانعة والنصرة. وقيل : من بعد ما همَّ فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لَحِقُوا به . وقيل: هَمُّوا بالقفول فتاب الله عليهم وأمرهم به"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢].

ورجّحه أبو عبيدة[٣] والطبري[٤] والنحاس [٥] والسمرقندي[٦] وابن أبي زمنين[٧] والثعلبي[٨] والسمعاني[٩] والبغوي[١٠] والخازن[١١] وأبو حيان[١٢] والثعالبي[١٣] وأبو السعود[١٤] والألوسي[١٥]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٥٥) .

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/١٦٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٥١٢).

(٣) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (١/٢٧٠).

(٤) جامع البيان للطبري (١١/٥٤).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٦٤).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٩٣).

(٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٣٦) .

(٨) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٠٥).

(٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٣٥٦) .

(١٠) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٣٤).

(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٥٨).

(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١١١) .

(١٣) الجواهر الحسان للثعالبي (٥/١٠٥).

(١٤) تفسير أبي السعود (٤/١٠٩).

(١٥) روح المعاني للألوسي (١١/٤٠).

وابن عاشور[١].

وفسَّر به الزمخشري[٢] والبيضاوي[٣] والنسفي[٤] وابن جزي[٥] وابن كثير[٦] كثير[٦] والقاسمي[٧] والسعدي[٨] .

قال البغوي : أي من بعد ما كادت تميل قلوب فريق منهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم[٩] .

وقيل: تتلف بالجهد والمشقة والشدة. ذكره الماوردي[١٠]. ورجَّحه الشوكاني[١١] .

وقيل: من بعد ما همَّ فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لحقوا به. ذكره الواحدي[١٢].

وقيل: هموا بالقفول فتاب الله عليهم وأمرهم به. ذكره الزجاج[١٣] والنحاس في معاني القرآن[١٤] .

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أن الزيغ في اللغة هو الميـــل[١٥]، وبذلك

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥١/١١).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٠٣/٢).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٧/٣).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (١١٣/٢).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٦/٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٧/٢).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٢٩/٥).

(٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٤/١).

(٩) معالم التنـــزيل للبغوي (٣٣٤/٢) .

(١٠) النكت والعيون للماوردي (٤١٢/٢) .

(١١) فتح القدير للشوكاني (٤١٣/٢) .

(١٢) الوجيز للواحدي (٤٨٥/١).

(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٥/٣) .

(١٤) النحاس في معاني القرآن (٢٦٤/٣) .

(١٥) لسان العرب (٤٣٢/٨)، ومختار الصحاح (١١٨/١)، وتاج العروس (٤٩٥/٢٢).

يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [١] .

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٦٩) .

معنى "خُلِّفُوا" في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة : ١١٨]

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أنّ معنى "خُلِّفُوا" أُرجئوا وأُخِّروا عن التوبة، فلم تُقبل منهم معذرة ولا ردُّت عليهم، وإنما أرجأهم الله عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله، حيث قال : "قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ قيل: عن التوبة؛ عن مجاهد وأبي مالك. وقال قتادة : عن غزوة تبوك. وحُكي عن محمد بن يزيد معنى "خُلِّفوا" تُرِكوا...... وقيل: "خُلِّفُوا" أي ارجئوا وأُخروا عن المنافقين فلم يُقض فيهم بشيء، وذلك أنّ المنافقين لم تقبل توبتهم، واعتذر أقوام فقُبل عذرهم، وأخّر النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة حتى نزل فيهم القرآن. وهذا هو الصحيح"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي قاله ابن عباس[٢] ومجاهد[٣] وأبي مالك[٤] .

ورجّحه الطبري[٥] وابن أبي حاتم[٦] والنحاس في معاني القرآن[٧] والواحدي[٨] والسمعاني[٩] وابن عطية [١]

(١)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٥٦) .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٥١٣).

(٣) المرجع السابق .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٠٥). وأبي مالك هو: سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي، أبو مالك الكوفي، لأبيه صحبة، من جُلّة الكوفيين، وكان متقناً. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/١٨٤).

(٥) جامع البيان للطبري (١١/٥٦) .

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٧٨) .

(٧) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٥٢).

(٨) الوجيز للواحدي (١/٤٨٥) .

(٩) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٥٧).

وابن جزِّي[٢] وأبو حيان[٣] وابن كثير[٤] والسيوطي[٥] وأبو السعود[٦] والشوكاني[٧] والألوسي[٨] وابن عاشور[٩].

قال الطبري: هؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه :﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦] ، فتاب عليهم عزّ ذكره وتفضّل عليهم. وتأويل الكلام : إذ ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلّفهم عن التوبة فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله ﷺ [١٠] .

واستدل أصحاب هذا القول على صحة هذا التفسير بما فسره كعب بن مالك في حديثه المروي في الصحيح، والحديث فيه طول وفي آخره قال كعب: "كنا خُلّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه؛ فبذلك قال الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا تَخَلُّفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقَبِل منه"[١١] .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٩/٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٦/٢).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١١٢/٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨٨/٢).

(٥) الدر المنثور للسيوطي (٢٧٨/٤).

(٦) تفسير أبي السعود (١٠٩/٤).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٤١٣/٢).

(٨) روح المعاني للألوسي (٤١/١١).

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٢/١١).

(١٠) جامع البيان للطبري (٥٦/١١) .

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٠٨/٤)، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾. حديث رقم (٤١٥٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢١٢٧/٤) كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم (٢٧٦٩).

واستُدل أيضاً لهذا لقول بظاهر قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ [التوبة: ١١٨] فقوله : "إذا ضاقت" غاية للتخليف، ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر[١].

وقال قتادة : عن غزوة تبوك[٢].

وحُكي عن محمد بن زيد معنى "خُلِّفوا" تُركوا؛ لأن معنى خلَّفت فلاناً تركته وفارقته قاعداً عمَّا نهضت فيه[٣] .

رجَّح هذا القول ابن أبي زمنين[٤] والثعلبي[٥] والبغوي[٦] والزمخشري[٧] والنسفي[٨] والثعالبي[٩] والمراغي[١٠] والسعدي[١١].

قال ابن عطية في قول قتادة : "وهذا ضعيف، وقد ردّه كعب بن مالك بنفسه، وقال : معنى "خُلِّفوا" تُركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو"[١٢] .

إذا اتضح هذا فإن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة :(إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره)[١٣] .

وقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[١٤].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٤/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٦/٢).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥١٣/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٣١٤/٤).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٢٦٤/٣).
(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٣٦/٢).
(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٥٠/٥).
(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٣٤/٢).
(٧) الكشاف للزمخشري (٣٠٤/٢).
(٨) مدارك التنزيل للنسفي (١١٣/٢).
(٩) الجواهر الحسان للثعالبي (١٠٥/٥).
(١٠) تفسير المراغي (٤١/٤).
(١١) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٤/١).
(١٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٤/٣).
(١٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١).
(١٤) المرجع السابق (٢٧١/١) .

قبول خبر الكاذب في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن خبر الكاذب لا يُقبل حيث قال: "وقال مالك: لا يُقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صدق في حديث الرسول ﷺ، وقال غيره: يقبل حديثه. والصحيح أن الكاذب لا تقبل شهادته ولا خبره" [١].

المناقشة والترجيح :

ما رجَّحه القرطبي مذهب الإمام مالك بن أنس حيث قال: "لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك، لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يُتهم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يُحدّث"[٢] .

.

وقال ابن العربي : "القبول مرتبة عظيمة وولاية لا تكون إلا لمن كرمت خصاله ولا خصلة هي أشر من الكذب فهي تعزل الولايات وتبطل الشهادات"[٣].

وقيل : يقبل حديث الكاذب في حديث الناس[٤] .

واحتج الإمام مالك بقوله ﷺ : "وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"[٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/٨).

(٢) التمهيد (٦٦/١)، وجامع الأصول لابن الأثير (١٧٢/١).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٥٩٩/٢).

(٤) المرجع السابق، وشرح السنة (٢٤٩/١) .

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٦١/٥) كتاب الآداب، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وما يُنهى عن الكذب، حديث رقم (٥٧٤٣) بلفظ (وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٢/٤)، كتاب البر والصلة والآداب ، بـاب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم (٢٦٠٧).

وأيضاً بأن الرسول ﷺ رد شهادة رجل في كذبة كذبها. قال معمر[1]: لا أدري أكذب على الله أو كذب على رسوله ﷺ أو كذب على أحد من الناس[2] .

وسُئل شريك بن عبدالله[3] فقيل له: يا أبا عبدالله، رجل سمعته يكذب متعمداً أأُصلي خلفه؟ قال : لا[4] .

وعن ابن مسعود قال : إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم شيئاً ثم لا ينجزه. أقرؤوا إن شئتم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] هل ترون في الكذب رخصة ؟ [5].

إذا اتضح هذا فإن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح للأدلة المتقدم ذكرها.

وعليه قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه)[6].

---

(١) هو: معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولاهم، كان من أطلب أهل زمانه للعلم توفي في رمضان سنة (١٥٣هـ) ، ينظر: الكاشف (٢/٢٨٢) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١١/١٥٩).

(٣) هو: شريك بن عبدالله أبو عبدالله النخعي القاضي، توفي سنة (١٧٧هـ) وعاش اثنتين وثمانين سنة. ينظر: الكاشف (٢/٤٨٥) .

(٤) التمهيد (١/٦٩) .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٠٦) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/٣١٦) .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦).

الاستدلال بقوله: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ على أن الغنيمة تُستحقُّ بالإدراب والكون في بلاد العدو عند قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠]

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أنّ الغنيمة تستحق بالإدراب[١] والكون في بلاد العدو، فإن مات بعد ذلك فله سهمه، حيث قال: "استدل بعض العلماء بهذه الآية على أنّ الغنيمة تُستحقُّ بالإدراب والكون في بلاد العدو، فإن مات بعد ذلك فله سهمه، وهو قول أشهب وعبد الملك، وأحد قولي الشافعي. وقال مالك وابن القاسم: لا شيء له؛ لأن الله عز وجل إنما ذكر في هذه الآية الأجر ولم يذكر السهم. قلت: الأول أصح؛ لأن الله تعالى جعل وطء ديار الكفار بمثابة النيل من أموالهم وإخراجهم من ديارهم، وهو الذي يغيظهم ويدخل الذلّ عليهم، فهو بمنـــزلة نيل الغنيمة والقتل والأسر؛ وإذا كان كذلك فالغنيمة تستحق بالإدراب لا بالحيازة"[٢] .

المناقشة والترجيح:

ما رجحه القرطبي قول أشهب[٣] وعبد الملك[٤] وأحد قولي الشافعي[٥] .

وقال مالك وابن القاسم[٦]: لا شيء له؛ لأن الله عز وجل إنما ذكر في هذه

---

(١) أدرب القوم إذا دخلوا أرض العدو. ينظر: لسان العرب (٣٧٤/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/٨) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٦٠٠/٢).

(٤) المرجع السابق. وعبد الملك هو: عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس، كان رأســاً فــي مذهب مالك ، فقيهاً نحوياً شاعراً متصرفاً في فنون العلم، توفي سنة (٢٤٩هـ) . ينظر: طبقــات الحفاظ (٢٣٧/١) .

(٥) الحاوي الكبير (٤٢٢/٨).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي (٦٠٠/٢) .

الآية الأجر ولم يذكر السهم .

ورجحه ابن العربي(١) وأبو حيان حيث قال: "لا تدل هذه الآية على ذلك [أي على أن الغنيمة تستحق بالإدراب] لأن الغنيمة لا تستحق إلا بعد الحيازة، فالسهم متعلق بالحيازة وهذا مات قبل أن يغنم(٢).

قال الجصاص: في الآية الدلالة على أن وطء ديارهم بمنــزلة النيل منهم وهو قتلهم أو أخذ أموالهم أو إخراجهم عن ديارهم، هذا كله نيل منهم، وقد سوّى بين وطء موضع يغيظ الكفار وبين النيل منهم، فدلّ ذلك على أن وطء ديارهم وهو الذي يغيظهم ويُدخل الذلّ عليهم هو بمنــزلة نيل الغنيمة والقتل والأسر، وفي ذلك دليل على أن الاعتبار فيما يستحقه الفارس والراجل من سهامهما بدخول أرض الحرب لا بحيازة الغنيمة والقتال إذ كان الدخول بمنــزلة حيازة الغنائم وقتلهم وأسرهم، ونظيره في الدلالة على ما ذكرنا قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ [الحشر: ٦] فاقتضى ذلك اعتبار إيجاف(٣) الخيل والركاب في دار الحرب ولذلك قال علي ﷺ : "ما وطئ قوم في عقر دارهم(٤) إلا ذلوا"(٥).

إذا اتضح ذلك فإنه ما رجحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) (٦) .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٦٠٠) .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٥١).

(٣) الإيجاف هو: سرعة السير. ينظر: لسان العرب (٣/١١٧).

(٤) عقر كل شيء أصله، وعقر الدار أصلها. ينظر: لسان العرب (٤/٥٩٦).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٧٢).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣١٢) .

أجر المعذور العاجز عند قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٠، ١٢١].

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي مساواة أجر المعذور بأجر العامل، حيث قال: "أعطى رسول الله ﷺ للمعذور من الأجر مثل ما أعطى للقوي العامل. وقد قال بعض الناس : إنما يكون الأجر للمعذور غير مضاعف، ويضعَّف للعامل المباشر............ قلت : الظاهر من الأحاديث والآي المساواة في الأجر............. وبدليل أن النية الصادقة هي أصل الأعمال فإذا صحت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع منها فلا بُعد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل ويزيد عليه"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي هو ترجيح الزمخشري[٢] والرازي[٣] وابن تيمية[٤] وابن عادل[٥] وأبو السعود[٦].

قال الرازي: واعلم أن القول بهذه المساواة غير مستبعد ويدل عليه العقل والنقل. أما النقل، فقوله ﷺ عند انصرافه من بعض غزواته: "لقد خلفتم بالمدينة أقوماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا يا رسول الله وهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٥/٨).

(٢) الكشاف للزمخشري (٥٨٦/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٧/١١).

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (٢٤٣/٢٢).

(٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥٨٤/٦).

(٦) تفسير أبي السعود (٢٢٢/٢).

بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر"[١] وقال ﷺ : "إذا مرض العبد قال الله عز وجل: اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة إلى أن يبرأ"[٢] وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين : ٥ ، ٦] أن من صار هَرِماً كتب الله تعالى له أجر ما كان يعمله قبل هَرِمِه غير منقوص من ذلك شيئاً .... وأما المعقول فهو : أن المقصود من جميع الطاعات والعبادات استنارة القلب بنور معرفة الله تعالى، فإن حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر حظاً من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثواباً"[٣].

ومن الأدلة أيضاً لهذا القول ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال: "كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال: "إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض"[٤] .

ومنها قوله ﷺ : "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٥] .

وقوله ﷺ : "من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا كتب الله له مثل أجر من حضرها ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" [٦].

---

[١] أخرجه البخاري (١٦١٠/٤) في كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحِجر ، حديث رقم (٤١٦١).

[٢] أخرجه البخاري (١٠٩٢/٣)، في كتاب الجهاد والسّير ، باب يُكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، حديث رقم (٢٨٣٤) بلفظ: إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً .

[٣] التفسير الكبير للرازي (٧/١١).

[٤] أخرجه مسلم (١٥١٨/٣) في كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم (١٩١١).

[٥] أخرجه مسلم (١٥٠٦/٣) في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ، حديث رقم (١٨٩٣).

[٦] أخرجه أبو داود في سننه (١٥٤/١) كتاب الصلاة، باب فيمن خرج يريد الصلاة فسُبق بها، حديث رقم (٥٦٤)، والحاكم في المستدرك (٣٢٧/١)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود (١٦٩/١).

وأيضاً هو ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠]

وقال بعض الناس: إنما يكون الأجر للمعذور غير مضاعف، ويُضعّف للعامل المباشر.

قال ابن العربي: وهذا تَحكُّم على الله تعالى وتضييق لسعة رحمته، ولذلك قد راب بعض الناس فيه فقال: أنتم تعطون الثواب مضاعفاً قطعاً. ونحن لا نقطع بالتضعيف في موضع فإنه مبني على مقدار النيات، وهذا أمر مُغيَّب، والذي يُقطع به أن هناك تضعيفاً وربك أعلم بمن يستحقه [(١)] .

وبعد النظر في القولين أرى أن القول الذي رجحه القرطبي له شواهد وبذلك يترجح وعليه قاعدة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه) [(٢)] .

وقاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [(٣)] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٦٠١/٢).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

(٣) المرجع السابق (٣١٢/٢) .

الضمير في الفعلين "ليتفقهوا" و"لينذروا" في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ [التوبة: ١٢٢] .

ترجيح القرطبي:

رجَّح القرطبي أن الضمير في "ليتفقهوا ، ولينذروا" للطائفة المقيمة، حيث قال: "الضمير في "ليتفقهوا، ولينذروا" للمقيمين مع النبي ﷺ؛ قاله قتادة ومجاهد. وقال الحسن: هما للفرقة النافرة، واختاره الطبري .... قلت: قول مجاهد وقتادة أبين"[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجحه القرطبي مروي عن ابن عباس[٢] وقتادة [٣] ومجاهد[٤] .

ورجّحه الفراء[٥] والزجاج[٦] والسمرقندي[٧] وابن أبي زمنين[٨] والواحدي[٩] والواحدي[٩] والألوسي[١٠] والمراغي[١١] والسعدي[١٢] .

وعلى هذا القول يكون معنى الآية: أن الطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون في الدين، لملازمتهم الرسول ﷺ ومشاهدتهم التنزيل؛ فكلما نزل تكليف وشرع عرفوه وحفظوه، فإذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو أنذرتهم المقيمة ما تعلموه من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٦٧).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٥١٧).

(٣) جامع البيان للطبري (١١/٦٩).

(٤) الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٢٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/٤٥٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٣٨٥).

(٧) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٩٨).

(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٤٠).

(٩) الوجيز للواحدي (١/٤٨٦).

(١٠) روح المعاني للألوسي (١١/٤٨).

(١١) تفسير المراغي (٤/٤٨).

(١٢) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٥٥).

التكاليف والشرائع. وعلى هذا لابد من إضمار، والتقدير: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقامت طائفة لتُفقِّه المسلمين في الدين، ولينذروا قومهم، يعني النافرين إلى الغزو إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون. وبذلك يكون الضمير في قوله "رجعوا" عائد على النافرة .

قال الطبري: ننكر ذلك لاستحالته، وذلك أنّ نَفْرَ الطائفة النافرة لو كان سبباً لِتفقُّه المتخلفة وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقُّه، وقد علمنا أنّ مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سبباً لمنعهم من التفقه، وبعد فإنه قال جل ثناؤه : ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٢] عطفاً به على قوله تعالى: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها، وللإنذار وخوف الوعيد نفرت، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما، ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة؛ لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاين المقيمة [١] .

وقال الحسن: الضمير في "ليتفقهوا ــ ولينذروا" للفرقة النافرة [٢]. ورجّحه الطبري[٣] وابن الجوزي في زاد المسير[٤] وأبو حيان[٥] والسمين الحلبي[٦] والقاسمي[٧] وفسر به الزمخشري[٨] والبيضاوي[٩] والنسفي[١٠] .

---

(١) جامع البيان للطبري (٧١/١١) .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩١٢/٦).
(٣) جامع البيان للطبري (٧٠/١١).
(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥١٧/٣) .
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (١١٦/٥).
(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (١٤٠/٦).
(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥٢٩/٥).
(٨) الكشاف للزمخشري (٣٠٨/٢).
(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٩/٣).
(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١١٥/٢).

وعلى هذا القول يكون معنى الآية: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة حتى تصبح هذه الطائفة النافرة من الفقهاء في الدين، أي : أنهم إذا شاهدوا ظهور المسلمين على المشركين، وأنّ العدد القليل منهم يغلبون العالم من المشركين فيتبصروا ويعلموا أنّ ذلك بسبب أنّ الله تعالى خصهم بالنصرة والتأييد، وأنه تعالى يريد إعلاء دين محمد ﷺ وتقوية شريعته، فإذا رجعوا من ذلك النفر إلى قومهم من الكفار وأنذروهم لما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون.

وبعد النظر في القولين يتضح أنّ المعنى على القول الثاني وهو قول الحسن هو مقتضى ظاهر الآية واتساقها، فإنّ النفر على هذا المعنى يكون عِلّةً للتفقه في الدين، وهي التي تنذر قومها إذا رجعت إليهم. كما أن الضمائر في الأفعال الثلاثة "ليتفقهوا ــ ولينذروا ــ ورجعوا" ترجع إلى الطائفة النافرة. وبذلك يترجح هذا القول وعليه قاعدة : (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) [١] .

وقاعدة : (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) [٢] .

---

[١] قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧).

[٢] المرجع السابق (٢/٦١٣) .

المراد بقوله : "يلونكم من الكفار" في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أنّ الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، حيث قال: "عرفهم سبحانه كيفية الجهاد وأنّ الابتداء بالأقرب فالأقرب من العدو، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بالعرب، فلما فرغ قصد الروم وكانوا بالشام. وقال الحسن: نزلت قبل أن يؤمر النبي ﷺ بقتال المشركين فهي من التدريج الذي كان قبل الإسلام. وقال ابن زيد: المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب، فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٢٩] . وقد روي عن ابن عمر أنّ المراد بذلك الديلم. وروي عنه أنه سئل بمن يبدأ بالروم أو بالديلم؟ فقال بالروم. وقال الحسن: هو قتال الديلم والترك والروم. وقال قتادة : الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى. قلت: قول قتادة هو ظاهر الآية"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي قول قتادة [٢]، ورجّحه الفراء[٣] والطبري[٤] والواحدي[٥] والبغوي[٦] والزمخشري[٧] والرازي[٨] والبيضـــاوي[٩] والنسفي[١٠] وأبو السعود[١١]
السعود[١١]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٠/٨).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٣٢٤/٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٤٥٥/١).

(٤) جامع البيان للطبري (٧١/١١).

(٥) الوجيز للواحدي (٤٨٦/١) .

(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٤٠/٢).

(٧) الكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢).

(٨) التفسير الكبير للرازي (١٨١/١٦).

(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٠/٣).

(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١١٥/٢).

(١١) تفسير أبي السعود (١١٢/٤).

والشوكاني[١] والألوسي[٢] والمراغي[٣] والسعدي[٤] وابن عاشور[٥].

وقال ابن زيد : المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب ، فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٢٩] [٦] .ورجح هذا هذا القول القاسمي[٧] .

وروي عن ابن عمر أن المراد بذلك الديلم[٨]. وروي عنه أنه سئل بمن يبدأ بالروم[٩] أو بالديلم؟ فقال: بالروم[١٠].

ولم أجد فيما بين يدي من كتب المفسرين من رجَّح هذا القول.

وقال الحسن : هو قتال الديلم والترك[١١] والروم[١٢].

ولم أجد فيما بين يديّ من كتب المفسرين من رجَّح هذا القول.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤١٦/٢).

(٢) روح المعاني للألوسي (٥٠/١١)

(٣) تفسير المراغي (٤٩/٤).

(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (١٣٥٦/١).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٣/١١) .

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٩١٤/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣٢٤/٤).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٠/٥).

(٨) لم أجد هذا القول فيما بين يدي من الكتب.
والديلم: لقب بني ضبَّة بن أُدّ لسوادهم أو لدغمةٍ في ألوانهم. ينظر: تاج العروس (١٦٦/٣٢).

(٩) الروم: هم جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم واختُلف في أصل نسبتهم. ينظر: معجم البلدان (٩٧/٣).

(١٠) الدر المنثور للسيوطي (٣٢٤/٤).

(١١) الترك: قوم يسكنون تركستان وهو اسم جامع لجميع بلاد الترك وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب، ومدائنهم المشهورة ست عشر مدينة. ينظر: معجم البلدان (٢٣/٢) .

(١٢) لم أجد له هذا القول والذي وجدت أنه قال: الديلم. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩١٣/٦)، وجامع البيان للطبري (٧١/١١).

وقال ابن عباس: قريظة[١] والنضير[٢] وخيبر[٣] وفدك[٤]. ولم أجد فيما بين بين يدي من كتب المفسرين من رجّح هذا القول.

وبعد النظر في الأقوال أجد أن القول بالعموم أولى وهو قول قتادة كما أنه ظاهر الآية وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[٥] .

---

(١) قريظه: طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، وكان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فنقضوه وحاصرهم النبي ﷺ خمساً وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكمه. ينظر: البداية والنهاية (١١٨/٤).

(٢) النضير: إحدى القبائل اليهودية المجاورة للمدينة، كانوا حلفاء لبني عامر، حاولوا قتل النبي ﷺ فأخرجهم إلى خيبر، وتركوا أموالهم فقسمها النبي ﷺ على المهاجرين والأنصار. ينظر: البداية والنهاية (٧٦/٤) .

(٣) خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، فتحها النبي ﷺ في سنة سبع للهجرة. ينظر: معجم البلدان (٤٠٩/٢) .

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥١٨/٣). وفدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع للهجرة. فيها عين فوارة ونخيل كثيرة. ينظر: معجم البلدان (٢٣٨/٤) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بنظر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن المراد بنظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب. حيث قال : "والمراد المنافقون؛ أي إذا حضروا الرسول ﷺ وهو يتلو قرآناً أُنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير، يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد، وذلك جهل منهم بنبوته ﷺ، وأن الله يُطلِعه على ما يشاء من غيبه. وقيل: "إن "نظر" في هذه الآية بمعنى أنبأ. وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال : "نظر" في هذه الآية موضع قال[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي قاله ابن عباس[٢]. ورجّحه الطبري[٣] والزجاج[٤] والسمرقندي[٥] والسمعاني[٦] والزمخشري[٧] وابن عطية[٨] والبيضاوي[٩] والبيضاوي[٩] والنسفي[١٠] وابن جزي[١١] وأبو حيان[١٢] وابن كثير[١٣]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/٨).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٢٠/٣).
(٣) جامع البيان للطبري (٧٥/١١).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٦/٢).
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٠/٢).
(٦) تفسير القرآن للسمعاني (٣١٠/٢) .
(٧) الكشاف للزمخشري (٣١٠/٢).
(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٩/٣).
(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨١/٣).
(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١١٦/٢).
(١١) التسهيل للعلوم التنزيل للكلبي (٨٨/٢).
(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٢٠/٥).
(١٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٤/٢).

وابن عادل[١] وأبو السعود[٢] والشوكاني[٣] والألوسي[٤] والسعدي[٥] وابن عاشور[٦].

وقيل : "نظر" في هذه الآية بمعنى أنبأ .

ولم أجد من يرجح هذا القول من المفسرين .

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العلم أنه قال : "نظر" في هذه الآية موضوع موضع قال، أي : قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد؟ [٧].

وبعد النظر في الأقوال لم أجد أن من معاني نظر قال وأنبأ وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب) [٨] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٤٦/١٠).

(٢) تفسير أبي السعود (١١٣/٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤١٨/٢).

(٤) روح المعاني للألوسي (٥١/١١).

(٥) تيسير الكريم المنان للسعدي (٥٢/٤).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٨/١١) .

(٧) جامع البيان للطبري (٧٥/١١).

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢).

الخطاب في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن الخطاب للعرب. حيث قال : "والخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك؛ إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشُرِّفوا به غابر الأيام. وقال الزجاج : هي مخاطبة لجميع العالم؛ والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر ؛ والأول أصوب"[١] .

المناقشة والترجيح:

ما رجحه القرطبي قول الجمهور[٢] ورجحه الطبري[٣] وابن عطية[٤] والبيضاوي[٥] والنسفي[٦] والخازن[٧] وأبو السعود[٨] والشوكاني[٩] والألوسي[١٠] والألوسي[١٠] والقاسمي[١١] والمراغي[١٢] .

قال ابن عباس: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ[١٣] .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٨) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٠/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤١٨/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (٧٦/١١).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٠/٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨١/٣).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١١٦/٣).

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٧١/٣).

(٨) تفسير أبي السعود (١١٤/٤).

(٩) فتح القدير للشوكاني (٤١٨/٢).

(١٠) روح المعاني للألوسي (٥٢/١١).

(١١) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٣/٦) .

(١٢) تفسير المراغي (٥٤/٤).

(١٣) زاد المسير لابن الجوزي (٥٢٠/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٣٢٧/٤).

وفي هذا القول امتنان على العرب، وتنبيه على فضيلتهم ، وفيه أيضاً تعريض بتحريضهم على اتباعه وترك مناواته، وأن الأجدر بهم الافتخار به والالتفاف حوله[١] .

وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم؛ والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر[٢].

ونظيره قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢]. وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [فصلت: ٦] ، والمقصود أنه لو كان من جنس الملائكة لصعب الأمر بسببه على الناس[٣] .

وبعد النظر في القولين يتضح لي أن جميعها محتملة في الآية ولا يوجد بينها تعارض فالخطاب أولاً للعرب ثم لجميع الأمم وذلك ما ذكره ابن تيمية حيث قال: يتناول الخطاب كل من خوطب بالقرآن ، فالرسول ﷺ من أنفس من خوطب بهذا الكلام إذ هي كاف الخطاب، وإنما خُوطب به أولاً قريش ثم العرب ثم سائر الأمم صار يُخصَ ويُعَم بحسب ذلك"[٤] .

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨٧/١٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٧٠/١١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٧/٢) .

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٨٧/١٦).

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٨٩/١٦).

إعراب "عزيز" في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ترجيح القرطبي :

رجَّح القرطبي أن "عزيز"[١] صفة للرسول ﷺ و"ما عنتم"[٢] فاعلاً بعزيز. حيث قال : "و "ما" في "ما عنتم" مصدرية، وهي ابتداء و"عزيز" خبر مقدم. ويجوز أن يكون "ما عنتم" فاعلاً بعزيز و"عزيز" صفة للرسول ﷺ ، وهو أصوب"[٣] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ترجيح الطبري[٤] والنحاس في إعراب القرآن[٥] وابن عطية[٦] والرازي[٧] وأبو حيان[٨] والسمين الحلبي[٩] وابن عادل[١٠] والألوسي[١١].

والألوسي[١١].

وقيل : "ما" في "ما عنتم" مصدرية ، وهي ابتداء، و"عزيز خبر مقدم.

ولم أجد من رجَّح هذا القول في الكتب التي بين يدي.

قال أبو حيان : والظاهر أن "ما" مصدرية في موضع الفاعل بعزيز، أي: يعز عليه مشقتكم كما قيل :

يسر المــرء ما ذهب الليــالي   وكان ذهابهنّ له ذهـــابــاً[١٢]

---

(١) من عزَّ يَعَزّ بفتح العين، إذا اشتد. ينظر: تهذيب اللغة (٦٤/١).

(٢) العنت في اللغة : المشقة الشديدة والعنت الوقوع في أمر شاق. ينظر: لسان العرب (٦٢/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٤/٨).

(٤) جامع البيان للطبري (٧٧/١١).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٢٤٠/٢) .

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٠/٣).

(٧) التفسير الكبير للرازي (١٨٧/١٦).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٢١/٥).

(٩) الدر المصون للسمين الحلبي (١٤٢/٦).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٤٨/١٠).

(١١) روح المعاني للألوسي (٥٢/١١).

(١٢) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (٤٢٩/١).

أي : يسر المرء ذهاب الليالي .

ويجوز أن يكون "ما عنتم" مبتدأ، أي : عنتكم عزيز عليه. وقُدّم خبره، والأول أعرب[١] .

قال السمين الحلبي : والأرجح أن يكون "عزيز" صفة لرسول، لقوله بعد ذلك "حريص" فلم يُجعل خبراً لغيره، وادّعاء كونه خبر مبتدأ مضمر، أي: هو حريص، لا حاجة إليه[٢].

وقال الألوسي: ورفع "عزيز" على أنه صفة لرسول وبه متعلق "عليه"، وفاعله المصدر وهو الذي يقتضيه ظاهر النظم الجليل[٣].

وبعد النظر في القولين أجد أن ما رجَّحه القرطبي هو الراجح للأقوال التي سقتها سابقاً وعليه قاعدة : (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة) [٤] .

وقاعدة : (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق) [٥].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٢١/٥) .

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي (١٤٢/٦).

(٣) روح المعاني للألوسي (٥٢/١١).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤٥/٢).

(٥) المرجع السابق (٦٣٥/٢).

آخر ما نزل من القرآن عند قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١]، حيث قال: "وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس: أن آخر ما نزل من القرآن ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهذه الآية – [أي: قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾] وقد ذكرنا عن ابن عباس خلافه على ما ذكرناه في البقرة [وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾] وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقال جبريل للنبيﷺ : يا محمد ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة – وهو أصح"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجحه القرطبي قول الجمهور[٢] وهو مروي عن ابن عباس[٣] وأبو سعيد الخدري[٤] والسدي[٥] والضحاك[١] وابن جبير[٧]

جبير[٧]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/٨).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧٨/١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥٦/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٩٧/٣).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (١١٦/٢)، وجامع البيان للطبري (١١٥/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/١).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣٣٤/١).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٤٧/٦)، وجامع البيان للطبري (١١٥/٣).

وابن جريج[٣] ومقاتل[٤].

ورجّحه السمرقندي[٥] والثعلبي[٦] والسمعاني[٧] والزمخشري[٨] وابن عطية[٩] والرازي[١٠] والخازن[١١] وأبو حيان[١٢] والثعالبي[١٣] وابن عادل[١٤] وأبو السعود[١٥] والشوكاني[١٦] والألوسي[١٧] والسعدي[١٨] وابن عاشور[١٩].

وروى يوسف بن مهران[١] عن ابن عباس عن أبي بن كعب ﷺ قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر الآية[٢].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧٨/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٥٥٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٦)

(٣) جامع البيان للطبري (١١٥/٣). وابن جريج هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو الوليد القرشي الأموي، صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٦).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٠/١).

(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٢٠٩/١).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (٢٩٠/٢).

(٧) تفسر القرآن للسمعاني (٨٨٢/١).

(٨) الكشاف للزمخشري (٣٥٠/١).

(٩) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٨/٠١).

(١٠) التفسير الكبير للرازي (٩١/٧).

(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣٠٤/١).

(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٦/٢).

(١٣) الجواهر الحسان للثعالبي (٢١٠/٢).

(١٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥٤٦/٢٠).

(١٥) تفسير أبي السعود (٢٦٨/١) .

(١٦) فتح القدير للشوكاني (٢٩٩/١).

(١٧) روح المعاني للألوسي (٥٤/٣).

(١٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (١١٧/١) .

(١٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩٧/٣).

ويمكن نقض هذا القول بأنها آخر من نزل من سورة براءة، ويؤيده ما قيل من أن هاتين الآيتين مكيتان[٣]، بخلاف سائر السورة[٤].

وهناك أقوالاً أخرى غير هذين القولين في آخر ما نزل من القرآن الكريم[٥].

وبعد النظر في القولين يترجح القول بأن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] لأمرين:

أحدهما : ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تُنوِّه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غَبنٍ ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما : التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط[٦]، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله[٧].

وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي وعليه قاعدة: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه)[٦].

---

(١) هو: يوسف بن مهران البصري، وثقه أبو زرعه وابن سعد. ينظر: لسان الميزان (٤٤٨/٧)، والتاريخ الكبير (٣٧٥/٨).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٩٩/١).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١٨٧/١)، والناسخ والمنسوخ للكرمي (١١٥/١).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٧٢/١).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢٠٩/١) ، والإتقان في علوم القرآن (٨٢/١). ومناهل العرفان في علوم القرآن (٧٠/١).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٥٥٤/٢).

(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن (٧١/١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١).

ثانياً: ترجيحات الإمام القرطبي في سورة يونس.

المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس:١]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالكتاب القرآن الكريم فقال – رحمه الله – : "قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] ابتداء وخبر،أي تلك التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم. قال مجاهد وقتادة: أراد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، فإن "تلك" إشارة إلى غائب مؤنث. وقيل: "تلك" بمعنى هذه، أي هذه آيات الكتاب الحكيم. والمراد القرآن وهو أولى بالصواب"[١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي فسّر به ابن عباس[٢] واختاره العز بن عبد السلام في تفسيره[٣] وأبو عبيدة في مجاز القرآن[٤] والطبري[٥] والزجاج[٦] والنحاس في إعراب القرآن[٧] والسمرقندي[٨] وابن أبي زمنين[٩] والثعلبي[١٠] والواحدي في الوسيط[١١] والسمعاني[١٢] والبغوي[١٣] والزمخشري[١]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٧٧).
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/١٦٩).
(٣) تفسير العز بن عبد السلام (٢/٦١).
(٤) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (١/٢٧٢).
(٥) جامع البيان للطبري (١١/٨٠).
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٥).
(٧) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٤٤).
(٨) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٠٢).
(٩) تفسير القرآن العزيز لابن زمنين (٢/٣١٥).
(١٠) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١١٦).
(١١) الوجيز للواحدي (١/٤٨٩).
(١٢) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٦٤).
(١٣) معالم التنزيل للبغوي(٢/٣٤٢).

وابــن عطيـــة[٢] والـــــرازي[٣] والبيضـاوي[٤] والنســفي[٥] والخــازن[٦] والكلبـي[٧] وابن كثير[٨] والثعالبي[٩] وابن عادل[١٠] وأبو السعود[١١] والشوكاني[١٢] والألوسي[١٣] والقاسمي[١٤] والمراغي[١٥] والسعدي[١٦] والشنقيطي[١٧] وابن عاشور[١٨].

وذهب قتادة إلى أن المراد: الكتب التي كانت قبل القرآن[١٩].

وعن مجاهد: "التوراة والإنجيل"[٢٠].

وعن الحسن: "التوراة والزبور"[٢١] ووافقهم أبو حيان[٢٢].

وذهبوا إلى أن" تلك"الأكثر فيها الإشارة بها إلى البعيد.

---

(١٤) الكشاف للزمخشري (٢/٣١٢).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٠٢).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧/٥).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٨٣).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١١٧).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٧٩).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٨٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/٤٠٦).

(٨) الجواهر الحسان للثعالبي(٢/١٦٨).

(٩) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل(١٠/٢٥٢).

(١٠) تفسير أبي السعود(٤/١١٥).

(١١) فتح القدير للشوكاني(٣/٦٣).

(١٢) روح المعاني للألوسي(١١/٥٩).

(١٣) محاسن التأويل للقاسمي(٦/٤).

(١٤) تفسير المراغي(٤/٥٩).

(١٥) تيسير الكريم المنان للسعدي(١/٣٥٧).

(١٦) أضواء البيان للشنقيطي(٢/١٦٧).

(١٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥/٨١).

(١٨) جامع البيان للطبري (١١/٨٠) ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٢٢).

(١٩) جامع البيان للطبري (١١/٨٠).

(٢٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٠٦).

(٢١) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٢٥).

قال أبو حيان :"والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها البعد المشار إليه "[1].

والقول الأول أرجح لأمور منها:

١- أن المعهود في القرآن وصفه بالحكيم دون الكتب السابقة[2]. قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [يونس: ١] وقال تعالى: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يس: ١-٢]

٢- أنه لم يجر للكتب السابقة ذكر[3].

٣- أن القرآن هو المعهود في الذكر بعد الحروف المقطعة في كل السور المفتتحة بها إلا سورتي مريم والقلم[4].

إذا اتضح هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح. وعليه قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[5].

وقاعدة : (حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله أولى)[6].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٢٥/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/٨).

(٣) جامع البيان للطبري(٨٠/١١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/٨).

(٤) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١٢٦/١).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

(٦) المرجع السابق (١٧٢/١).

المراد بالحكيم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس:١]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالحكيم المُحكم. حيث قال :"والحكيم: المُحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، قاله أبو عبيدة وغيره. وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم، أي : أنه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق، فعيل بمعنى فاعل. وقيل:الحكيم بمعنى المحكوم فيه، أي: حكم الله فيه بالعدل ولإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول، قاله الحسن وغيره. وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المُحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف، فعيل بمعنى مُفعَل"[١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي فسر به ابن عباس[٢] ومقاتل بن سليمان في تفسيره[٣] وأبو عبيدة في مجاز القرآن[٤] واختاره الطبري[٥] والنحاس في معاني القرآن[٦] وابن أبي زمنين[٧] والثعلبي[٨] والسمعاني[٩] والبغوي[١٠] وابن عطية[١١] وابن الجوزي في زاد المسير[١٢] والخازن[١٣] وابن كثير[١٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(٢٧٨/٨).
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس(١٦٩/١).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١٨/٣).
(٤) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (٢٧٢/١).
(٥) جامع البيان للطبري(٨٠/١١).
(٦) معاني القرآن للنحاس (٢٧٦/٣).
(٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٤٣/٢).
(٨) الكشف والبيان للثعلبي (١١٧/٥).
(٩) تفسير القرآن للسمعاني(٣٦٤/٢).
(١٠) معالم التنزيل للبغوي(٣٤٢/٢).
(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٢/٣).
(١٢) زاد المسير لابن الجوزي(٤/ ٤).
(١٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢ /٢٧٩).
(١٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ /٤٠٦).

ودليل هذا القول قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١]

وذهب السمرقندي[١] والواحدي[٢] إلى أن المراد بالحكيم الحاكم. أي: حاكم على الكتب كلها وحاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس.

ودليل هذا القول قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]

وذهب الزمخشري[٣] والنسفي[٤] والقاسمي[٥] والألوسي[٦] والسعدي[٧] إلى أن إلى أن المراد بالحكيم ذو الحكمة. ومن ذلك قول الأعشى :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها [٨].

وذهب الرازي[٩] والبيضاوي[١٠] والكلبي[١١] وأبو حيان[١٢] وابن عادل[١٣] وأبو السعود[١٤] وابن عاشور[١٥] إلى أن وصف الحكيم يحتمل جميع الأقوال التي ذُكرت.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٢/٢).
(٢) الوجيز للواحدي (٤٨٩/١).
(٣) الكشاف للزمخشري (٣١٢/٢).
(٤) مدارك التنزيل للنسفي(٢٨٠/٣).
(٥) محاسن التأويل للقاسمي(٤/٦).
(٦) روح المعاني للألوسي(٥٩/١١).
(٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٧/١).
(٨) ديوان الأعشى (١٦٩).
(٩) التفسير الكبير للرازي (٤/١٧).
(١٠) أنوار التنزيل للبيضاوي(١٨٣/٣).
(١١) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٩/٢).
(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٢٦/٥).
(١٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل(٢٥٣/١٠).
(١٤) تفسير أبي السعود(١١٦/٤).
(١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٢/٥).

قال ابن عاشور: والحكيم: وصف إما بمعنى فاعل، أي الحاكم على الكتب بتمييز صحيحها من محرفها، وإما بمعنى مفعَل بفتح العين، أي مُحكم، مثل عتيد بمعنى مُعد. وإما بمعنى ذي الحكمة والحق والحقائق العلمية، إذ الحكمة هي إصابة الحق بالقول والعمل فوصف بوصف ذي الحكمة من الناس على سبيل التوسع الناشئ عن البليغ [١].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أستطيع القول بأنه لا مانع من حمل وصف "الحكيم"على جميع الأقوال.

وعليه قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل تخصيص)[٢].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٢/٥).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

الأمر المُتعجَّب منه في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن الأمر المتعجب منه هو أن يكون رسول الله تعالى إلى الناس من البشر. فقال – رحمه الله – :"وسبب النزول فيما رُوي عن ابن عباس :أن الكفار قالوا لما بُعث محمداً: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب؟ فنزلت: "أكان للناس" يعني أهل مكة "عجباً" وقيل: إنما تعجبوا من ذكر البعث "[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي هو المروي عن ابن عباس[٢] وابن جريج[٣] ورجّحه ابن جرير الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] والنحاس في معاني القرآن[٦] والسمرقندي[٧] والثعلبي[٨] والماوردي[٩] والواحدي[١٠] والسمعاني[١١] والسمعاني[١١] والبغوي[١٢] والزمخشري[١٣] وابن الجوزي في زاد المسير[١٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٧٨).

(٢) جامع البيان للطبري (١١/٨١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٥).

(٣) جامع البيان للطبري (١١/٨١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٢٢).

(٦) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٧٦).

(٧) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٠٢).

(٨) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١١٧).

(٩) النكت والعيون للماوردي (٢/٤٢١).

(١٠) الوجيز للواحدي (١/٤٨٩).

(١١) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٦٥).

(١٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٤٣).

(١٣) الكشاف للزمخشري (٢/٣١٣).

(١٤) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٥).

والرازي[١] والبيضاوي[٢] والخازن[٣] وابن جزّي الكلبي[٤] وأبو حيان[٥] وابن كثير[٦] والثعالبي[٧] وابن عادل[٨] والسيوطي[٩] والشوكاني[١٠] والألوسي[١١] والقاسمي[١٢] والمراغي[١٣] والسعدي[١٤] وابن عاشور[١٥].

والدليل لهذا القول سبب النزول. فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد فنزلت"[١٦].

ويؤيد هذا القول قوله تعالى:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ [ص: ٤].

وقوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤].

وقيل :إنما تعجبوا من ذكر البعث. ذكره الزجاج حيث قال :"وجائز والله أعلم أنهم عجبوا من أن النبي ﷺ أنذرهم وبشّر الذين امنوا، والإنذار والبشارة متصلان

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٥/١٧).
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٣/٣).
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٧٩/٢).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٩/٢).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٢٥/٥).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٢).
(٧) الجواهر الحسان للثعالبي (١٦٨/٢).
(٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٥٤/١٠).
(٩) الدر المنثور للسيوطي (١٣٢/٥).
(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٢٤/٢).
(١١) روح المعاني للألوسي (٦١/١١).
(١٢) محاسن التأويل للقاسمي (٥/٦).
(١٣) تفسير المراغي (/٥٩).
(١٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٧/١).
(١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٣/٥).
(١٦) الدر المنثور للسيوطي (١٣٢/٥)، وجامع البيان للطبري (٨١/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٢٢/٦).

بالبعث والنشور، فعجبوا أن أعلمهم أنهم يبعثون، ويجازون بالحسنة والسيئة "[١]

وبعد النظر والتأمل أجد أن ما رجّحه القرطبي هو الأولى ، وذلك للقواعد التالية :

١- (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ماعدا ذلك)[٢].

٢- (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[٣].

٣- (إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير)[٤].

---

[١] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٥).

[٢] قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣١٢).

[٣] المرجع السابق (١/٢٧١).

[٤] المرجع السابق (١/٢٤١).

معنى﴿ قَدَمَ صِدۡقٍ ﴾في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾ [يونس: ٢]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن قوله تعالى:﴿ قَدَمَ صِدۡقٍ ﴾ كناية عن السعي في العمل الصالح، فقال :"واختلف في معنى﴿ قَدَمَ صِدۡقٍ ﴾...... وحقيقته أنه كناية عن السعي في العمل الصالح؛ فكُنّي عنه بالقدم كما يُكنّى عن الإنعام باليد وعن الثناء باللسان. وأنشد حسان[١]: لنا القدم العليا إليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع [٢]

(٢)

يريد السابقة بإخلاص الطاعة، والله أعلم [٣].

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي روي عن ابن عباس [٤]. ورجّحه الطبري[٥] وابن أبي أبي زمنين[٦] والواحدي[٧] والسمعاني[٨] وابن جزي الكلبي[٩] وابن كثير[١٠] والبقاعي[١١] والمراغي[١] والسعدي[٢].

---

(١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مالك بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، توفي سنة (٥٤هـ) وعمره ١٢٠سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥١٢/٢)، وتقريب التهذيب (١٥٧/١).

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة والإسلام (٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/٨).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٣٤١/٤).

(٥) جامع البيان للطبري (٨٢/١١).

(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٤٣/٢).

(٧) الوجيز للواحدي (٤٨٩/١).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٦٥/٢).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٨٩/٢).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٧/٢).

(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤١٤/٣).

وقال ابن عباس: قدم صدق: منزل صدق[٣]؛ دليله قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِى مُدۡخَلَ صِدۡقٍ وَأَخۡرِجۡنِى مُخۡرَجَ صِدۡقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠]

وذهب إلى هذا القول أبو عبيدة[٤] والزجاج[٥] والزمخشري[٦] والبيضاوي[٧] والنسفي[٨] والسّمين الحلبي[٩] وابن عادل[١٠] وأبو السعود[١١] والشوكاني[١٢] والألوسي[١٣].

وعن ابن عباس أيضاً: قدم صدق: سبق السعادة في الذكر الأول.[١٤]وذهب ابن عطية إلى هذا القول[١٥].

وقال الزجاج: درجة عالية [١٦]. قال ذو الرمة[١٧]:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العالي طمت[١٨] على البحر[١٩].

---

(١٢) تفسير المراغي (٤/٦١).

(١٣) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٥٧).

(١) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٧٦).

(٢) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (١/٢٧٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦).

(٤) الكشاف للزمخشري (٢/٣١٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٨٤).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١١٧).

(٧) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/١٤٦).

(٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٥٥).

(٩) تفسير أبي السعود (٤/١١٧).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٢/٤٢٢).

(١١) روح المعاني للألوسي (١١/٦٢).

(١٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٥) والدر المنثور للسيوطي (٤/٣٤١).

(١٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٠٣).

(١٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦).

(١٥) هو: غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي. ينظر: طبقات فحول الشعراء (٢/٥٣٤).

(١٦) طمت يقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو، ينظر: لسان العرب (١٢/٣٧٠).

(١٧) ديوان ذو الرمة (١/٢٣١).

وقال أبي بن كعب[١] ومجاهد[٢] وقتادة[٣]: سلف صدق .

وقال الربيع[٤] وابن زيد[٥]: ثواب صدق.

وقال عطاء: مقام صدق[٦].

وعن يَمَان: إيمان صدق[٧].

وقيل : دعوة الملائكة[٨] .

وقيل: ولد صالح قدموه؛ قاله الحسن[٩].

وقال الماوردي: أن يوافق صدق الطاعة صدق الجزاء[١٠].

وقال الحسن[١١] وقتادة[١٢] أيضاً: هو محمد ﷺ فإنه شفيع مطاع يتقدمهم؛ وقاله أيضاً مقاتل بن حيان[١٣] وروي عن علي بن أبي طالب[١٤] وأبو سعيد الخدري[١٥] كما قال ﷺ :"أنا فرطكم على الحوض"[١٦].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٣٤٢/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٢٣/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/٤).

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٢٣/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤١/٤).

(٥) جامع البيان للطبري (٨٢/١١).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٢٧/٥).

(٧) المرجع السابق.

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/٨).

(٩) البحر المحيط لأبي حيان (١٢٧/٥).

(١٠) النكت والعيون للماوردي (٤٢٢/٢).

(١١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤١/٤).

(١٢) جامع البيان للطبري (٨١/١١).

(١٣) النكت والعيون للماوردي (٤٢١/٢).

(١٤) الدر المنثور للسيوطي (٣٤٢/٤).

(١٥) المرجع السابق.

وقال الترمذي الحكيم: قدمه ﷺ في المقام المحمود[1].

وعن الحسن أيضاً مصيبتهم في النبي ﷺ [2].

وقيل: هو تقديم الله هذه الأمة في الحشر من القبر وفي إدخال الجنة[3]. كما قال: " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق"[4].

وبعد النظر في الأقوال أجد أن ما رجحه القرطبي عام يجمع الأقوال جميعها والقول بالعموم أولى، وعليه قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[5].

---

(16) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٠٤/٥)، كتاب الرقائق، باب في الحوض وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ حديث رقم (٦٢٠٥). ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث رقم (٢٢٨٩).

(1) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ (٣٧٦/١). والترمذي الحكيم هو: محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد الحافظ، صاحب التصانيف، عاش نحواً من ثمانين سنة. ينظر: تذكرة الحفاظ (٦٤٥/٢)، ولسان الميزان (٣٠٨/٥).

(2) الدر المنثور للسيوطي (٣٤٢/٤).

(3) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/٨).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٨٦/٢)، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (٨٥٦) بلفظ:" نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق". وهو بعض حديث.

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بدعواهم في قوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بدعواهم دعاؤهم حيث قال:"﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ أي: دعاؤهم؛ والدعوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو؛ أي: دعاؤهم في الجنة أن يقولوا سبحانك اللهمّ. وقيل: إذا أرادوا أن يسألوا أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد. وقيل: نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاءوا ثم سبحوا. وقيل: إن الدعاء هنا بمعنى التمني قال الله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣١] أي ما تتمنون [١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن قتادة[٢] ورجّحه أبو عبيدة[٣] والطبري[٤] والزجاج[٥] والنحاس[٦] وابن عطية[٧] والبيضاوي[٨] والنسفي[٩] وابن جزي[١٠] وأبو حيان[١١] والثعالبي[١٢] والشوكاني[١] والألوسي[٢]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٨٤).

(٢) جامع البيان للطبري (١١/٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١١).

(٣) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (١/٢٧٥).

(٤) جامع البيان للطبري (١١/٨٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٧).

(٦) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٧٩).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٠٧).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٨٧).

(٩) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١١٩).

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٩٠).

(١١) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٣٢).

(١٢) الجواهر الحسان للثعالبي (٢/١٧١).

والمراغي[3] وابن عاشور[2].

وقيل: إذا أرادوا أن يسألوا شيئاً أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد. قاله الربيع بن أنس[3] وسفيان الثوري[4] .

وقيل: نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاءوا ثم سبحوا. قاله مقاتل[5] وفسّر به السمرقندي[6].

وقيل: أن الدعاء هنا بمعنى التمني. ذكره القفال[7].

وقال ابن جريج: أُخبرت أن قوله:﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [يونس:١٠] هو أنه أذا مرّ بهم طير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم الملك بذلك المشتهى[8].

قال ابن الخطيب[9]: وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أن تمنيهم في الجنة أن يسبحوا الله تعالى، أي: تمنيهم لما يتمنونه، ليس إلا في تسبيح الله وتقديسه وتنزيهه [10].

---

(١٣) فتح القدير للشوكاني (٤٢٧/٢).

(١٤) روح المعاني للألوسي (٧٥/١١).

(١) تفسير المراغي (٧١/٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠٣/٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٢٩/٦).

(٤) تفسير الثوري (١٢٨/١)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤٥/٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٣٠/٦).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٥/٢).

(٧) التفسير الكبير للرازي (٣٦/١٧) والقفال هو: محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي، أبو بكر القفال الكبير، الإمام العلامة، الفقيه الأصولي اللغوي والمفسر، إمام وقته بما وراء النهر، له " التفسير الكبير"، توفي سنة (٣٦٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٨٠)، وطبقات الشافعية (١٤٨/١).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (١٠/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤٦/٤).

(٩) هو: يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن بسطام البستاني أبو زكريا ابن الخطيب، كان إماماً في النحو واللغة والآداب، وله كتاب في تفسير القرآن. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١٥١).

قال ابن منظور[1]: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [يس: ٥٧] معناه ما يتمنون وهو راجع إلى معنى الدعاء، أي ما يدعيه أهل الجنة يأتيهم[2].

وقيل: يراد بالدعاء العبادة. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٤٨] أي وما تعبدون. فسر به السعدي حيث قال: أي عبادتهم فيها لله أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص وآخرها تحميد لله تعالى فالتكاليف سقطت عنه في دار الجزاء وإنما بقي لهم أكمل اللذات الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب وتفرح به الأرواح وهو لهم بمنزلة النفس من دون كلفة ومشقة[3].

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "الدعاء هو العبادة" [4] ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]

وقال بعضهم: لا يبعد أن يكون المراد من الدعوى نفس الدعوى التي تكون للخصم على الخصم، والمعنى أنّ أهل الجنة يَدّعون في الدنيا وفي الآخرة تنزيه الله تعالى عن كل المعايب والإقرار له بالألوهية[5]. قال القفال: أصل ذلك أيضاً من

---

(١٠) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٧١/١٠).

(١) هو: محمد بن أبي العز مكرم بن علي بن أحمد الخزرجي أبي الفضل جمال الدين، ولد بالقاهرة سنة (٦٣٠هـ) صاحب كتاب لسان العرب في اللغة، وتوفي سنة (٧١١هـ). ينظر: أبجد العلوم (١٠/٣)، والدرر الكامنة (١٥/٦).

(٢) لسان العرب (١٣٥/١١).

(٣) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٩/١).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٧٦/٢) كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم (١٤٧٩)، وأخرجه الترمذي في سننه (٢١١/٥) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم (٢٩٦٩)، وفي باب ومن سورة المؤمن حديث رقم (٣٢٤٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٢٥٨/٢) كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٣٨٢٨). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦٦٧/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني : صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه (٢٥٢/٣).

(٥) التفسير الكبير للرازي (٣٦/١٧).

الدعـــاء؛ لأن الخصم يدعو خصمه إلى من يحكم بينهم[١].

قال أبو مسلم: دعواهم أي: قولهم وإقرارهم ونداؤهم، وذلك هو قولهم: سبحانك اللهم[٢]. فسّر بهذا القول ابن أبي زمنين [٣] والثعلبي[٤] والخازن [٥].

وقيل: المراد من قوله:﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ أي طريقتهم في تمجيد الله تعالى وتقديسه وشأنهم وسنّتهم، والدليل على أن المراد ذلك أن قوله:﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ ليس بدعاء ولا بدعوى، إلا أن المدّعي لشيء يكون مواظباً على ذكره، ولا جرم جعل لفظ الدعوى كناية عن تلك المواظبة والملازمة، فأهل الجنة لما كانوا مواظبين على هذا الذكر لا جرم أطلق لفظ الدعوى عليها[٦].

وقال القفال أيضاً: يحتمل أن يكون المعنى في الدعوى ما كانوا يتداعونه في الدنيا في أوقـــات حروبهم ممن يسكنون إليه ويستنصرونه كقولهم يا آل فلان، فأخبرالله تعالى أن أنسهم في الجنة بذكرهم الله تعالى وسكونهم بتحميدهم الله ولذتهم بتمجيدهم الله تعالى[٧] .

قال الراغب الأصفهاني[٨]: والدعوى :الادّعاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾[الأعراف: ٥] والدعوى: الدعاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[يونس: ١٠] [٩].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٧١)، وفتح القدير للشوكاني (٢/٤٢٧).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧/٣٦)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٧١).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٤٥).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٢١).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٨٢).

(٦) التفسير الكبير للرازي (١٧/٣٦)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٧١).

(٧) التفسير الكبير للرازي (١٧/٣٦).

(٨) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، أبو القاسم، أديب من الحكماء العالمين العارفين باللغة والتفســير، توفي سنة (٥٠٢هـــ). ينظر: سير أعــلام النبــلاء (١٨/١٢٠)، والأعــلام (٢/٢٥٥).

وقال ابن الجوزي: وفي المراد بهذا الدعاء قولان:

أحدهما: أنه استدعاؤهم ما يشتهون .

والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعونه به قالوا: سبحانك اللهم[١].

وبعد النظر والتأمل يمكنني القول بأن جميع الأقوال التي ذكرت في الآية ترجع إلى معنى الدعاء والقاعدة ناطقة بأنه: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[٢].

---

[٩] المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (١٧٠/١).

[١] زاد المسير لابن الجوزي (١٠/٤).

[٢] قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس:١٢]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن الآية تعم الكافر والمسلم فقال: " قيل: المراد بالإنسان هنا الكافر، قيل: هو أبو حذيفة بن المغيرة المشرك تصيبه البأساء والشدة والجهد .... والآية تعم الكافر وغيره" [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي ترجيح الثعلبي[٢] والبغوي[٣] والزمخشري[٤] وابن عطية[٥] وأبو حيان[٦] وابن كثير[٧] والثعالبي[٨] والشوكاني[٩] والسعدي[١٠] والشنقيطي[١١].

قال أبو حيان: "والظاهر أنه لا يراد بالإنسان هنا شخص معين كما قيل: إنه أبو حذيفة هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس ومقاتل. وقيل: عقبة بن ربيعة. وقيل: الوليد بن المغيرة. وقيل: هما، قاله عطاء. وقيل: النضر بن الحارث وأنه لا يراد به الكافر بل المراد الإنسان من حيث هو سواء كان كافراً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٧/٨).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٢٢/٥).
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٤٦/٢).
(٤) الكشاف للزمخشري (٣١٧/٢).
(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٩/٣).
(٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٣/٥).
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٠/٢).
(٨) الجواهر الحسان للثعالبي (١٧٣/٢).
(٩) فتح القدير للشوكاني (٤٢٩/٢).
(١٠) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٩/١).
(١١) أضواء البيان للشنقيطي (١٥٢/٢).

أم عاصياً بغير الكفر" [١].

وقيل: المراد بالإنسان هنا الكافر.

وهذا القول رجّحه الطبري[٢] والسمرقندي[٣] وابن أبي زمنين[٤] والواحدي[٥] والواحدي[٥] والرازي[٦] والنسفي[٧] والخازن[٨].

قال الرازي: اللفظ المفرد المحلى بالألف واللام حكمه أنه إذا حصل هنا معهود سابق انصرف إليه، وإن لم يحصل هناك معهود سابق وجب حمله على الاستغراق، صوناً له عن الإجمال والتعطيل، ولفظ الإنسان ههنا لائق بالكافر؛ لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة [٩].

وبعد النظر في القولين أجد أن المراد بالإنسان في الآية السابقة الكافر هو الأولى وبذلك يترجّح ما رجّحه الطبري ومن وافقه. والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٣/٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٩٣/١١).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٦/٢).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٤٧/٢).

(٥) الوجيز للواحدي (٤٩١/١).

(٦) التفسير الكبير للرازي (٤٢/١٧).

(٧) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٠/٢).

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٨٣/٢).

(٩) التفسير الكبير للرازي (٤٢/١٧).

معنى ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن معنى قوله تعالى :" ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ لينظر ربكم إلى أعمالكم ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب. حيث قال: "أي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب ولم يزل يعلمه غيباً. وقيل: يعاملكم معاملة المختبر إظهاراً للعدل. وقيل: النظر راجع إلى الرسل؛ أي لينظر رسلنا وأولياؤنا كيف أعمالكم "[1].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي هو ترجيح الطبري[2] والبغوي[3] والزمخشري[4] والرازي[5] والبيضاوي[6] والنسفي[7] والخازن[8] وأبو حيان [9] والسمين الحلبي[10]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/٨).
(٢) جامع البيان للطبري (٩٤/١١).
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٤٦/٢).
(٤) الكشاف للزمخشري (٣١٨/٢).
(٥) التفسير الكبير للرازي (٤٤/١٧).
(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٩/٣).
(٧) مدارك التنزيل للنسفي (١٢١/٢).
(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٧٨/٣).
(٩) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٥/٥).

الحلبي[1] والألوسي[2] والقــاسمي[3] والمراغي[4] والسعدي [5] وفسّر به السمــرقندي[6]

والثعلبي[7] وابن عطية[8] وابن كثير[9] والثعالبي[4] والشوكاني[5]. واستُدل لهذا القول القول بقول النبيﷺ: "إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله استخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء "[6].

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس: ١٤]" ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال:"صدق ربنا ما جعلنا خلائف الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأَرُوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية"[7].

وقيل: يعاملكم معاملة المختبر إظهاراً للعدل. رجّح هذا القول الواحدي[8] والسمعاني[9] وابن عادل[10].

---

(١٠) الدر المصون للسمين الحلبي (٤١٠/٢).

(١١) روح المعاني للألوسي (٨٣/١١).

(١٢) محاسن التأويل للقاسمي (١١/٦).

(١٣) تفسير المراغي (٧٧/٤).

(١٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٥٩/١).

(١٥) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/٢).

(١) الكشف والبيان للثعلبي (١٢٣/٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٠/٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤١٠/٢).

(٤) الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٣/٥).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤٣٠/٢).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٩٨/٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنه بالنساء، حديث رقم (٢٧٤٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (١٩٣٤/٦) وذكره السيوطي كذلك في الدر المنثور (٣٤٧/٤) ونقله ابن الجوزي في زاد المسير (١٣/٤) قولاً لقتادة.

(٨) الوجيز للواحدي (٤٩٢/١).

وقيل: النظر راجع إلى الرسل؛ أي لينظر رسلنا وأولياؤنا كيف أعمالكم.

وبعد النظر في الأقوال أجد أن معنى قوله تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ليكون علمنا الغيبي مُشاهداً في الواقع فنحاسبكم على ما وقع منكم. وهذا هو معنى الأقوال الثلاثة ولا اختلاف بينها وبالتالي لا مانع من حمل الآية عليها جميعاً، ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح [١١] والله أعلم.

---

(٩) تفسير القرآن للسمعاني (٣٧٠/٢).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٨١/١٠).

(١١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٤٥/١).

المراد بقوله:﴿ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦].

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن معنى قوله تعالى:﴿ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا ﴾ أي مقداراً من الزمن تعرفوني بالصدق والأمانة ثم جئتكم بالمعجزات. فقال : " أي مقدار من الزمان وهو أربعون سنه من قبل القرآن تعرفوني بالصدق لا أقرأ ولا أكتب ثم جئتكم بالمعجزات. وقيل: معنى "لبثت فيكم عمراً" أي لبثت فيكم مدة شبابي لم أعص الله أفتريدون مني الآن وقد بلغت أربعين سنة أن أخالف أمر الله، وأغير ما ينزله عليّ"[١] .

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه الزجاج[٢] والنحاس في إعراب القرآن[٣] والسمرقندي[٤] والثعلبي[٥] والماوردي[٦] والواحدي[٧] والبغوي[٨] والزمخشري[٩] والزمخشري[٩] وابن عطية[١٠] وابن الجوزي في زاد المسير[١١] والرازي[١٢]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠/٣).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢٤٩/٢).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي(١٠٨/٢).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي(١٢٤/٥).

(٦) النكت والعيون للماوردي (٤٢٧/٢).

(٧) الوجيز للواحدي (٤٩٢/١).

(٨) معالم التنزيل للبغوي (٣٤٧/٢).

(٩) الكشاف للزمخشري(٣٠٢/٢).

(١٠) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٠/٣).

(١١) زاد المسير لابن الجوزي(١٥/٤).

(١٢) التفسير الكبير للرازي(٤٧/١٧).

والبيضاوي[1] والنسفي[2] وابن جزي[3] وأبو حيان[4] والثعالبي[5] وابن عادل[6] وأبو عادل[6] وأبو السعود[7] والشوكاني[8] والألوسي[9] والقاسمي[10] والمراغي [11] والسعدي[12] والشنقيطي[13] وابن عاشور[14] .

وقيل: معنى ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ [يونس: ١٦] أي لبثت فيكم مدة شبابي لم أعص الله تعالى أفتريدون مني الآن وقد بلغت أربعين سنه أن أخالف أمر الله، وأغير ما ينزله عليّ. رجحه الطبري[15] والخازن[16] وابن كثير[17].

وبعد النظر والتأمل يتضح أن القول الثاني هو المعنى الموافق لسياق الآيات. فقد قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه معرّفه على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل لهم يا محمد: لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ [يونس: ١٦] يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ومن أن يوحيه إلي ربي ﴿ أَفَلَا

---

(١٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٠/٣).

(١٤)مدارك التنزيل للنسفي(١٢٢/٢).

(١٥)التسهيل للعلوم التنزيل للكلبي(٩٠/٢).

(١٦)البحر المحيط لأبي حيان (١٣٧/٥).

(١٧) الجواهر الحسان للثعالبي(١٧٣/٢).

(١٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل(٢٨٤/١٠).

(١٩) تفسير أبي السعود(١٣٠/٤).

(٢٠) فتح القدير للشوكاني(٤٣١/٢).

(٢١) روح المعاني للألوسي(٨٦/١١).

(٢٢)محاسن التأويل للقاسمي(١٢/٦).

(٢٣)تفسير المراغي(٨٠/٤).

(٢٤)تيسير الكريم المنان للسعدي(٣٦٠/١).

(٢٥)أضواء البيان للشنقيطي(١٥٣/٢).

(٢٦)التحرير والتنوير لابن عاشور(١٢٠/٥).

(٢٧) جامع البيان للطبري (٩٥/١١).

(٢٨)لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٨٤/٢).

(٢٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤١١/٢).

تَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦] أني لو كنت منتحلاً ما ليس لي من القول كنت قد انتحلته في أيام شبابي وحداثتي، وقبل الوقت الذي تلوته عليكم، فقد كان لي اليوم لو لم يوح وأؤمر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع في الحال التي كنت بها منكم قبل أن يوحى إلي وأؤمر بتلاوته عليكم "[١]

وبعد ذلك يتضح أن ما رجّحه الطبري ومن وافقه هو الراجح وعليه قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[٢] .

(١) جامع البيان للطبري(١١/٩٥).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين(١/١٢٥).

المراد بقوله تعالى:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧ ﴾ [يونس: ١٧]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن قوله تعالى:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧] مما أُمر به الرسول ﷺ أن يقوله لهم. حيث قال: "وهذا مما أُمر به الرسول ﷺ أن يقول لهم. وقيل: هو من قول الله ابتداء"[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي رجّحه الإمام الطبري[٢] وابن الجوزي في زاد المسير[٣] والرازي[٤] والخازن[٥] وابن عادل[٦] وأبو السعود[٧] والشوكاني[٨] والألوسي[٩] والسعدي[١٠] وابن عاشور[١١].

قال الرازي: واعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر، وذلك لأنهم التمسوا منه قرآناً يذكره عند نفسه، ونسبوه إلى أنه إنما يأتي بهذا القرآن من عند نفسه، ثم أنه أقام البرهان القاهر الظاهر على أن ذلك باطل، وأن هذا القرآن ليس إلا بوحي الله تعالى وتنزيله، فعند هذا قال:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [يونس: ١٧] والمراد أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله، لما كان في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/٨).
(٢) جامع البيان للطبري (٩٧/١١).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٥/٤).
(٤) التفسير الكبير للرازي (٤٨/١٧).
(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٠/٣).
(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٨٤/١٠).
(٧) تفسير أبي السعود (١٣١/٤).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٣٢/٢).
(٩) روح المعاني للألوسي (٨٧/١١).
(١٠) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٠/١).
(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٣/١١).

الدنيا أحد أظلم على نفسه مني، حيث افتريته على الله، ولما أقمت الدلالة على أنه ليس الأمر كذلك، بل هو بوحي من الله تعالى وجب أن يقال إنه ليس في الدنيا أحد أجهل ولا أظلم على نفسه منكم؛ لأنه لما ظهر بالبرهان المذكور كونه من عند الله، فإذا أنكرتموه كنتم قد كذّبتم بآيات الله فوجب أن تكونوا أظلم الناس[1].

وقيل : هو من قول الله ابتداءً. وهذا القول له وجاهته أيضاً حيث أن الرسول ﷺ أقام الدليل والبرهان على أن القرآن من عند الله تعالى، ثم ابتدأ سبحانه برهاناً آخر وهو أن من أتى بكلام من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى فقد افترى على الله الكذب ولا أحد أظلم منه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤- ٤٧] .

إذا اتضح هذا فإن الآية يمكن حملها على القولين معاً ولا مانع من ذلك ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح[2]. والله أعلم.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٤٨/١٧).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٤٥/١).

المراد بـ ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بـ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ شفعاء لهم عند الله في الآخرة. حيث قال: "وهذه غاية الجهل منهم؛ حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال. وقيل: ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾ أي تتشفع لنا عند الله في إصلاح معائشنا في الدنيا"[١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي هو المروي عن ابن عباس[٢] ومقاتل[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٦/٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٦٠/١).

(٤) جامع البيان للطبري (٩٨/١١).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٢٨٣/٣).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٨/٢).

(٧) الكشاف للزمخشري (٣٢٠/٢).

(٨) التفسير الكبير للرازي (٤٩/١٧).

(٩) تفسير أبي السعود (١٣١/٤).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٣٢/٢).

(١١) روح المعاني للألوسي (٨٨/١١).

(١٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥٠٨/٣).

(١٣) الكشف والبيان للثعلبي (٢٣٤/٢).

ورجّحه ابن جرير[٤] والنحاس في معاني القرآن[٥] والسمرقندي[٦] والزمخشري[٧] والرازي[٨] وأبو السعود[٩] والشوكاني[١٠] والألوسي[١١] والشنقيطي[١٢].

قال الثعلبي : قال المفسرون سبب نزول هذه الآية أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى فأنزل الله تعالى هذه الآية[١٣] .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزّى. قال: فأنزل الله تعالى﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[١].

وقيل:﴿ شُفَعَٰٓؤُنَا ﴾ أي : تشفع لنا عند الله في إصلاح معائشنا في الدنيا، قاله الحسن[٢] ورجّحه ابن أبي زمنين[٣] والواحدي[٤] والسمعاني[٥] والنسفي[٦] .

قال الألوسي : "والظاهر أن سائر المشركين كانوا يقولون هذا القول، ولعلّ ذلك منهم على سبيل الفرض والتقدير، أي : إن كان بَعثٌ كما زعمتم فهؤلاء يشفعون لنا فلا يقال إن المتبادر من الشفاعة عند الله تعالى أنه في الآخرة وهو مستلزم للبعث وهم ينكرونه، كما يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ﴾[النحل: ٣٨] وكذا ما تقدم آنفاً من قوله سبحانه:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [يونس: ١٥] فيلزم المنافاة بين مفاهيم الآيات وكأنه لذلك قال الحسن عليه الرحمة: إنهم أرادوا أن هذه الشفاعة، الشفاعة في الدنيا لإصلاح المعاش وحينئذ لا منافاة، والجمهور على الأول" [٧].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٦/٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٦/٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٤٨/٢).

(٤) الوجيز للواحدي (٤٩٢/١).

(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٣٧٢/٢).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٢/٢).

(٧) روح المعاني للألوسي (٨٨/١١).

وبعد النظر في القولين أجد أن ما رجّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة : (إذا صح سبب النزول فهو مُرجّح لما وافقه من أوجه التفسير)[1].

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤١/١).

المراد بالوحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ﴾ [يونس: ١٩].

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن الأمة الواحدة في الآية كانت على الشرك فقال: "وقال الزجاج: هم العرب كانوا على الشرك. وقيل: كل مولود يولد على الفطرة فاختلفوا عند البلوغ" [١].

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي منقول عن ابن عباس رضي الله عنه في رواية عنه[٢] وكذا الحسن البصري[٣] وعطاء[٤]. ورجّحه الزجاج[٥] والواحدي.[٦]

وقيل: كل مولود يولد على الفطرة، فاختلفوا عند البلوغ.

وقيل: كانوا جميعاً على الدين الحق وهو دين الإسلام. وهذا القول منقول عن ابن عباس في رواية أخرى عنه[٧] وأبي بن كعب[٨] ومجاهد[٩] وقتادة[١٠] والسدّي[١١] ومقاتل[١٢]. ورجّحه ابن جرير[١٣] والنحاس في إعراب القرآن[١٤] وابن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩١-٢٩٢).
(٢) الدر المنثور للسيوطي (١/٥٨٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٩).
(٣) معالم التنزيل للبغوي (١/١٨٦).
(٤) المرجع السابق.
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٠).
(٦) الوجيز للواحدي (١/٤٩٣).
(٧) الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٤٩).
(٨) زاد المسير لابن الجوزي(١/٢٢٩)، والدر المنثور للسيوطي(١/٥٨٢).
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٥١).
(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٩).
(١١) المرجع السابق.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٨٧).
(١٣) جامع البيان للطبري (٢/٣٣٦).
(١٤) إعراب القرآن للنحاس (١/٣٠٣).

أبي زمنين[١] والثعلبي[٢] والسمعاني[٣] والبغوي[٤] والزمخشري[٥] والرازي[٦] والنسفي[٧] والخازن[٨] وأبو حيان[٩] وابن كثير[١٠] وابن عادل[١١] وأبو السعود[١٢] السعود[١٢] والشوكاني[١٣] والألوسي[١٤] والقاسمي[١٥] والمراغي[١٦] والسعدي[١٧] والشنقيطي[١٨] وابن عاشور[١٩].

واستدل لهذا القول بما يأتي :

١. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[٢٠].

٢. عن الضحـــاك في قولـــه ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٤٨).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٢٥).
(٣) تفسير القرآن للسمعاني (١/٢١٣).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٤٨).
(٥) الكشاف للزمخشري (١/٢٨٣).
(٦) التفسير الكبير للرازي (١٧/٥٠).
(٧) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٢٢).
(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/٢٨٦).
(٩) البحر المحيط لأبي حيان (٢/١٤٤).
(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤١٢).
(١١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٨٦).
(١٢) تفسير أبي السعود (١/٢١٤-٤/١٣٢).
(١٣) فتح القدير للشوكاني (١/٢١٣-٢/٤٣٣).
(١٤) روح المعاني للألوسي (١١/٨٩).
(١٥) محاسن التأويل للقاسمي (٦/١٥).
(١٦) تفسير المراغي(٤/٨٣).
(١٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٩٠).
(١٨) أضواء البيان للشنقيطي (١/١٥٥-٣٨/٨٠).
(١٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/١٢٧).
(٢٠) الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٤٩).

[يونس: ١٩] "في قراءة ابن مسعود قال: "كانوا على الهدى".

٣. الغــالب من أسلوب القرآن إطــلاق لفظ "أمــة" بمعنى الملة والدين ، أن يستعمله في ديــن الإســلام كقولــه تعــالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود:١١٨].

قال ابن جرير: توعد – جل ذكره – على الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمه واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر، ثم كان الاختلاف بعد ذلك لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا قول الجمهور وهو الصواب، وقد قيل: كانوا أمة واحدة على الباطل، وهو من الباطل (٢).

ويقول ابن القيم بعد أن ذكر قول من قال: إنهم كانوا على الكفر: وهذا القول ضعيف جدا، وهو منقطع عن ابن عباس، والصحيح على خلافه (٣).

وبعد التأمل في هذه الأقوال يتضح أن ما ذهب إليه ابن جرير الطبري ومن وافقه هو الراجح ويؤيده جملة من القواعد الترجيحية منها :-

١- القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجّح على ما خالفه (٤).

٢-حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك (٥).

٣-تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ (٦).

---

(١) جامع البيان للطبري (٢/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) الرسالة الصفدية لابن تيمية (٥٥١).

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٢٠٤) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(١/٢٥١).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩).

(٥) المرجع السابق (١/١٧٢).

(٦) المرجع السابق (١/٢٨٨).

المراد بقوله: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ في قوله تعالى:
﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠ ﴾ [يونس: ٢٠]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ انتظروا نزول الآية إني معكم من المنتظرين لنزولها. حيث قال: "﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أي تربصوا. ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ لنزولها. وقيل: انتظروا قضاء الله بيننا بإظهار المحق على المبطل " [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي ترجيح السمرقندي[٢] والثعلبي[٣] والواحدي[٤] والزمخشري[٥] والبيضاوي[٦] والنسفي[٧] والخازن[٨] وابن جزي الكلبي[٩] وأبو حيان[١٠] والثعالبي[١١] وأبو السعود[١٢] والشوكاني[١٣].

وقيل: انتظروا قضاء الله بيننا بإظهار المحق على المبطل.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢/٨).
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٩/٢).
(٣) الكشف والبيان للثعلبي (١٢٦/٥).
(٤) الوجيز للواحدي (٤٩٣/١).
(٥) الكشاف للزمخشري (٣٢١/٢).
(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩١/٣).
(٧) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٣/٢).
(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨١/٣).
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩١/٢).
(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٩/٥).
(١١) الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٦/٥).
(١٢) تفسير أبي السعود (١٣٣/٤).
(١٣) فتح القدير للشوكاني (٢٣٤/٢).

رجّح هذا القول الطبري[١] وابن عطية[٢] وابن كثير[٣] والألوسي[٤] والقاسمي[٥] والقاسمي[٥] والمراغي[٦] والسعدي[٧] وابن عاشور[٨].

قال المراغي : وقد جاء تفسير ما ينتظره وينتظرونه منه في قول في آخر هذه السورة في قوله:﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾[يونس: ١٠٢] [٩].

وفي قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ قال قتادة: وقائع الله في الذين خلو من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود [١٠].

وقال الحسن: فانتظروا مواعيد الشيطان وكانوا مع إبليس على موعد فيما يعدهم ويمنيهم إني معكم من المنتظرين [١١].

وعند النظر في القولين أجد أنه لا مانع من حمل الآية عليهما جميعاً؛ لأن النص عام يحتملهما معاً، ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح[١٢]. والله أعلم.

---

(١) جامع البيان للطبري (١١/٩٩).
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/١٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤١٣).
(٤) روح المعاني للألوسي (١١/٩٣).
(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٦/١٥).
(٦) تفسير المراغي (٤/٨٦).
(٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٣٦١).
(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٣٢).
(٩) تفسير المراغي (٤/٨٦).
(١٠) جامع البيان للطبري (١١/١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٩١).
(١١) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٢٦)، والوجيز للواحدي (١/٤٦٨).
(١٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٤٥).

مرجع الضمير في "جاءتها" في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس: ٢٢]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن الضمير في "جاءتها" للسفينة. حيث قال: " الضمير في "جاءتها" للسفينة. وقيل: للريح الطيبة "[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي ترجيح مقاتل بن سليمان[٢] والطبري[٣] والسمرقندي[٤] والثعلبي[٥] والبغوي[٦] وابن الجوزي في زاد المسير[٧] وأبو حيان[٨] وابن كثير[٩] كثير[٩] والثعالبي[١٠] وابن عاشور[١١].

قال الفراء: وقوله: "وجاءتها" يعني الفلك؛ فقال: جاءتها، وقد قال في أول الكلام "وجرين بهم" ولم يقل وجرت، وكلٌّ صواب؛ تقول: النساء قد ذهبت، وذهبن. والفلك تؤنث وتذكر، وتكون واحدة وتكون جمعاً[١٢].

وقال أبو حيان: والظـــاهر عود الضمير في "جاءتها" علـــى الفلك؛ لأنه هو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٣).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٨٨).
(٣) جامع البيان للطبري (١١/١٠٠).
(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١١٠).
(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٢٧).
(٦) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٤٩).
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٤/١٩).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٤٢).
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤١٣).
(١٠) الجواهر الحسان للثعالبي (٥/١٢٧).
(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٣٧).
(١٢) معاني القرآن للفراء (١/٤٦٠).

المحدّث عنه في قوله: "وجرين بهم" [1].

وقيل: للريح الطيبة.

ورجّح هذا القول الزمخشري[2] والرازي[3] والسمين الحلبي[4] وابن عادل[5] وأبو السعود[6] والألوسي[7].

قال أبو السعود: والضمير المنصوب للريح الطيبة أي تلقّتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئاً لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى، وقيل للفلك. والأول أظهر لاستلزامه الثاني من غير عكس؛ لأن الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئاً بالنسبة إلى الفلك دون الريح اللينة مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من مكان ولأن التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم أكثر[8].

وبعد النظر والتأمل يظهر لي أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة: (إعادة الضمير إلى المُحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره) [9].

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٤٢).

(2) الكشاف للزمخشري (٢/٣٢٣).

(3) التفسير الكبير للرازي (١٧/٥٧).

(4) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/١٧٢).

(5) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٢٩٣).

(6) تفسير أبي السعود (٤/١٣٤).

(7) روح المعاني للألوسي (١١/١٢٣).

(8) تفسير أبي السعود (٤/١٣٤).

(9) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦٠٣).

الضمير في "عليها "من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن الضمير في "عليها "عائد إلى الأرض والمعنيّ النبات. حيث قال:"وقوله: ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي على حصادها والانتفاع بها؛ أخبر عن الأرض والمعنيّ النبات إذ كان مفهوماً منها. وقيل ردّ إلى الغلة، وقيل: إلى الزينة" [١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢] وقاله الزجاج[٣] ورجّحه الطبري[٤] وابن أبي زمنين[٥] والثعلبي[٦] والواحدي[٧] والسمعاني[٨] والبغوي[٩] والبغوي[٩] والزمخشري[١٠] وابن عطية[١١] وابن الجوزي[١٢] والرازي[١٣]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٥).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧/٦٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٣).

(٤) جامع البيان للطبري (١١/١٠٢).

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٥١).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٢٧).

(٧) الوسيط للواحدي (١/٤٩٤).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٧٦).

(٩) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٥٠).

(١٠) الكشاف للزمخشري (٢/٣٢٥).

(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١١٤).

(١٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٢١).

(١٣) التفسير الكبير للرازي (١٧/٦٠).

والبيضاوي[1] والنسفي[2] والخازن[3] وابن جزّي[4] وأبو حيان[5] وابن كثير[6] والثعالبي[7] وأبو السعود[8] والشوكاني[9] والألوسي[10] والقاسمي[11] والمراغي[12] والمراغي[12] وابن عاشور[13] .

وقيل: إلى الغلة. رجّح هذا القول السمرقندي حيث قال: قوله:﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ ﴾يعني أهل الزرع ﴿ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ يعني على غلاتها [14] .

وقيل :إلى الزينة. ولم أجد فيما لدي من كتب التفسير من رجّح هذا القول .

وبعد النظر والتأمل في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾[يونس: ٢٤] يتضح أن الضمير في قوله: ﴿ زُخْرُفَهَا ﴾ عائد إلى الأرض، أي: أخذت الأرض حسنها وزينتها. وقوله:﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ أي تزينت تلك الأرض بالحبوب والثمار والأزهار. والضمير في ﴿ أَهْلُهَآ ﴾عائد إلى الأرض، أي: أهل الأرض. وقوله:﴿ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ اختلف في الضمير

---

(١٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٣/٣).
(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٥/٢).
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٤/٣).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٢/٢).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٤٥/٥).
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٤/٢).
(٦) الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٧/٥).
(٧) تفسير أبي السعود (١٣٧/٤).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٣٨/٢).
(٩) روح المعاني للألوسي (١٠١/١١).
(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (١٨/٦).
(١١) تفسير المراغي (٩٣/٤).
(١٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٣/١١).
(١٣) بحر العلوم للسمرقندي (١١/٢).

في قوله: ﴿ عَلَيۡهَآ ﴾ كما ذكرت سابقاً، والأظهر أنه عائد على الأرض أيضاً، للقاعدة الناطقة بأنّ: (توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد أولى من تفريقها) [1].

المراد بدار السلام في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بدار السلام الجنة، وفي تسميتها دار السلام قولان: الأول: أن السلام هو الله تعالى والجنة داره. والثاني: أنها دار السلامة. حيث قال: "إن الله لا يدعوكم إلى جمع الدنيا بل يدعوكم إلى الطاعة لتصيروا إلى دار السلام، أي الجنة. قال قتادة والحسن: السلام هو الله، وداره الجنة، وسميت الجنة دار السلام، لأن من دخلها سلم من الآفات. وقيل: المعنى والله يدعوا إلى دار السلامة. والسلام والسلامة بمعنىً كالرضاع والرضاعة؛ قاله الزجاج. قال الشاعر:

تحيي بالسلامة أمُّ بكرٍ وهل لك بعد قومك من سلام[2].

وقيل: أراد والله يدعو إلى دار التحية؛ لأن أهلها ينالون من الله التحية والسلام، وكذلك من الملائكة. قال الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم؛ كما قال: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ﴾ [يونس: ١٠] " [3].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي رجّحه العز بن عبد السلام[4] والزجاج[5] والنحاس[6] والسمـــرقندي[1] والمـــاوردي[2] والسمعـــاني[3] وابن عطيـــة[4] والشوكـــاني[5].

والشوكـــاني[5].

(١٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦١٣).

(١) تاج العروس (٣٢/٣٧٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٦).

(٣) تفسير العز بن عبد السلام (٢/٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٣).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣/٢٨٨).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١١٢).

القول الأول: أن السلام هو الله تعالى والجنة داره. مروي عن ابن عباس[٦] والحسن[٧] وقتادة[٨] والسدّي[٩] ومقاتل بن سليمان[١٠].

ورجّحه الطبري[١١] وابن أبي زمنين[١٢] والثعلبي[١٣] والبغوي[١٤] والزمخشري[١٥] والخازن[١٦] والثعالبي[١٧] وابن عادل[١٨] والسيوطي[١٩] .

قال الرازي: القائلون بهذا القول قالوا به لأنه أولى؛ لأن إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية في تشريفها وتعظيمها وإكبار قدرها، فكان ذكر هذه الإضافة مبالغة في تعظيم الأمر [٢٠].

والقول الثاني: أنها دار السلامة. ذكره الزجاج[٢١]. ورجّحه ابن جزّي الكلبي[١] وابن كثير[٢] والمراغي[٣] والسعدي[٤].

---

(٧) النكت والعيون للماوردي (٤٣١/٢).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٧٧/٢).

(٩) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٥/٣).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٣٨/٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١٢٢/٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٣٨٧/٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٣٨٧/٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٩/٢).

(٦) جامع البيان للطبري (١٠٣/١١).

(٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥١/٢).

(٨) الكشف والبيان للثعلبي (١٢٨/٥).

(٩) معالم التنزيل للبغوي(٣٥٠/٢).

(١٠) الكشاف للزمخشري (٣٢٥/٢).

(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٤/٣).

(١٢) الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٨/٥).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٠٣/١٠).

(١٤) الدر المنثور للسيوطي (٣٥٤/٤).

(١٥) التفسير الكبير للرازي (١٥٤/١٣).

(١٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣/٣).

قال الزجاج: ويجوز والله أعلم أن يكون دار السلام الدار التي يسلم من فيها من الآفات[5]. قال تعالى:﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[الحجر: ٤٦].

قال الراغب الأصفهاني: والسلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة، إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم [6].

قال الرازي: والقائلون بهذا القول رجّحوا قولهم من وجهين: الأول: أن وصف الدار بكونها دار السلامة أدخل في الترغيب من إضافة الدار إلى الله تعالى. والثاني: أن وصف الله تعالى بأنه السلام في الأصل مجاز، وإنما وصف بذلك؛ لأنه تعالى ذو السلام فإذا أمكن حمل الكلام على حقيقته كان أولى[7].

وقيل: أراد والله يدعوا إلى دار التحية؛ لأن أهلها ينالون من الله التحية والسلام وكذلك الملائكة ذكر هذا القول أبو سليمان الدمشقي[8].

ولم أجد من المفسرين من يرجّح هذا القول.

قال الرازي: سميت الجنة بدار السلام؛ لأنه تعالى يُسلّم على أهلها، قال تعالى:﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾[يس:٥٨] والملائكة يُسلّمون عليهم أيضاً، قال تعالى:﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٤,٢٣] وهم أيضا يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، قال تعالى:﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ

---

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٢/٢).

(١٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٤/٢).

(١٩) تفسير المراغي (٩٤/٤).

(٢٠) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٢/١).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣/٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٣٩/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٥٤/١٣).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (١٢٢/٣). وأبو سليمان الدمشقي هو : عبدالرحمن بن سليمان بن أبي الجوت العنسي، أبو سليمان الدمشقي الداراني. ينظر: تهذيب الكمال ليوسف المزي (١٥٢/١٧).

﴾ [يونس: ١٠] وأيضاً فسلامهم يصل إلى السعداء من أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٠ -٩١] (١).

وفسَّر بجميع الأقوال البيضاوي(٢) والنسفي(٣) وأبو حيان(٤) وأبو السعود(٥) السعود(٥) والألوسي(٦).

قال أبو حيان: ذكر تعالى أنه داع إلى دار السلامة والصحة والأمن، وهي الجنة، إذ أهلها سالمون من كل مكروه، ويجوز أن يكون تعالى أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف، كما قيل: بيت الله وناقة الله. ويجوز أن تكون مضافة إلى السلامة بمعنى التسليم لفشو ذلك بينهم ولتسليم الملائكة عليهم كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] (٧).

وبعد النظر والتأمل أجد أن حمل الآية على جميع الأقوال هو الراجح. إذ أن جميع الأقوال محتملة وليس بينها تعارض، ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح (٨).

---

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٣/١٥٤).
(١) أنوار التنزيل للبيضاوي(٣/١٩٣).
(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٢٥).
(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٤٦).
(٤) تفسير أبي السعود(٤/١٣٨).
(٥) روح المعاني للألوسي (١١/١٢٠).
(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٤٦).
(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٤٥).

المراد بالزيادة في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالزيادة النظر إلى وجه الله. حيث قال: "روي من حديث أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَزِيَادَةٞ ﴾ قال: "للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم" .... [ذكر من قال بهذا القول] ثم قال: وهو الصحيح في الباب" [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي قاله أبو بكر الصديق[٢] وعلي بن أبي طالب [٣] وحذيفة[٤] وأبو موسى الأشعري[٥] وعبادة بن الصامت[٦] وأُبيّ بن كعب[٧] وكعب بن عجرة [٨] وصهيب[٩] وابن عباس في رواية عنه[١]

عنه[١]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٥) المرجعين السابقين، والدر المنثور للسيوطي (٣٥٧/٤).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥) ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥١/٢) ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٦/٣). وعبادة بن الصامت هو: ابن قيس بن أصرم بن غنم بن عوف بن الخزرج، الإمام القدوة،أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين، ينظر: الإصابة (٦٢٤/٣).

(٧) الدر المنثور للسيوطي (٣٥٧/٤).

(٨) المرجع السابق. وكعب بن عجرة هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن بن عوف بن غنم الأنصاري ، من أهل بيعة الرضوان، له عدة أحاديث ينظر: الإصابة (٥٩٩/٥).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤). وصهيب هو: صهيب بن سنان بن مالك ، ويُعرف

ومجـــــاهد[٢] وعكرمة[٣] والحسن[٤] وقتادة[٥] والسدّي[٦] ومقاتل[٧] وعبد الـــرحمن بن أبي ليلى[٨] وعبد الرحمن بن سابط[٩]. ورجّحه الفراء[١٠] والنحاس فـــي معـــاني القرآن[١١] وابن أبي زمنين[١٢] والواحدي [١٣] والبغوي[١٤] والرازي[١٥] والنسفي[١٦] والخازن[١٧] وابن جزّي[١٨] والشوكاني[١٩] والمراغي[٢٠] والسعدي[١] والشنقيطي[٢] والشنقيطي[٢] وابن عاشور[٣].

بالرومي؛ لأنه أقام في الروم مدة وهو من أهل الجزيرة سبي من قريـــة نينـــوى مـــن أعمـــال الموصل، كان من كبار البدريين السابقين إلى الإسلام، وكان ممن اعتزل الفتنة، وتـــوفي ســـنة (٣٨هـــ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٢)، والإصابة (٤٤٩/٣).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٣) جامع البيان للطبري (١٠٤/١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٥) المرجعين السابقين.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٠/٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦). وعبد الرحمن بن سابط هو: عبد الرحمن بن سابط القرشي، الجمحي المكي، تابعي كثير الإرسال، وثقه ابن معين، توفي سنة (١١٨هـــ). ينظر: الإصابة (٢٢٨/٥)، والكاشف (٦٢٨/١).

(٩) معاني القرآن للفراء (٤٦١/١).

(١٠) معاني القرآن للنحاس (٢٨٩/٣).

(١١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥١/٢).

(١٢) الوسيط للواحدي (٤٩٥/١).

(١٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٥١/٢).

(١٤) التفسير الكبير للرازي (٦٣/١٧).

(١٥) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٦/٢).

(١٦) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٦/٣).

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٢/٢).

(١٨) فتح القدير للشوكاني (٤٤٢/٢).

(١٩) تفسير المراغي (٩٥/٤).

وهذا مذهب قوي لكثرة القائلين به، وللحديث الصحيح فيه وهو حديث صهيب قال: قيل لرسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس:٢٦] قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم موعداً عند الله يريد أن ينجزكموه قالوا: ألم يبيض وجوهنا ويُثقل موازيننا ويجيرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فو الله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر ولا أقرّ لأعينهم" [٤].

وقيل: إن الزيادة أن تضاعف الحسنة عشر حسنات إلى أكثر من ذلك. روي عن ابن عباس[٥] والحسن[٦] وعلقمة بن قيس[٧].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة آلاف باب [٨].

قال ابن الجوزي: رواه الحكم[٩] عن علي ولا يصح[١٠].

وقال مجاهد: الحسنى حسنة مثل حسنة، والزيادة مغفرة الله ورضوان[١١].

---

(٢٠) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٢/١).

(٢١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٨٩/١).

(٢٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٦/١١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣/١) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى حديث رقم (١٨١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٥/٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٦/٦). وعلقمة بن قيس هو: علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة النخعي، أبو شبل الكوفي الفقيه، أدرك الجاهلية والإسلام، توفي سنة (٦٢هـ). ينظر: الإصابة (١٣٦/٥)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠/١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٥/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٦) هو: الحكم بن عتيبة، الإمام الكبير، عالم أهل الكوفة، أبو محمد الكندي مولاهم الكوفي، توفي سنة (١١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٨/٥)، والكاشف (٣٤٤/١).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤).

(٨) المرجع السابق.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الحسنى الجنة، والزيادة ما أعطاهم الله في الدنيا من فضله لا يحاسبهم به يوم القيامة [١].

وقال يزيد بن شجرة[٢]: الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتمطرهم من كل كل النوادر التي لم يروها، وتقول: يا أهل الجنة، ما تريدون أن أمطركم ؟ فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم إياه[٣] .

وقيل: الزيادة أنه ما يمر عليهم مقدار يوم من أيام الدنيا إلا حتى يطوف بمنزل أحدهم سبعون ألف ملك، مع كل ملك هدايا من عند الله تعالى ليست مع صاحبه، ما رأوا مثل تلك الهدايا قط[٣].

واستحسن بعض المفسرين التعميم بالزيادة وعدم قصرها على نوع خاص. وهو ما رجّحه الطبري حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال أن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، وأن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة، وأن يبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غرفاً من لآلئ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً، وكل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيئاً دون شيء، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله، فأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يُعمّ كما عمّهُ عز ذكره"[٤].

وذهب ابن كثير أيضاً إلى تعميم الزيادة فقال:" قوله: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هو تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة وعلى ذلك

---

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٤٦/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٥/٤).

(١) هو: يزيد بن شجرة بن أبي شجرة الرهاوي، مختلف في صحبته، استشهد في غزوة البحر، وقيل بالروم سنة (٥٥٨هـ). ينظر: الإصابة (٦٦٢/٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٢٥/٤).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٣٠/٥)، والكشاف للزمخشري (٣٢٦/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/٨).

(٤) جامع البيان للطبري (١٠٨/١١).

أيضاً ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادةٌ أعظم من جميع ما أعطوه" [١] وقرر ذلك ابن عطية[٢] والقاسمي[٣] .

وقال البيضاوي : الزيادة : ما يزيد على المثوبة تفضلاً[٤]. ووافقه أبو السعود[٥] وهو موافق لما رجّحه الطبري كما مرّ سابقاً.

وبعد النظر والتأمل أجد أن القول بتعميم الزيادة هو الأظهر؛ لأن التنصيص على أن الزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم لا ينفي شمول الزيادة غير ذلك، كما أن في هذا جمعاً بين الأقوال. ومعلوم أن الجمع أولى من الترجيح ما أمكن[٦] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٥/٢).
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٥/٣).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي (١٩/٦).
(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٣/٣).
(٥) تفسير أبي السعود (١/٤).
(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين(٤٥/١).

المراد بالسيئات في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ ﴾ [يونس: ٢٧]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالسيئات المعاصي.حيث قال: "قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾أي عملوا المعاصي. وقيل: الشرك"[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي رجّحه ابن عطية[٢] والخازن[٣] وأبو السعود[٤] والشوكاني[٥] والقاسمي[٦]

وقيل: الشرك. قاله ابن عباس[٧] ورجّحه مقاتل بن سليمان[٨] والطبري[٩] والسمرقندي[١٠] والواحدي[١١] والرازي[١٢] والبيضاوي[١٣] والنسفي[١٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٩).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١١٦).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٨٧).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/١٣٨).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/٤٣٩).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٦/٢٠).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/١٧٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٩٠).

(٤) جامع البيان للطبري (١١/١٠٩).

(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١١٣).

(٦) الوجيز للواحدي (١/٤٩٦).

(٧) التفسير الكبير للرازي (١٧/٦٥).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٩٥).

(٩) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٢٦).

وأبو حيان[1] وابن عادل[2] والمراغي[3] والسعدي[4].

قال أبو حيان: والظاهر أن السيئات هنا هي سيئات الكفر، ويدل عليه ذكر أوصافهم بعد[5].

وقال البيضاوي: الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك، ولأن الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه[6] .

وقال الرازي: واحتجوا بأن سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وكذلك قوله: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤٢] ولأنه تعالى قال بعد هذه الآية : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٢٨] والضمير في"هم"عائد إلى هؤلاء. ثم إنه تعالى وصفهم بالشرك وذلك يدل على أن هؤلاء هم الكفار[7] .

قال ابن عطية: تعم السيئات هاهنا الكفر والمعاصي، فمثل سيئة الكفر التخليد في النار، ومثل سيئات المعاصي مصروف إلى مشيئة الله تعالى[8].

قال الرازي: الصيغة وإن كانت عامة إلا أن الدلائل التي ذكرناها تخصصه[9]. [وقد ذكر هذه الدلائل في قوله الذي نقلته عنه سابقاً] .

وبعد النظر والتأمل أجد أن القول بأن المراد بالسيئات الشرك هو الراجح، فقد روي عن ابن عباس، وهو المقتضي لسياق الآية. وعلية قـــاعدة:(تفسير السلف

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٠/٥).

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣١٣/١٠).

(٣) تفسير المراغي (٩٦/٤).

(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٢/١).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٠/٥).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٥/٣).

(٧) التفسير الكبير للرازي (٦٥/١٧).

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٦/٣).

(٩) التفسير الكبير للرازي (٦٦/١٧).

وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[1].

وقاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[2].

---

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٧١/١).

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

المراد بالشركاء في قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس: ٢٨]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بالشركاء الملائكة. حيث قال:"عنى بالشركاء الملائكة. وقيل: الشياطين، وقيل: الأصنام؛ فينطقها الله تعالى فتكون بينهم هذه المحاورة"[١].

المناقشة والترجيح :

رجّح الزمخشري في الكشاف ما رجّحه القرطبي غير أنه لم يقصره على الملائكة. حيث قال: "هم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل" [٢].

وورد في القرآن الكريم سؤال عيسى عليه السلام والملائكة عن عبادة من عبدهم. وذلك في قوله تعالى في الملائكة:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] وقوله تعالى في عيسى عليه السلام :﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦]

قال الألوسي: وأُورد على هذا القول بأنه لا يناسب قوله سبحانه:﴿ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ [يونس: ٢٨] حيث أن المراد منه الوعيد والتهديد وظاهر العطف انصراف ذلك إلى الشركاء أيضاً وتهديد أولئك الكرام مما لا يكاد يُقدم على القول به[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠/٨).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٢٨/٢).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٠٨/١١).

وقيل: الشياطين. ولم أجد من المفسرين من يرجّح هذا القول .

وقيل: الأصنام. روي هذا القول عن ابن عباس[١] ومقاتل بن سليمان[٢]. ورجّحه الطبري[٣] والسمرقندي[٤] وابن أبي زمنين[٥] والثعلبي[٦] والواحدي[٧] والسمعاني[٨] والبغوي[٩] وابن عطية[١٠] والثعالبي[١١] والسيوطي[١٢] وابن عاشور[١٣].

قال ابن عطية: فظاهر هذه الآية أن محاورتهم إنما هي من الأصنام دون الملائكة وعيسى ابن مريم بدليل القول لهم:﴿ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾[يونس: ٢٨] دون فرعون ومن عُبد من الجن بدليل قولهم: ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾[يونس: ٢٨] وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم[١٤] .

قال الألوسي: واعترض بأن هذا مشترك الإلزام فإنه يرِد على القول الأول أيضاً، إذ لا معنى للوعيد والتهديد في حق الأصنام مع عدم صدور شيء منها يوجب ذلك ولا مُخلص إلا بالالتزام بأن التهديد والوعيد للمخاطبين فقط أو للمجموع

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/١٧٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٩٠).

(٣) جامع البيان للطبري (١١/١١).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١١٤).

(٥) تفسير القران العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٥٤).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣١).

(٧) الوجيز للواحدي (١/٤٩٦).

(٨) تفسير القران للسمعاني (٢/٣٨٠).

(٩) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٥٢).

(١٠) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١١٧).

(١١) الجواهر الحسان للثعالبي (٥/١٣١).

(١٢) الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٦٢).

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٥١).

(١٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١١٧).

باعتبارهم [١].

وذكر الرازي قولاً آخر في المراد بالشركاء وهو: أن المراد كل من عُبد من دون الله تعالى من صنم وشمس وقمر وأنس وجني وملك [٢].

ورجّح هذا القول النسفي[٣] وأبو حيان[٤] والشوكاني[٥] والألوسي[٦] .

قال الألوسي: والأظهر أن يراد بالشركاء جميع ما عُبد من دون الله تعالى من ذوي العقول وغيرهم[٧].

وقد جاء إلحاقاً بعد هذه الآية قوله تعالى:﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٩] .

وقد روي عن مجاهد في قوله:﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٩] أنه عام. حيث قال: هذا قول كل شيء كان يُعبد من دون الله عز وجل[٨].

وبعد النظر في هذه الأقوال أجد أن القول بأن المراد بالشركاء: كل ما عُبد من دون الله تعالى هو الراجح؛ لأن القول بالعموم أولى وعليه قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [٩].

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٠٨/١١).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٦٨/١٧).
(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٦/٢).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٣/٥).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٤٣٩/٢).
(٦) روح المعاني للألوسي (١١٠/١١).
(٧) المرجع السابق.
(٨) تفسير مجاهد (٢٩٣/١).
(٩) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس: ٣٢]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بقوله: ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ أن ما بعد عبادة الحق الذي هو الله إلا الضلال. حيث قال:" أي ما بعد عبادة الإله الحق الله هو الضلال؛ لأن أولها: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ وآخرها: ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ فهذا في الإيمان والكفر، ليس في الأعمال. وقال بعضهم: إن الكفر تغطية الحق، وكل ما كان غير الحق جرى هذا المجرى، فالحرام ضلال والمباح هدى، فإن الله هو المبيح والمحرّم . والصحيح الأول" [(١)].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي قاله ابن عباس[(٢)] ومقاتل[(٣)] ورجّحه ابن عطية[(٤)] وابن جزي[(٥)] وأبو حيان[(٦)] وفسّر به الطبري[(٧)] والسمرقندي[(٨)] وابن أبي زمنين[(٩)] والواحدي[(١٠)] والرازي[(١١)] والبيضاوي[(١٢)] والنسفي[(١٣)] والخازن[(١٤)]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/٨).
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٣/١).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٩١/٢).
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٨/٣).
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٣/٢).
(٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٦/٥).
(٧) جامع البيان للطبري (١١٤/١١).
(٨) بحر العلوم للسمرقندي (١١٥/٢).
(٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥٥/٢).
(١٠) الوسيط للواحدي (٤٩٧/١).
(١١) التفسير الكبير للرازي (٧١/١٧).
(١٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٦/٣).
(١٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٧/٢).
(١٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٨٨/٣).

وابن كثير[١] وابن عادل[٢] وأبو السعود[٣] والشوكاني[٤] والألوسي[٥] والقاسمي[٦] والقاسمي[٦] والمراغي[٧] والسعدي[٨] وابن عاشور[٩] .

قال الشوكاني: والمعنى أي شي بعد الحق إلا الضلال، فإن ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق بإقرارهم فكان غيره باطلاً؛ لأن واجب الوجود يجب أن يكون واحد في ذاته وصفاته[١٠] .

قال ابن عطية: حَكَمَتْ هذه الآية بأنه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله تعالى وكذلك، هو الأمر في نظائرها وهي مسائل الأصول التي الحقّ فيها في طرف واحد؛ لأن الكلام فيها إنّما هو في تقرير وجود ذاتٍ، كيف وهي ذلك، بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال ﷺ: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات [١١]. [١٢]

وقال بعضهم: إن الكفر تغطية الحق، وكل ما كان غير الحق جرى هذا المجرى؛ فالحرام ضلال والمباح هدى؛ فإنّ الله تعالى هو المبيح والمحرّم. ولم أجد

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٧/٢).

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٢٠/١٠).

(٣) تفسير أبي السعود (١٤٢/٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤٤٣/٢).

(٥) روح المعاني للألوسي (١١٢/١١).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٢٢/٦).

(٧) تفسير المراغي (١٠١/٤).

(٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٣/١).

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٥٩/١١).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٤٣/٢).

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/١) كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢) ومسلم في صحيحه (١٢١٩/٣) كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).

(١٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٨/٣).

فيما بين يدي من كتب التفسير من رجّح هذا القول في تفسير الآية .

وبعد النظر والتأمل أجد أنّ القول الذي رجّحه القرطبي يتأيد بسياق الآية . حيث قال: قال تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] ثم قال: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [يونس: ٣٢] أي هذا الذي رزقكم، وهذا كله فعله هو "ربكم الحق" أي الذي تحقق له الألوهية ويستوجب العبادة ، وإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق[1].

إذا اتضح هذا فإنّ ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة :(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/٨).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بقوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ الأصنام حيث قال: "يريد الأصنام التي لا تهدي أحد، ولا تمشي إلا أن تُحمل ، ولا تنتقل عن مكانها إلا أن تُنقل. قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه[(١)]

وقيل: المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يُرشدوا"[(٢)].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي روي عن ابن عباس[(٣)] ومجاهد[(٤)] ومقاتل بن سليمان[(٥)] ورجّحه الفراء[(٦)] والزجاج[(٧)] والسمرقندي[(٨)] والواحدي[(٩)] والسمعاني[(١٠)] والبغوي[(١١)]

والبغوي[(١١)]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد (٥٦/١) وفي لسان الهادي :الدليل لأنه يقدم القوم وهداه أي تقدمه (٣٥٧/١٥) قال ابن الأعرابي: ومعناه إن اهتدى لرشد عُلم أنه عاقل، وإن اهتدى لغير رشد عُلم أنه على غير رشد. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (٥٢٥/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٨).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٤/١).

(٤) تفسير مجاهد بن جبير (٢٩٤/١).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢).

(٦) معاني القرآن للفراء (٤٦٤/١٥).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٧/٣).

(٨) بحر العلوم للسمرقندي (١١٦/٢).

(٩) الوسيط للواحدي (٤٩٧/١).

(١٠) تفسير القرآن للسمعاني (٣٨٣/٢).

(١١) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٣/٢).

وابن عطية[1] وابن الجوزي [2] وأبو حيان[3] والقاسمي[4] وابن عاشور[5].

وورد على هذا القول إشكال وهو أنّ الاهتداء الذي هو قبول الهداية وهداية الغير مختصان بذوي العلم فلا يُتصوّر في الأصنام .

وكان الجواب عليه من وجوه:

الوجه الأول: أنّ هذا مذكور على وجه المجاز؛ فإن المشركين كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تسمع وتعقل وتهدي، فلما اتخذها آلهة عَبّر عنها كما يُعبّر عمن يعقل، ووصفت صفة من يعقل، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك، ولهذا المعنى قال في صفتها "أمّن" لأنهم جعلوها كمن يعقل، ولما أعطها حقها في أصل وضعها قال:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

الوجه الثاني: أنّ معنى الهداية هنا هي النقل، يعني لا ينتقل من مكان إلى مكان إلا أن يُنقل[6].

الوجه الثالث: أنها لو كانت بحيث يمكن أن تهدي فإنها لا تهدي غيرها إلا بعد أن يهديها غيرها[7].

الوجه الرابع: أنّ البنية ليست شرطاً لصحة الحياة والعقل، فتلك الأصنام حال كونها خشباً وحجارة قابلة للحياة والعقل، وعلى هذا التقدير فيصح من الله تعالى أن يجعلها حية عاقلة ثم إنها تشتغل بهداية غيرها[8].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٩/٣).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣١/٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٧/٥).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٢٤/٦).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٦٣/١١).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١١٦/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٨٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٣/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١١٩/٣).

(٧) التفسير الكبير للرازي (٧٤/١٧)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٢٨/١٠).

(٨) التفسير الكبير للرازي (٧٤/١٧)، ومدارك التنزيل للنسفي (١٢٨/٢).

وقيل: المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدىً إلى أن يُرشدوا. ورجّح هذا القول الألوسي[1].

والقول الثالث: المراد أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير. ورجّح هذا القول الزمخشري[2] والبيضاوي[3] وأبو السعود[4].

قال الألوسي: وقيل:الآية الأولى:﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[يونس: ٣٤] في الأصنام أو فيما يعمهم نحو الملائكة، وهذه في رؤساء الضلالة كالأحبار والرهبان الذين اتخذوا أرباباً من دون الله، وليس بالبعيد فيما أرى، ويؤيده التعبير بالاتباع فعنه يقتضي العمل بأوامرهم والاجتناب عن نواهيهم، وهذا لا يُعقل في الأوثان إلا بتكلف، وهو إن عقُل في أشراف شركائهم لكنهم لا يدعون إلا إلى خير، واتباعهم في ذلك لا ينعى على أحدهم إلا أن يقال: إنّ المشركين تقولوا عليهم أوامر ونواهي فنعى عليهم اتباعهم لهم في ذلك [5].

بعد النظر والتأمل في الأقوال أجدها كلها محتملة في الآية، فيجوز أن يراد بالشركاء الأصنام أو الرؤساء والمضلون أو الملائكة أو المسيح أو عزير وجميعهم لا يملكون هداية أنفسهم ولا هداية غيرهم إذ إن الهداية بيد الله تعالى ويشهد لهذا المعنى القرآن الكريم .قال تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢]وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٣٥] وقوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

والقاعدة ناطقة بأنه:(يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[6].

---

(١) روح المعاني للألوسي (١١/١١٥).

(٢) الكشاف للزمخشري (٢/٣٣).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٩٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٤/١٤٤).

(٥) روح المعاني للألوسي (١١/١١٥).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧).

المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد تصديق الذي بين يديه من التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب. حيث قال:"أي من التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب؛ فإنها قد بشّرت به فجاء مُصدّقاً لها في تلك البشارة، وفي الدعاء إلى التوحيد والإيمان بالقيامة. وقيل: المعنى ولكن تصديق النبي الذي بين يدي القرآن وهو محمد ﷺ؛ لأنهم شاهدوه قبل أن سمعوا منه القرآن"(١).

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي مروي عن ابن عباس(٢) ومجاهد(٣) وقتادة(٤) والربيع(٥) وأبي العالية(٦) ومقاتل بن سليمان(٧).

ورجّحه الطبري(٨) والسمرقندي(٩) وابن أبي زمنين(١٠) والواحدي(١١) والبغوي(١٢) والزمخشري(١٣) وابن عطية(١٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩/٨).
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٤/١).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨١/١).
(٤) المرجع السابق.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨١/١).
(٦) المرجع السابق.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢).
(٨) جامع البيان للطبري (١١٧/١١).
(٩) بحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
(١٠) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥٧/٢).
(١١) الوسيط للواحدي (٤٩٨/١).
(١٢) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٤/٢).
(١٣) الكشاف للزمخشري (٣٣٠/٢).
(١٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٢/٣).

والبيضاوي[١] والنسفي[٢] والخازن[٣] والكلبي[٤] وابن كثير[٥] وابن عادل[٦] وأبو السعود[٧] والشوكاني[٨] والألوسي[٩] والقاسمي[١٠] والمراغي[١١] والسعدي[١٢] والشنقيطي[١٣] وابن عاشور[١٤].

قال ابن عطية: قوله : ﴿ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يريد التوراة والإنجيل والذي بين اليد هو المتقدم للشيء[١٥] .

وقيل: التصديق الذي بين يدي القرآن وهو محمد ﷺ، ذكره ابن الأنباري[١٦].

قال ابن القيم: وباتفاق الناس أن المراد مُصدّق لما تقدمه من الكتب، وبهـذه الطريق يكون مصدقاً للنبي ﷺ، ويكون أبلغ في الدليل على صدقه من أن يقال هـذا كتاب مصدق لك، فإنه إذا كانت الكتب المتقدمة تُصدّقها وتشهد بصحة ما فيها مما أنزله الله من غير مواطأة ولا اقتباس منها، دلّ على أن الذي جاء به رسـول الله ﷺ صادق كما أن الذي جاء بها كذلك، فالقرآن صَدّق الكتب المتقدمة وهي بشرت بـه

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٨/٣).
(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٩/٢).
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٠/٣).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (١٧٩/١).
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٨/٢).
(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٣١/١٠).
(٧) تفسير أبي السعود (١٤٥/٤).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٤٥/٢).
(٩) روح المعاني للألوسي (١١٧/١١).
(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٢٦/٦).
(١١) تفسير المراغي (١٠٧/٤).
(١٢) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٤/١).
(١٣) أضواء البيان للشنقيطي (١٥٦/٢).
(١٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦٩/١١).
(١٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٠/٣).
(١٦) زاد المسير لابن الجوزي (٣٢/٤).

وبما جـــاء به، فقام الدليل على صدقه من الوجهين معاً، من جهة بشارة من تقدمـــه به ومن جهة تصديقه ومطابقته له فتأمله[1].

وقيل: مصدق لما بين يديه، هي أشراط الساعة وما يأتي من أمور البعث والنشور والحساب والجزاء. ذكره الزجاج [2].

قال الألوسي: وزعم بعضهم أن المراد من قوله: ﴿ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يونس:٣٧] أخبار الغيوب، وتصديقها له مجيئها على وفق ما أخبر به، وليس بشيء[3].

قال أبو حيان: ولا يقوم البرهان على قريش إلا بتصديق القرآن ما في التوراة والإنجيل، مع أن الآتي به يقطعون أنه لم يطالع تلك الكتب ولا غيرها، ولاهي في بلده ولا قومه، لا بتصديق الأشراط؛ لأنهم لم يشاهدوا شيئاً منها[4].

وبعد النظر أرى أن القول بأن القرآن مصدقاً لما تقدمه من الكتب تؤيده آيات قرآنية، منها قوله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨] وقوله تعالى:﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة: ٤١] .

وقال ابن عثيمين: أي مصدقاً لما ذكر في التوراة والإنجيل من أوصاف محمد ﷺ؛ ومن أوصاف القرآن الذي يأتي ﷺ به؛ وكذلك أيضاً هو مصدق لما معهم، شاهد للتوراة والإنجيل بالصدق، فصار تصديق القرآن لما معهم من وجهين؛ الوجه الأول: أنه وقع مطابق لما أخبرت التوراة والإنجيل به. والوجه الثاني: أنه قد شهد لهما بالصدق، فالقرآن يدل دلالة واضحة على أن الله أنزل التوراة وأنزل الإنجيل ـــ وهذه شهادة لهما بأنهما صدق ـــ وكذلك التوراة والإنجيل قد ذكر فيهما من أوصاف القرآن، ومن أوصاف محمدﷺ حتى صاروا يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، فـــإذا وقع

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٣٤٤/٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٨/٣).

(٣) روح المعاني للألوسي (١١٨/١١).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٨/٥).

الأمر كما ذُكر فيهما صار ذلك تصديق لهما"[1].

إذا اتضح هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[2].

وقاعدة:(تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على ما بعدهم)[3].

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (١٤٧/١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

(٣) المرجع السابق (٢٧١/١).

المراد بقوله:﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس:٣٧]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بتفصيل الكتاب تبيين ما في كتب الله المتقدمة حيث قال:"والتفصيل التبيين ،أي يُبيّن ما في كتب الله المتقدمة. والكتاب اسم الجنس. وقيل: أراد بتفصيل الكتاب مابُيّن في القرآن من الأحكام " [١].

المناقشة والترجيح :

ما ذهب إليه القرطبي رجّحه الشوكاني[٢] وابن عاشور [٣].

قال ابن عاشور :"والظاهر أن تعريف الكتاب تعريف الجنس فيستغرق الكتب كلها. ومعنى كون القرآن تفصيلاً لها، أنه مُبيّن لما جاء مجملاً في الكتب السالفة وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافع للمتشابهات التي ضلّ بها أهل الكتاب فكل ذلك داخل في معنى التفصيل" [٤].

وقيل: أراد بتفصيل الكتاب مابُيّن في القرآن من الأحكام . روي هذا القول عن ابن عباس[٥] ومقاتل بن سليمان[٦] .

ورجّحه الطبري[٧] والسمرقندي[٨] وابن أبي زمنين[٩] والثعلبي[١٠]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩/٨).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٤٥/٢).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦٩/١١).
(٤) المرجع السابق.
(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٤/١).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢).
(٧) جامع البيان للطبري (١١٧/١١).
(٨) بحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
(٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥٧/٢).
(١٠) الكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥).

والبغوي[١] والزمخشري[٢] وابن الجوزي في زاد المسير[٣] والرازي[٤] والبيضاوي[٥] والنسفي[٦] والخازن[٧] وأبو حيان[٨] وابن كثير[٩] والثعالبي[١٠] وابن عادل[١١] وأبو السعود[١٢] والقاسمي[١٣] والمراغي[١٤] والسعدي[١٥] والشنقيطي[١٦] .

ويؤيد هذا القول آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت:١ - ٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأعراف:٥٢] .

وبعد النظر والتأمل أجد أن ما ذهب إليه الطبري ومن وافقه هو الراجح وعليه قاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [١٧].

وقاعدة : (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [١٨].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٤/٢).
(٢) الكشاف للزمخشري (٣٣٠/٢).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٣٢/٤).
(٤) التفسير الكبير للرازي (٧٧/١٧).
(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٨/٣).
(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٩/٢).
(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٠/٣).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٥٨/٥).
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٨/٢).
(١٠) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٣/٥).
(١١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٣٢/١٠).
(١٢) تفسير أبي السعود (١٤٥/٤).
(١٣) محاسن التأويل للقاسمي (٢٦/٦).
(١٤) تفسير المراغي (١٠٧/٤).
(١٥) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٤/١).
(١٦) أضواء البيان للشنقيطي (١٥٦/٢).
(١٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٩/١).
(١٨) المرجع السابق (٢٧١/١).

المشار إليهم في قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يونس:٤٠]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المشار إليهم في قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ ﴾ جميع الكفار.حيث قال:" قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ قيل: المراد أهل مكة أي ومنهم من يؤمن به في المستقبل وإن طال تكذيبه؛ لعلمه تعالى السابق فيهم أنهم من السعداء .... وكذا﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ ﴾ والمعنى ومنهم من يصر على كفره حتى يموت؛ كأبي طالب وأبي لهب ونحوهما. وقيل: المراد أهل الكتاب. وقيل: هو عام في جميع الكفار؛ وهو الصحيح " [١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي فسر به ابن أبي زمنين [٢] والبيضاوي [٣] والألوسي [٤].

وقيل :المراد أهل مكة. قاله مقاتل بن سليمان [٥]. ورجّحه الطبري [٦] والواحدي [٧] وابن عطية [٨] وأبو حيان [٩] وابن عاشور[١٠].

قال أبو حيان: الظاهر أنه إخبار بأن من كفار قريش من سيؤمن به وهو من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن به فيوافى على الكفر. وقيل: هو تقسيم في الكفار الباقين على كفرهم، فمنهم من يؤمن به باطناً ويعلم أنه حق ولكنه كذّب عناداً،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/٨).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥٨/٢).
(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٩/٣).
(٤) روح المعاني للألوسي (١٢٢/١١).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٣/٢).
(٦) جامع البيان للطبري (١١٨/١١).
(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٤٩٩/١).
(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢١/٣).
(٩) البحر المحيط لأبي حيان (١٦١/٥).
(١٠) التحرير و التنوير لابن عاشور (١٧٥/١١).

ومنهم من لا يؤمن به لا باطناً ولا ظاهراً، إما لسرعة تكذيبه وكونه لم يتدبره، وإما لكونه نظر فيه فعـــارضته الشبهات، وليس عنده من الفهم ما يدفعها. وقيـــل: الضمير في "منهم" عائد على أهل الكتاب، والظاهر عوده على من عاد عليه ضمير ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس: ٣٨] [(١)].

وقيل: المراد أهل الكتاب. ولم يُرجّح هذا القول أحد من المفسرين.

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [(٢)].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٦١/٥).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بالتعارف في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس:٤٥]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالتعارف تعارف توبيخ وافتضاح وأن هذا التعارف يبقى بينهم، حيث قال: "قال الكلبي: يعرف بعضهم بعضاً لمعرفتهم في الدنيا إذا خرجوا من قبورهم؛ وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح؛ يقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني وأغويتني وحملتني على الكفر؛ وليس تعارف شفقة ورأفة وعطف. ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج:١٠]. وقيل: يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح. وقيل: القيامة مواطن"[١].

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه القرطبي رجّحه ابن كثير[٢] .

وفي القرآن الكريم ما يؤيد بقاء تعارف التوبيخ منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:٣١ – ٣٣]

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨ – ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب :٦٧ – ٦٨]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (**312/8**).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (**420/2**).

وقال الكلبي: تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال يوم القيامة[١]. وروي أيضاً عن ابن عباس[٢]. ورجّح هذا القول الطبري[٣] وابن أبي زمنين[٤] والبغوي[٥] والزمخشري[٦] والرازي [٧] والبيضاوي[٨] والنسفي[٩] والخازن[١٠] وأبو حيان[١١] والثعالبي[١٢] وابن عادل[١٣] وأبو السعود[١٤] والشوكاني[١٥] .

واستدل لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج:١٠] وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١].

قال الألوسي: لا منافاة بين ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ [يونس:٤٥] وما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج:١٠] وقوله: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[المؤمنون:١٠١]

إذ أن المثبت تعارف تقريع وتوبيخ، والمنفي تعارف تواصل وشفقة، ولمانعٍ أن يمنع دلالة ما ذُكر من الآيات على نفي التعارف وقُصارى ما يدل عليه نفي نفع الأنساب

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (١٦٣/٤).

(٢) الكشف والبيان الثعلبي (١٣٤/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٥/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (١٢٠/١١).

(٤) تفسير القرن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥٩/٢).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٥/٢).

(٦) الكشاف للزمخشري (٣٣/٢).

(٧) التفسير الكبير للرازي (٨٥/١٧).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٠/٣).

(٩) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٠/٢).

(١٠) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٢/٣).

(١١) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٣/٥).

(١٢) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٤/٥).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٤٣/١٠).

(١٤) تفسير أبي السعود (١٥٠/٤).

(١٥) فتح القدير للشوكاني (٤٤٨/٢).

وسؤال بعضهم بعضاً و التعارف الذي تدل عليه هذه الآية لا ينافي ذلك[١].

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال: يعرف الرجل صاحبه إلى جنبه فلا يستطيع أن يُكلّمه[٢].

وقيل: القيامة مواطن. روي عن الحسن[٣]، ورجّحه الألوسي حيث قال: وعندي أن لا قطع بالانقطاع، فالمواقف مختلفة والأحوال متفاوتة، فقد يتعارفون بعد التناكر في موقف دون موقف وحال دون حال[٤].

وبعد النظر والتأمل أجد أن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح لوجود النظائر القرآنية المؤيدة له.

وعليه قاعدة : (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) [٥].

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٢٨/١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٥٥/٦).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٥٩/٢).

(٤) روح المعاني للألوسي (١٢٨/١١).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

القائلون:﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾في قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يونس:٤٨]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد بالقائلين:﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ هم كفار مكة. حيث قال:"يريد كفار مكة لفرط إنكارهم واستعجالهم العذاب؛ أي متى العقاب أو متى القيامة التي يَعدُنا محمد. وقيل: هو عام في كل أمة كذبت رسولها"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ترجيح الطبري[٢] وابن أبي زمنين[٣] والثعلبي[٤] والواحدي[٥] والبغوي[٦] وابن عطية[٧] والرازي[٨] والبيضاوي[٩] والنسفي[١٠] والخازن[١١] وأبو حيان[١٢] وابن كثير[١٣] والثعالبي[١٤] وأبو السعود[١٥] والسعدي[١٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/٨).
(٢) جامع البيان للطبري (١٢١/١١).
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٦١/٢).
(٤) الكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
(٥) الوسيط للواحدي (٥٠٠/١).
(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٦/٢).
(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٤/٣).
(٨) التفسير الكبير للرازي (٨٧/١٧).
(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠١/٣).
(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١٣١/٢).
(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٢/٣).
(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٤/٥).
(١٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢١/٢).
(١٤) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٤/٥).
(١٥) تفسير أبي السعود (١٥١/٤).
(١٦) تيسير الكريم المنان للسعدي (١٣١/٢).

وقيل: هو عـــام في كل امة كذبت رسولها. قاله ابن عباس [1] ورجّحه ابن عادل حيث قال: وتدل الآية على أنّ كل أمة قالت لرسولها مثل ذلك القول، بـــدليل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨] لأنه جمع، وهو موافق لقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾[يونس: ٤٧] [2].

وبعد النظر والتأمل وجدت أنّ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ وردت في خمس مواضع في القرآن الكريم[3]، والقائلون: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ في جميع المواضع هم كفار مكة، والخطاب في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ للرسول ﷺ وللمؤمنين، والأولى أن يُحمل الموضع السادس الذي معنا على ذلك أيضاً.

إذا اتضح هذا فإنّ ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى) [4].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣٧/٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٤٦/١٠).

(٣) هي:[الأنبياء:٣٨]، [النمل: ٧١]، [سبأ: ٢٩]، [يس: ٤٨]، [الملك: ٢٥].

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٧٢/١).

المراد بأسَرُّوا في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يونس:٥٤]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بـ ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أخفوها. حيث قال: " قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أي أخفوها، يعني رؤساءهم، أي أخفوا ندامتهم عن أتباعهم. ﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا في النار ألهتهم النار عن التصنع؛ بدليل قولهم: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [المؤمنون:١٠٦] فبيّن أنهم لا يكتمون ما بهم. وقيل: ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلد وتصبر. وذكر المُبرّد فيه وجهاً ثالثاً أنه بدت بالندامة أَسِرّة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة "[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢] وقاله الفراء[٣].

ورجحه الطبري[٤] والسمرقندي[٥] والثعلبي[٦] والواحدي[٧] والزمخشري[٨] وابن عطية[٩] وابن الجوزي[١٠] وابن جزّي[١١] وأبو حيان[١٢] والثعالبي[١٣]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٥/٨).
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٥/١).
(٣) معاني القرآن للفراء (٤٦٩/١).
(٤) جامع البيان للطبري (١٢٣/١١).
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢).
(٦) الكشف والبيان للثعلبي (١٣٥/٥).
(٧) الوسيط للواحدي (٥٠١/١).
(٨) الكشاف للزمخشري (٣٣٥/٢).
(٩) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٥/٣).
(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (٣٩/٤).
(١١) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٤/٢).
(١٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٧/٥).
(١٣) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٥/٥).

والشوكاني[١] والألوسي[٢] والقاسمي[٣] والمراغي[٤] وابن عاشور[٥] والراغب الأصفهاني في المفردات[٦] .

وقيل: "أَسَرُّوا" أظهروا، والكلمة من الأضداد[٧] ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلد وتصبر.قال كثير[٨] :

فأسررت الندامة يوم نادى   برد جمال غاضرة[٩] المنادي[١٠].

ورجّح هذا القول البغوي[١١] والخازن[١٢].

قال ابن عاشور: والذي جرّ على تفسير "أَسَرُّوا" بمعنى أظهروا هنا هو ما يقتضي إعلانهم الندامة من قولهم:﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ:٣١] وفي آيات أخرى مثل قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان :٢٧] [١٣].

وقد أجاب الرازي عن هذا الإشكال فقال: أنّ هذا الكتمان إنما يحصل قبل الإحراق بالنار، فإذا احترقوا تركوا هذا الإخفاء وأظهروه بدليل قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤٥٣/٢).

(٢) روح المعاني للألوسي (١٣٧/١١).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٣٤/٦).

(٤) تفسير المراغي (١٢٠/٤).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٨/١١).

(٦) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٢٢٨/١).

(٧) العين (١٨٦/٧).

(٨) هو: كثير بن عبد الرحمن الأسود بن عامر أبو صخر الخزاعي الحجازي المعروف بابن أبي جمعة شاعر مشهور، أُشتهر بكثير عزة ونُسب إليها لتغزله فيها. ينظر: البداية والنهاية (٢٥٠/٩).

(٩) الغاضر: المُبكِّر في حوائجه. ينظر: لسان العرب (٢٤/٥).

(١٠) ديوان كثير عزة (٧٣/١).

(١١) معالم التنزيل للبغوي (٣٥٧/٢).

(١٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٤/٣).

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٠/٢٢).

رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا ﴾ [المؤمنون :١٠٦] [١].

وقد ذكر القرطبي هذا الجواب أيضاً في ترجيحه الذي ذكرته عنه سابقاً.

وذهب الرازي[٢] إلى أن القولين محتملين في الآية. ووافقه النسفي[٣] وأبو حيان[٤] والسمين الحلبي[٥] وابن عادل[٦] وأبو السعود[٧].

وذكر المبرّد فيه وجهاً ثالثاً: أنه بدت بالندامة أَسِرّة [٨]وجوههم.

وقيل: المراد بالإسرار: الإخلاص، أي أخلصوا الندامة، وذلك إما لأن إخفاءها إخلاصها، وإما من قولهم: سرّ الشيء لخالصه الذي من شأنه أن يُخفى ويصان. ذكره البيضاوي[٩].

قال أبو حيان: وأما من قال: إنّ معنى قوله:﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أخلصوا لله في تلك الندامة، أو بدت بالندامة أسرة وجوههم، ففيه بعد عن سياق الآية [١٠].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أن المشهور في كلمة "وَأَسَرُّوا" أنها بمعنى أخفوا. وبذلك يترجح ما رجحه القرطبي، وعليه قاعدة: (يجب حمل معاني كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب)[١١] .

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٩٠/١٧).
(٢) المرجع السابق.
(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٢/٢).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٧/٥).
(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٢١/٦).
(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٥٤/١٠).
(٧) تفسير أبي السعود (١٣٥/٧).
(٨) الأسارير: هي الخطوط التي في الجبهة مثل التكسير فيها ، واحدها سرر وسرّ، وجمعه أَسِرّة. ينظر: تهذيب اللغة (٢٠٢/١).
(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٣/٣).
(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٧/٥).
(١١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢).

المراد بفضل الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس:٦٠]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن فضل الله تعالى على الناس في التأخير والإمهال. حيث قال:" قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي في التأخير والإمهال. وقيل: أراد أهل مكة حين جعلهم في حرم آمن" [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي ذهب إليه مقاتل بن سليمان [٢]. ورجّحه الطبري[٣] والسمرقندي[٤] والثعلبي[٥] وابن الجوزي [٦] والثعالبي [٧].

وقيل: أراد أهل مكة حين جعلهم في حرم آمن. ذكره الواحدي [٨].

وقيل: الآية تعم جميع فضل الله تعالى من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإعطاء العقل، وبيان الحلال والحرام والرزق والموعظة والإرشاد، وغير ذلك من أنواع النعيم. ورجّح هذا القول ابن أبي زمنين[٩] والزمخشري[١٠] وابن عطية [١١] والرازي[١٢] والبيضاوي[١٣] والنسفي[١٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٨/٨).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٧/٢).
(٣) جامع البيان للطبري (١٢٨/١١).
(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢).
(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/٥).
(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٤٢/٤).
(٧) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٦/٥).
(٨) الوسيط للواحدي (٥٠٢/١).
(٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٦٣/٢).
(١٠) الكشاف للزمخشري (٣٣٧/٢).
(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٧/٣).
(١٢) التفسير الكبير للرازي (٩٧/١٧).
(١٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٥/٣).
(١٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٤/٢).

والخازن[١] وأبو حيان[٢] وابن عادل[٣] وأبو السعود[٤] والشوكاني[٥] والقاسمي[٦] والقاسمي[٦] والمراغي[٧] والسعدي[٨] وابن عاشور[٩].

وبعد النظر والتأمل أجد أنّ القول بعموم فضل الله تعالى أولى إذ أنه لم يرد ما يُخصّص ذلك الفضل.

وعليه قاعدة :(يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [١٠].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٥/٣).
(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٧١/٥).
(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٦٢/١٠).
(٤) تفسير أبي السعود (١٥٧/٤).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٤٥٦/٢).
(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٣٦/٦).
(٧) تفسير المراغي (١٢٥/٤).
(٨) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٧/١).
(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١١/١١).
(١٠) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

المراد بـــ (لايشكرون) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس:٦٠]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن المراد: لا يشكرون الله تعالى على نعمه، حيث قال: "لا يشكرون الله على نعمه ولا في تأخير العذاب عنهم. وقيل: "لا يشكرون" لا يوحدون"[١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ذهب إليه مقاتل بن سليمان[٢].

ورجّحه في ترجيحه الطبري[٣] والسمرقندي[٤] والزمخشري[٥] وابن عطية[٦] عطية[٦] وابن الجوزي في زاد المسير[٧] والبيضاوي[٨] والنسفي[٩] والخازن[١٠] وأبو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٨/٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٧/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (١٢٨/١١).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٣٧/٢).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٧/٣).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٤٢/٤).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٥/٣).

(٩) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٤/٢).

(١٠) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٥/٣).

وأبو حيان[1] وأبو السعود[2] والشوكاني[3] والقاسمي[4] والمراغي[5] والسعدي[6] .
والسعدي[6] .

وقيل:" لا يشكرون" لا يوحدون. رجّح هذا القول ابن أبي زمنين[7] والواحدي[8].

وقيل:لا يستعملون العقل في تأمل دلائل الله تعالى، ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا ينتفعون باستماع كتب الله تعالى. ذكره الرازي[9] وابن عادل[10].

وبعد النظر والتأمل وجدت أن المراد بالشكر تصور النعمة وإظهارها [11]. ولم أجد أن من معاني شَكَر وحّد. وإذا صحّ هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة: (يجب حمل معاني كلام الله تعالى على الظاهر من كلام العرب)[12]. وقاعدة: (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه) [13].

---

(١١) البحر المحيط لأبي حيان (١٧١/٥).

(١٢) تفسير أبي السعود (١٥٧/٤).

(١٣) فتح القدير للشوكاني (٤٥٦/٢).

(١٤) محاسن التأويل للقاسمي (٣٦/٦).

(١٥) تفسير المراغي (١٢٦/٤).

(١٦) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٦٧/١).

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٦٣/٢).

(٢) الوسيط للواحدي (٥٠٢/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٩٧/١٧).

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٦٢/١٠).

(٥) المفردات في غريب القرآن (٢٦٥/١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢).

(٧) المرجع السابق (١٣٧/١).

الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:61]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن الخطاب للنبي ﷺ ولأمته حيث قال:" قوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ يخاطب النبي ﷺ والأمة. وقيل: المراد كفار قريش" [1].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ترجيح السمرقندي[2] وابن أبي زمنين[3] والثعلبي[4] والواحدي[5] والبغوي[6] والزمخشري[7] وابن عطية[8] وابن الجوزي[9]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣١٨).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٢).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٦٣).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣٦).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (١/٥٠٢).

(٦) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٥٩).

(٧) الكشاف للزمخشري (٢/٣٣٧).

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٢٧).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٤٢).

والرازي[10] والبيضاوي[11] والنسفي[12] وابن عادل[13] وأبو السعود[14] والشوكاني[15] والمراغي[16] والشنقيطي[17].

وقيل: المراد كفار قريش.

ولم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير من رجّح هذا القول .

بعد النظر أجد أن القول الأول قول عام، أما الثاني تخصيص بلا دليل. وبذلك يتضح أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين هو الراجح وعليه قاعدة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) [1].

(١٠) التفسير الكبير للرازي (٩٨/١٧).

(١١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٥/٣).

(١٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٤/٢).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٦٣/١٠).

(١٤) تفسير أبي السعود (١٥٧/٤).

(١٥) فتح القدير للشوكاني (٤٥٦/٢).

(١٦) تفسير المراغي (١٢٧/٤).

(١٧) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٨/١).

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢).

معنى قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾ [يونس:64]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بقوله تعالى:﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا خلف لوعده. حيث قال:" أي لا خلف لوعده. وقيل: لا تبديل لأخباره، أي لا ينسخها بشيء ولا تكون إلا كما قال "[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي مروي عن ابن عباس[٢] وذهب إليه مقاتل بن سليمان[٣] ورجّحه الفراء[٤] والطبري[٥] والنحاس في معاني القرآن[٦] والثعلبي[٧] والواحدي[٨] والسمعاني[٩] والبغوي[١٠] والزمخشري[١١] وابن عطية[١٢] والرازي[١٣] والبيضاوي[١٤] والنسفي[١٥] والخازن[١٦] وابن

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٢١).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٤٤).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٩٨).
(٤) معاني القرآن للفراء (١/٤٧١).
(٥) جامع البيان للطبري (١١/١٣٨).
(٦) معاني القرآن للنحاس (٣/٣٠٣).
(٧) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣٩).
(٨) الوسيط للواحدي (١/٥٠٣).
(٩) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٩٤).
(١٠) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٦٠).
(١١) الكشاف للزمخشري (٢/٣٣٩).
(١٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٢٩).
(١٣) التفسير الكبير للرازي (١٧/١٠٤).
(١٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/٢٠٦).
(١٥) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٣٥).
(١٦) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٩٩).

جَـزّي [١] وأبو حيـان [٢] وابـن كثير [٣] والثعـالبي [٤] وابن عـادل [٥] وأبـو وأبـو السعود [٦] والشوكاني [٧] والقاسمي [٨] والمراغي [٩] وابن عاشور [١٠].

قال ابن عاشور: وجملة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:64] مبينة لمعنى تأكيد الوعد الذي تضمنه قوله تعالى:﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:64] تذكيراً لهم بأنّ ما وعدهم الله تعالى به من البشائر مثل النصر وحسن العاقبة أمر ثابت لا يتخلف؛ لأنه من كلمات الله وقد نفى التبديل بصيغة التبرئة الدالة على انتفاء جنس التبديل [١١].

وقيل: لا تبديل لأخباره، أي لا ينسخها بشيء، ولا تكون إلا كما قال. ذكره الماوردي [١٢] ولم أجد من المفسرين من يرجّح هذا القول.

وبعد النظر يتضح أنّ القول الأول روي عن ابن عباس وذهب إليه جمهور المفسرين وهو الموافق لسياق الآية .

قال ابن تيمية: ذكر تعالى: أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فوعدهم بنفي المخافة والحزن وبالبشرى في الدارين وقال بعد ذلك:﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:64] فكان هذا تحقيق لكلام الله تعالى الذي هو وعده كما قـال: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

---

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٦/٢).

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٧٣/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٥/٢).

(٣) الجواهر الحسان للثعالبي (١٣٩/٥).

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٦٨/١٠).

(٥) تفسير أبي السعود (١٦١/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٥٧/٢).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٣٨/٦).

(٨) تفسير المراغي (١٣٠/٤).

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٦/١١).

(١٠) المرجع السابق (٢١٩/١١).

(١١) النكت والعيون للماوردي (٤٤٢/٢).

لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٦] فإخلاف ميعاده تبديل لكلماته وهو سبحانه لا مبدل لكلماته[١].

إذا اتضح هذا فإنّ ما رجّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم) [٢].

وقاعدة:(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [٣].

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية (٤٩٧/١٤).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٧١/١).

(٣) المرجع السابق (١٢٥/١).

إعراب "ما " في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس:٦٦]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن "ما" في الآية للنفي. حيث قال: "ما" للنفي، أي: لا يتبعون شركاء على الحقيقة تشفع، بل يظنون أنها تشفع وتنفع. وقيل: "ما" استفهام، أي: أيَّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً لفعلهم، ثم أجاب فقال:﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾" [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي رجّحه أبو حيان[٢] والسمين الحلبي[٣] وابن عادل[٤] وأبو السعود[٥] والألوسي[٦] وابن عاشور[٧].

وفسر الآية بمعنى النفي السمرقندي[٨] والواحدي[٩] والسمعاني[١٠] وابن الجوزي في زاد المسير[١١].

قـــال ابن عاشور:"ما" نافية لا محالة بقرينة تأكيدها بـــ "إن" النـــافية، وإيراد الاستثناء بعدها [١٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢/٨).
(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٧٤/٥).
(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٣٥/٦).
(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٧٠/١٠).
(٥) تفسير أبي السعود (١٦٢/٤).
(٦) روح المعاني للألوسي (١٥٣/١١).
(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٢٥/١١).
(٨) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
(٩) الوسيط للواحدي (٥٠٣/١).
(١٠) تفسير القرآن للسمعاني (٣٩٤/٢).
(١١) زاد الميسر لابن الجوزي (٤٦/٤).
(١٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٥/١١).

وقيل:"ما" استفهام، أي: أيّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً لفعلهم، ثم أجاب فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [يونس:٦٦]. ورجّح هذا القول الطبري[١] والثعلبي[٢] والبغوي[٣] والخازن[٤] وابن تيمية[٥] حيث قال: ظن طائفة أن "ما" نافية وهو خطأ، بل استفهام فإنهم يدعون معه شركاء كما أخبر عنهم في غير موضع، فالشركاء يوصفون في القرآن بأنهم يدعون؛ لأنهم يُتبعون وإنما يُتبع الأئمة. ولهذا قال: "إن يتبعون إلا الظن" ولو أراد النفي لقال: إن يتبعون إلا من ليسوا شركاء، بل بيّن أن المشرك لا علم معه إن هو إلا الظن والخرص[٦]. كقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ [الذاريات :١٠] [٧].

قال ابن عادل: المعنى: أنهم وإن اتبعوا شركاء، فليسوا بشركاء في الحقيقة، بل في تسميتهم هم لهم بذلك، فكأنهم لم يتخذوا شركاء ولا اتبعوهم لسلب الصفة الحقيقية عنهم. ومثله قولك: ما رأيت رجلاً، أي من يستحق أن يُسمّى رجلاً وإن كنت قد رأيت الذكر من بني آدم [٨].

قال الزمخشري: ويجوز أن تكون "ما" موصولة معطوفة على "من" كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم [٩]

قال أبو حيان: وأجاز غيره [أي غير الزمخشري] أن تكون "ما" موصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل" [١٠]

---

(١) جامع البيان للطبري (١١/١٣٩).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣٩).
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٦١).
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/١٩٩).
(٥) دقائق التفسير لابن تيمية (٢/٢٢٣).
(٦) الخرص هو: الكذب. ينظر: العين (٤/١٨٣)، ولسان العرب (٧/٢١).
(٧) دقائق التفسير لابن تيمية (٢/٢٢٣).
(٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٠/٣٧٠).
(٩) الكشاف للزمخشري (٢/٣٤٠).
(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٧٤).

قال أبو البقاء[1]:"وما يتبع"فيه وجهان.

الوجه الأول:"ما" نافية.

والوجه الثاني: "ما" استفهاماً في موضع نصب بـــ "يتبع" [2].

ورجّح هذا القول الزمخشري[3] وابن عطية[4] والرازي[5] والبيضاوي[6] والنسفي[7] وابن جزي الكلبي[8] والشوكاني[9] والقاسمي[10].

وبعد النظر اتضح لي أنّ معنى الآية يستقيم إذا كانت "ما" للنفي، ويستقيم إذا كانت "ما" للاستفهام، ويستقيم إذا كانت "ما" موصولة. فمعنى الآية على أنّ "ما" للنفي: ما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمّونها شركاء؛ لأن مشاركة الله في الربوبية محال، إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء. ومعناها على أنّ "ما" للاستفهام: أي شيء يتبع هؤلاء؟ على وجه التحقير لما يتبعونه. ثم ابتدأ الإخبار بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [يونس:٦٦] . ومعناها على أنها موصولة: أي ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء.

إذا اتضح هذا فإنّ الأقوال الثلاثة متساوية في المعنى ولا ترجيح فيها.

وعليه قاعدة: (يجب حمل معاني كتاب الله تعالى على المعاني المستقيمة) [11].

---

(١) هو: عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبري، الفقيه الحنبلي النحوي، له مصنفات مفيدة، توفي سنة (٦١٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢١٩/١).

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (٣١/٢).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٠/٣).

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٠٥/١٧).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي(٢٠٧/٣).

(٧) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٥/٢).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٦/٢).

(٩) فتح القدير للشوكاني (٤٦/٢).

(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٤٧/٦).

(١١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٣٥/٢).

سبب دخول ألف الاستفهام في: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يونس :٧٦ – ٧٧]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن دخول ألف الاستفهام في قوله: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ حكاية لقولهم. حيث قال:" قيل: في الكلام حذف، المعنى: أتقولون للحق هذا سحر .... وقال الأخفش: هو من قولهم، ودخلت الألف حكاية لقولهم؛ لأنهم قالوا أسحر هذا فقيل لهم: أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا؛ وروي عن الحسن" [١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي مروي عن الحسن[٢] وإليه ذهب الأخفش[٣]. ورجّحه الفراء[٤] والزجاج[٥].

قال ابن جزّي الكلبي: وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر فكيف يستفهمون عنه [٦].

وقال ابن عطية: وهذا التأويل يُضعّفه ما ذكر الله تعالى قبل عنهم من أنهم صمموا على أنه سحر بقولهم:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. [يونس :٧٦] [٧].

قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة تفظيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزة فيقول:أحق ما أرى؟ معظماً لما ورد عليه [٨].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/٨).
(٢) إعراب القرآن للنحاس (٢٦٣/٢).
(٣) المرجع السابق.
(٤) معاني القرآن للفراء (٤٧٤/١).
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٤/٣).
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٧/٢).
(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٤/٣).
(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠/٤).

قيل: في الكلام حذف، المعنى: أتقولون للحق هذا سحر. فـ "أتقولون" إنكار، وقولهم محذوف أي هذا سحر، ثم أستأنف إنكاراً آخر من قِبَله فقال: أسحر هذا! فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قولهم. ورجّح هذا القول الطبري[١] والسمرقندي[٢] والثعلبي[٣] والبغوي[٤] والبيضاوي[٥] والخازن[٦] وابن جزّي[٧] وأبو حيان[٨] والثعالبي[٩] وأبو السعود[١٠] والألوسي[١١] وابن عاشور[١٢]

وبعد النظر أجد أنّ مثل هذا التقدير المحذوف على هذا التأويل موجود في كلام الله تعالى ومنه قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ [الإسراء: ٧] والمعنى بعثناهم ليسوءوا.

وموجود في كلام العرب ومنه قول ذي الرمة:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيل أوحِينَ نصَّبتْ لَهُ مِن خَذَا آذَانَها وَهْو جَانِحُ[١٣].

فحذف " أقبل " مع كون "حين" مقتضية له من حيث هي مضافة إليه.

إذا اتضح هذا فإنّ ما رجّحه الطبري ومن وافقه هو الراجح. وعليه قاعدة: (القول الذي تؤيده قرائن في سياق مرجّح على ما خالفه)[١٤].

---

(١) جامع البيان للطبري (١١/١٤٥).
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٦).
(٣) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٤٢).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٢/٣٦٣).
(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/٢١٠).
(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/٢٠٢).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٩٧).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٠).
(٩) الجواهر الحسان للثعالبي (٥/١٤٢).
(١٠) تفسير أبي السعود (٤/١٦٨).
(١١) روح المعاني للألوسي (١١/١٦٤).
(١٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/٢٥٠).
(١٣) ديوان ذو الرمة (١/٢١٣).
(١٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩).

مرجع الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس:٨٣]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن الهاء في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ عائدة على موسى. حيث قال:"الهاء عائدة على موسى. قال مجاهد: أي لم يؤمن منهم أحد، وإنما آمن أولاد من أرسل موسى إليهم من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء فآمنوا........ وقال ابن عباس: ﴿مِّن قَوْمِهِۦ﴾ يعني من قوم فرعون؛ منهم مؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأته وماشطة ابنته وامرأة خازنه" (١).

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي روي عن ابن عباس(٢) وعليه قول مجاهد(٣). ورجّحه الطبري(٤) والسمرقندي(٥) وابن أبي زمنين(٦) والواحدي(٧) والسمعاني(٨) والزمخشري(٩) والرازي(١٠) والبيضاوي(١١) والنسفي(١٢) وابن جَزّي(١٣) وأبو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨/٨).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٣/٤).
(٣) تفسير مجاهد (٢٩٥/١).
(٤) جامع البيان للطبري (١٤٩/١١).
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢).
(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧٠/٢).
(٧) الوسيط للواحدي (٥٠٥/١).
(٨) تفسير القرآن للسمعاني (٣٩٩/٢).
(٩) الكشاف للزمخشري (٣٤٥/٢ – ٣٤٦).
(١٠) التفسير الكبير للرازي (١١٦/١٧).
(١١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١١/٣).
(١٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٢).
(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٧/٢).

حيان[١] والسمين الحلبي[٢] وابن عادل[٣] وأبو السعود[٤] والشوكاني[٥] والألوسي[٦] والألوسي[٦] والقاسمي[٧] والمراغي[٨] وابن عاشور[٩].

قال أبو حيان: الظاهر أنّ الضمير في﴿ قَوۡمِهِۦ ﴾ عائد على موسى عليه السلام و أنه لا يعود على فرعون؛ لأن موسى عليه السلام هو المُحدّث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور، ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب على خوف منه [١٠].

وقيل: ﴿ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ يعني من قوم فرعون؛ منهم مؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأته وما شطة ابنته وامرأة خازنه. روي أيضاً عن ابن عباس[١١] ورجّحه ابن عطية [١٢] وابن كثير حيث قال: الضمير عائد على فرعون؛ لأن السياق يدل عليه [١٣].

وقد تقدم محاورة موسى عليه السلام ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم: هذا سحر فذكر الله عنهم، ثم قال:﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ ﴾ [يونس:٨٣] من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم[١٤].

---

(١٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٨٢/٥).

(١) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٥٤/٦).

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٨٩/١٠).

(٣) تفسير أبي السعود (١٧٠/٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤٦٦/٢).

(٥) روح المعاني للألوسي (١٦٨/١١).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥٤/٦).

(٧) تفسير المراغي (١٤٥/٤).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٥٨/١١).

(٩) البحر المحيط لأبي حيان (١٨٢/٥).

(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (٥٣/٤).

(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٧/٣).

(١٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٦٨/١).

(١٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٧/٣).

وقال ابن عطية: ومما يضعف عود الضمير على موسى، أنّ المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً قد تقدمت فيهم النبوات، وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط، وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم فيكون نبيّاً، فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا [١] عليه واتبعوه، ولم يحفظ قط أنّ طائفة من بني بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية أنّ الأقل منهم كان الذي آمن؟ [٢].

وتأوّل بعض العلماء في الجواب عنه أنّ الآية بمعنى: ما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذرية من قوم موسى، فلا يدل ذلك على أنّ طائفة من بني إسرائيل كفرت به[٣].

إذا اتضح هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي هو الراجح. وعليه قاعدة : (إعادة الضمير إلى المُحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره) [٤].

وقاعدة:(الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه) [٥].

[٥].

---

(١) أي اجتمعوا ، يقال: اصطفق القوم على أمير واحد أي اجتمعوا عليه. ينظر: العين(٥/٦٧).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٣٧).

(٣) الكشاف للزمخشري (٢/٣٤٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٣) ، وروح المعاني للألوسي (١١/١٦٨).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦٠٣).

(٥) المرجع السابق (٢/٦٢١).

المراد بقوله: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٨٧]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ اجعلوا مساجدكم إلى القبلة حيث قال: " قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخُرّبت كلها ومُنعوا من الصلاة؛ فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذا وتخيرا لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، أي مساجد ولم يرد المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم، وابن زيد، والربيع بن أنس، وابن عباس، وغيرهم. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً. والقول الأول أصح؛ أي اجعلوا مساجدكم إلى القبلة ..... وقيل: المراد صلوا في بيوتكم سراً لتأمنوا؛ وذلك حين أخافهم فرعون فأُمِروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده ......" [١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي روي عن ابن عباس[٢] وعن مجاهد في رواية له[٣] وهو قول قتادة[٤] والضحاك[٥]. ورجّحه الزمخشري[٦] والنسفي[٧] وابن جزي[٨] وابن عاشور[٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٣٠).
(٢) جامع البيان للطبري (١١/١٥٥).
(٣) المرجع السابق.
(٤) جامع البيان للطبري (١١/١٥٥).
(٥) المرجع السابق.
(٦) الكشاف للزمخشري (٢/٣٤٦).
(٧) مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٣٩).
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢/٩٨).
(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور(١١/٢٦٦).

قال ابن عاشور: وهذا التفسير يلائم تركيب قوله: ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ [يونس:٨٧] لأن التركيب اقتضى أنّ المجعول قبلة هو البيوت أنفسها لا أن تُجعل الصلاة فيها إلى جهة القبلة[١].

واعتُرض على هذا القول بأنّ الأغلب من معاني البيوت :البيوت المسكونة.

قال الطبري: الأغلب من معاني البيوت وإن كانت المساجد بيوتاً: البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد؛ لأن المساجد لها اسم هي به معروفة خاص لها وذلك المساجد، فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء فالبيوت المسكونة [٢].

وقيل: اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا. روي عن ابن عباس[٣] وسعيد بن جبير[٤]. واكتفى به المراغي[٥].

واعتُرض على هذا القول بأنّ الأغلب في استعمال الناس للقبلة إنما هو قُبُل المساجد وللصلوات [٦].

وقيل المراد: صلوا في بيوتكم سراً لتأمنوا. والمعنى على هذا القول: اجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها. روي عن ابن عباس[٧] ومجاهد في رواية[٨] وإبراهيم[٩]

وإبراهيم[٩]

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦٦/١١).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥٥/١١).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).

(٤) جامع البيان للطبري (١٥٥/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).

(٥) تفسير المراغي (١٤٦/٤).

(٦) جامع البيان للطبري (١٥٥/١١).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٧٧/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٨٣/٤).

(٨) جامع البيان للطبري (١٥٣/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).

(٩) جامع البيان للطبري (١٥٣/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤)، ونقل القرطبي عن إبراهيم القول الأول ولم أجده له عند غيره من المفسرين. ينظر: (٣٣٠/٨).

وزيد بن أسلم[١] وابن زيد[٢] والربيع[٣] وأبي مالك[٤].

ورجّحه الطبري[٥] ووافقه السمرقندي[٦] وابن أبي زمنين[٧] والواحدي[٨] والسمعاني[٩] والبغوي[١٠] وابن عطية[١١] والبيضاوي[١٢] وأبو حيان[١٣] والشوكاني[١٤] والألوسي[١٥] والقاسمي[١٦] والسعدي [١٧].

ويؤيد هذا القول ما ذُكر من خبر فرعون وبني إسرائيل .

قال المفسرون: لما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخُرّبت كلها وُمنعوا من الصلاة وكانوا لا يصلون إلا في الكنائس فأُمِروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفاً من فرعون [١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٧٧/٦)، ونقل القرطبي عن ابن زيد القول الأول ولم أجده له عند غيره من المفسرين. ينظر: (٣٣٠/٨).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥٣/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤)، ونقل القرطبي عن الربيع القول الأول ولم أجده له عند غيره من المفسرين. ينظر: (٣٣٠/٨).

(٣) جامع البيان للطبري (١٥٣/١١)، ونقل القرطبي عن أبي مالك القول الأول ولم أجده له عند غيره من المفسرين. ينظر: (٣٣٠/٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) جامع البيان للطبري (١٥٤/١١).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).

(٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧١/٢).

(٨) الوسيط للواحدي (٥٠٦/١).

(٩) تفسير القرآن للسمعاني (٤٠٠/٢).

(١٠) معالم التنزيل للبغوي (٣٦٥/٢).

(١١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٨/٣).

(١٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٢/٣).

(١٣) البحر المحيط لأبي حيان (٨٤/٥).

(١٤) فتح القدير للشوكاني (٤٦٧/٢).

(١٥) روح المعاني للألوسي (١٧١/١١).

(١٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥٦/٦).

(١٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٧٢/١).

واعتُرض على هذا القول بحديث النبي ﷺ: "جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً [٢] " من أنّ هذا مما خُصَّ به النبي ﷺ دون الأنبياء، وأنّ الأمم السالفة كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم.

قال الألوسي: وأجيب عن هذا بأنّ محله إذا لم يضطروا، فإن اضطروا جازت لهم الصلاة في بيوتهم، كما رخص لنا صلاة الخوف، فإن فرعون لعنه الله خرّب مساجدهم، ومنعهم من الصلاة، فأوحى إليهم أن صلوا في بيوتكم. وقد يقال: أنه لا منافاة أصلاً بناء على أنّ المراد تعيين البيوت للصلاة وعدم صحة الصلاة في غيرها، فيكون حكمها إذ ذاك حكم الكنائس اليوم، وما هو من الخصائص صحة الصلاة في أي مكان من الأرض، وعدم تعيين موضع منها، لذلك فلا حاجة إلى ما يقال من أنّ اعتبار جعل الأرض كلها مساجد خصوصية، بالنظر إلى ما استقرت عليه شريعة موسى من تعيين الصلاة في الكنائس وعدم جوازها في أي مكان أراده المصلي من الأرض [٣].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أنّ القول اجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها . هو الأظهر؛ لأن الأغلب من استعمال لفظ البيوت في اللغة إنما هو في البيوت المسكونة ولفظ القبلة إنما هو قُبُل المساجد والصلوات.

قال الطبري: وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعملة بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول، ما لم تأت دلالة تقطع العذر بأنّ معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا [٤].

---

(١٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).

(١) هو جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٨/١) كتاب الصلاة، أبواب المساجد، باب قول النبي ﷺ: "جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"حديث رقم (٤٢٧).

(٢) روح المعاني للألوسي (١٧١/١١).

(٣) جامع البيان للطبري (١١ /١٥٥).

وبذلك يترجّح هذا القول وعليه قاعدة:(يجب حمل معاني كلام الله تعالى على الظاهر من كلام العرب)[1].

الخطاب في ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس:٨٧]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أن الخطاب في قوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لموسى عليه السلام حيث قال: " قيل: الخطاب لمحمد ﷺ. وقيل: لموسى عليه السلام وهو أظهر "[2].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي ترجيح الزمخشري[3] وابن عطية[4] والرازي[5] والبيضاوي[6] والنسفي[7] وابن جزي[8] وأبو حيان[9] وأبو السعود[10] والشوكاني[11] والشوكاني[11] والألوسي[12] والمراغي[13] وابن عاشور[14].

---

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين(٣٦٩/٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/٨).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٤٦/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٩/٣).

(٤) التفسير الكبير للرازي (١١٩/١٧).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٢/٣).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٩/٢).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٨/٢).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٨٥/٥).

(٩) تفسير أبي السعود (١٧١/٤).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٦٧/٢).

(١١) روح المعاني للألوسي (١٧٢/١١).

(١٢) تفسير المراغي (١٤٦/٤).

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٦٧/١١).

وأُشكل على هذا القول مجيء الخطاب بصيغة الإفراد مع أن ما قبله جاء بصيغة التثنية في قوله:﴿ تَبَوَّءَا ﴾.

قال النســفي في الجواب عنه: ثنى الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحّد آخراً؛ لأن اختيار مواضع العبادة مما يُفوّض إلى الأنبياء، ثم الجمع؛ لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور، وخصّ موسى عليه السلام بالبشارة؛ تعظيماً لها وللمُبشِّر بها[1].

وقال المراغي: إنما خُصّ موسى بالتبشير؛ لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة، وليدل بذلك على أنّ الأصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وأنّ هارون تبع له[2].

وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ.

رجّح هذا القول الطبري[3] والسمرقندي[4] والثعلبي[5] والبغوي[6] وابن الجوزي في زاد المسير[7] والثعالبي[8].

ولعل مستندهم مجيء الخطاب بصيغة الإفراد.

وبعد النظر أجد أنّ القول الذي رجّحه القرطبي هو الموافق للسياق. إذ أنّ السياق السابق واللاحق جميعه في شأن موسى عليه السلام مع قومه، ولم يرد لمحمد ﷺ ذكر. وبذلك يكون هو الراجح وعليه قاعدة: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [9].

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٩/٢) و ذكره أبو حيان في البحر المحيط (١٨٥/٥).

(٢) تفسير المراغي (١٤٦/٤)، وذكره الرازي في التفسير الكبير (١١٩/١٧)، والشوكاني في فتح القدير (٤٦٧/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (١٥٦/١١).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٤٤/٥).

(٦) معالم التنزيل للبغوي(٣٦٥/٢).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٤).

(٨) الجواهر الحسان للثعالبي (١٤٤/٥).

(٩) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

اللام في ليضلوا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس:٨٨]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن اللام في قوله تعالى: ﴿ لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ لام العاقبة والصيرورة حيث قال: "اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها ــ وهو قول الخليل وسيبويه ــ أنها لام العاقبة والصيرورة، أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا. وقيل: هي لام كي، أي: أعطيتهم لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا. وقيل: هي لام أجل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم. وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا، كما قال عز وجل: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [النساء:١٧٦] والمعنى: لأن لا تضلوا .... وقيل: الفعل معنى المصدر أي إضلالهم؛ كقوله عز وجل: ﴿ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة:٩٥] "[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي ترجيح الزجاج[٢] والسمعاني[٣] والشوكاني[٤] والقاسمي[٥] والقاسمي[٥] والمراغي[٦] وابن عاشور[٧]. واختاره الخليل بن أحمد[١] وسيبويه[٢]. وسيبويه[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٣/٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٦/٣).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٤٠١/٢).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤٦٨/٢).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٥٦/٦).

(٦) تفسير المراغي (١٤٨/٤).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٦٨/١١).

قال ابن عاشور: والذي سلكه أهل التدقيق من المفسرين أنّ اللام لام العاقبة(1).

قال ابن الجوزي: والمعنى إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال. ومثله قوله تعالى:﴿ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[القصص:٨] أي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً لا أنهم قصدوا ذلك(2).

وفي الخبر: " إنّ لله تعالى ملكاً ينادي كل يوم لِدُوا للموت وابنوا للخراب"(3).

وقال الشاعر:

فــإن يكن القتل أفناهم فللموت ما تلد الوالدة (4)

أي :مآلهم الموت.

وقال علي بن أبي طالب:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها(5)

وهم لم يبنوها للخراب، ولكن مآلها إلى ذلك.

وقيل: هي لام كي، أي أعطيتهم لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا. وهي لام أجل، أي: آتيتهم لأجل ضلالهم عقوبة لهم. كقوله:﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾[التوبة :٩٥] أي: لأجل إعراضكم عنهم ولم يحلفوا لتعرض عنهم. وهي لام العلة، والمعنى: أنك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج؛ لأن

---

(٨) هو: الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري اللغوي ،صاحب العروض والنحو. معجم الأدباء (٣/٣٠٠)، ووفيات الأعيان (٢/٢٤٤).

(٩) إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٦٦).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(١١/٢٦٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٥٥).

(٣) حديث مختلف فيه. ينظر: المقــاصد الحسنة للسخــاوي (١/٥٢٩)، ونُقل عن الأمام أحمد أنه قال : هو مما يدور في الأسواق ولا أصل له. ينظر: كشف الخفاء للعجلوني (٢/١٨٣).

(٤) تاج العروس (٣٣/٤٥١).

(٥) ديوان علي بن أبي طالب (١/١٧٦).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/٤٧٧).

(٧) الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٤٤).

إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال؛ ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا. قاله الفراء[6] والثعلبي[7] والبيضاوي[1] والسمين الحلبي[2] والثعالبي[3] ورجّحه الطبري[4] والنحاس في معاني القرآن[5] وأبو حيان[6].

قال النحاس: وبعض أهل اللغة يقول: لام الصيرورة، وهي لام كي على الحقيقة، والمعنى: فأصارهم ذلك إلى الضلال كما قال عز وجل: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٧] [7].

وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا. كما قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾[النساء:١٧٦] والمعنى: لأن لا تضلوا. ذكره الرازي عن أبي علي الجبائي[8] .[9]

قال النحاس: ظاهر هذا الجواب حسن، إلا أن العرب لا تحذف "لا" إلا مع أن؛ فموّه صاحب هذا الجواب بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾[10].

وقيل: اللام للدعاء أي ابتلهم بالضلال عن سبيلك؛ لأن بعده : ﴿ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ورجّح هذا القول ابن أبي زمنين [11] والزمخشري [12]

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٢/٣).

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٠/٦).

(٣) الجواهر الحسان للثعالبي (١٤٤/٥).

(٤) جامع البيان للطبري (١٥٧/١١).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٢٦٦/٢).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٨٥/٥).

(٧) معاني القرآن للنحاس (٣١١/٣).

(٨) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري، شيخ المعتزلة كان رأساً في الفلسفة والكلام، وله مقالات مشهورة وتصانيف، مات سنه (٣٠٣هـ) عن ٦٨ سنة. ينظر: طبقات المفسرين (١٠٣/١)، ولسان الميزان (٨٤/٧).

(٩) التفسير الكبير للرازي (١٢٠/١٧).

(١٠) إعراب القرآن للنحاس (٢٦٦/٢).

(١١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧١/٢).

والبيضاوي[1] وابن جزي[2] وأبو السعود[3].

قال السمين الحلبي: وقد استُبعِد هذا التأويل بقراءة الكوفيين﴿ لِيُضِلُّواْ ﴾ بضم الياء، فإنه يبعد أن يدعي عليهم بأن يُضلّوا غيرهم [4].

وبعد النظر والتأمل في الأقوال أجد أن القول الذي رجّحه القرطبي هو الأسلم من الاعتراض، فلا يقال: إن الله تعالى أعطاهم ما أعطاهم بغرض إضلالهم بهذا الإعطاء، ولكن لما كان عاقبة أمرهم قد آل إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا. والله أعلم.

(١٢) الكشاف للزمخشري (٣٤٧/٢).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٢/٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٨/٢).

(٣) تفسير أبي السعود (١٧٢/٤).

(٤) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٠/٦).

الخطاب في قوله:﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [يونس:٨٩]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أنّ إجابة الدعاء نُسبت إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد؛ لأن موسى عليه السلام دعا وأمّن هارون عليه السلام على دعائه. حيث قال: "قال أبو العالية: دعا موسى وأمّن هارون؛ فسُمّي هارون وقد أمّن على الدعاء داعياً. والتأمين على الدعاء أن يقول آمين؛ فقولك آمين دعاء؛ أي ياربّ استجب لي. وقيل: دعا هارون مع موسى أيضاً. وقال أهل المعاني: ربما خاطبت العرب الواحد بخطاب الاثنين؛ قال الشاعر:

فقلت لصاحبي لا تعجلانا بنزع أصوله فاجتز شيحا.

وهذا على أنّ آمين ليس بدعاء وأنّ هارون لم يدع" [١].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي روي عن أبي هريرة[٢] وابن عباس[٣] وعكرمة[٤] وقتادة[٥] وأبي صالح[٦] وأبي العالية[٧] والربيع بن أنس[٨] وابن زيد[٩] ومحمد بن كعب القرطبي[١٠] وقاله الفراء[١] والزجاج[٢].

---

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٤/٨).

(٦) الدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٤).

(٧) المرجع السابق.

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٨٠/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٤).

(٩) معاني القرآن للنحاس (٣١٢/٣).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٨٠/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٤).

(١١) المرجعين السابقين.

(١٢) المرجعين السابقين.

(١٣) الدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٤).

(١٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٨٠/٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣٨٥/٤).

ورجحه الطبري[٣] والسمرقندي[٤] والماوردي[٥] والواحدي[٦] والسمعاني[٧] والبغوي[٨] وابن عطية[٩] وابن الجوزي في زاد المسير[١٠] والبيضاوي[١١] والنسفي[١٢] والخازن [١٣] وابن تيمية[١٤] وابن جزي[١٥] والسمين الحلبي[١٦] وابن كثير[١٧] وأبو السعود[١٨] والألوسي[١٩] والمراغي[٢٠] والسعدي[٢١] .

قال أبو جعفر: وهو حسن عند أهل اللغة؛ لأن التأمين دعاء ألا ترى أنّ معنى آمين استجب [٢٢].

---

(١٥) معاني القرآن للفراء (٤٧٨/١).

(١٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٦/٣).

(١) جامع البيان للطبري (١٦٠/١١).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤٤٨/٢).

(٤) الوسيط للواحدي (٥٠٧/١).

(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٤٠١/٢).

(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٦٦/٢).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (١٤٠/٣).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥٨/٤).

(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٣/٣).

(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٠/٢).

(١١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٠٥/٣).

(١٢) دقائق التفسير لابن تيمية (١١٨/٢٣).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٨/٢).

(١٤) الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦١/٦).

(١٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٠/٢).

(١٦) تفسير أبي السعود (١٧٢/٤).

(١٧) روح المعاني للألوسي (١٧٤/١١).

(١٨) تفسير المراغي (١٤٩/٤).

(١٩) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٧٢/١).

(٢٠) معاني القرآن للنحاس (٣١٢/٣).

وقال الرازي: موسى عليه السلام كان يدعو وهارون عليه السلام كان يُؤمِّن، فلذلك قال: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس:٨٩] وذلك لأن من يقول عند دعاء الداعي آمين فهو أيضاً داع، لأن قوله آمين تأويله استجب، وهو سائل كما أنّ الداعي سائل أيضاً(١).

وقيل: دعا هارون مع موسى أيضاً.

قال الرازي: لا يبعد أن يكون كل واحد منهما ذكر هذا الدعاء، غاية ما في الباب أن يقال: أنه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس:٨٨] إلا أنّ هذا لا ينافي أن يكون هارون قد ذكر ذلك الدعاء أيضاً (٢).

وقال أهل المعاني: ربما خاطبت العرب الواحد بخطاب الاثنين؛ قال الشاعر(٣).

فقلت لصاحبي لا تعجلانا بنزع أصوله فاجتز(٤) شيحا(٥).

قال القرطبي: وهذا على أنّ التأمين ليس بدعاء، وأنّ هارون لم يدع(٦).

وقال النحاس: سمعت علي بن سليمان يقول: الدليل على أنّ الدعاء لهما قول موسى عليه السلام "ربنا" ولم يقل رب (٧).

وبعد النظر أجد أن القول الأول رجّحه جمهور المفسرين، ورواه الكثير من السلف قال ابن رجب (٨): قال كثير من السلف كان موسى يَدْعُو وهارون يُؤَمِّنُ،

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٢٢/١٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب بلفظ: فقلت لصاحبي لا تحبسانا. ولم ينسبه لقائله.

(٤) من جزّ وهو قطع الشيء. ينظر: مقاييس اللغة (٤١٤/١).

(٥) الشيح: هو نبات. ينظر: العين (٣/٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٤/٨).

(٧) إعراب القرآن للنحاس (٢٦٧/٢).

(٨) هو: الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي ، صاحب طبقات

فسماهما داعيين[١].

إذا اتضح هذا فإن ما رجّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)[٢].

الحنابلة، ولد سنة (٧٣٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٥٣/١).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٠/٤).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٧١/١).

المراد ببدنك في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس:٩٢]

ترجيح القرطبي :

رجّح القرطبي أنّ المراد بقوله: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ جسدك من غير روح. حيث ذكر قولاً لأبي بكر الأنباري وفيه:" أن بني إسرائيل اختلفوا في غرق فرعون، وسألوا الله تعالى أن يريهم إياه غريقاً فألقاه على نجوة [١] من الأرض ببدنه وهو درعه التي يلبسها في الحروب. ثم قال:"وقيل: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ بجسد لا روح فيه؛ قاله مجاهد. قال الأخفش: وأما قول من قال بدرعك فليس بشيء" [٢].

المناقشة والترجيح :

ما رجّحه القرطبي روي عن مجاهد[٣] والحسن[٤]. ورجّحه الطبري[٥] والنحاس [٦] والسمرقندي[٧] وابن أبي زمنين [٨] والثعلبي[٩] والواحدي[١٠] والبغوي[١١] والخازن[١٢] والثعالبي[١٣] والألوسي[١٤] والقاسمي[١٥] وابن عاشور[١٦].

---

(١) النَّجو: هو المكان المرتفع. ينظر: مختار الصحاح (٢٧٠/١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/٨).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦١/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٨٨/٤).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٨٤/٦).
(٥) جامع البيان للطبري (١٦٤/١١).
(٦) معاني القرآن للنحاس (٣١٥/٣).
(٧) بحر العلوم للسمرقندي (١٣١/٢).
(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧٢/٢).
(٩) الكشف والبيان للثعلبي (١٤٨/٥).
(١٠) الوسيط للواحدي (٥٠٧/١).
(١١) معالم التنزيل للبغوي (٣٦٧/٢).
(١٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٠٩/٣).
(١٣) الجواهر الحسان للثعالبي (١٤٨/٥).
(١٤) روح المعاني للألوسي(١٧٣/١١).
(١٥) محاسن التأويل للقاسمي (٥٨/٦).
(١٦) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٧٨/١١).

قال ابن عاشور: والبدن: الجسم بدون روح وهذا احتراس من أن يُظن المراد الإنجاء من الغرق. والمعنى: ننجيك وأنت جسم. كما يقال: دخلت عليه فإذا هو جثة[١].

وقيل: بدرعك ؛ قاله أبو صخر[٢].[٣] والبدن: الدرع القصير[٤].

قال الأعشى:

وبيضاء كالنِّهْي[٥] موضُونة [٦]   لهـا قونـس[٧] فوق جيب البدن [٨]

(٨)

وقال عمرو بن معد يكرب[٩]:

ومضى نساؤهم بكل مُفاضةٍ[١٠]   جـدلاء[١١] سـابغةٍ وبـالأبـدان

وقال كعب بن مالك[١٢]:

ترى الأبدان فيها مسبـغات   على الأبطال واليَلَب[١٣] الحصينا

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٧٨/١١).

(٢) هو: حميد بن زياد أبو صخر الخراط المدني، مولى بني هاشم، سمع نافعا ومحمد بن كعب وعمار الدهني وابن قسيط . ينظر: التاريخ الكبير (٣٥٠/٢).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤٤٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤٣٢/٢).

(٤) لسان العرب (٤٩/١٣).

(٥) النهي ضبط بالكسر والفتح، وهو الغدير أو شبيهه وهو كل موضع يجتمع فيه الماء. ينظر: تاج العروس (١٥١/٤٠).

(٦) الموضونة: الدرع المنسوجة. ينظر: لسان العرب (٤٥٠/٣).

(٧) قونس البيضة من السلاح: أعلاها. ينظر: لسان العرب (١٨٤/٦).

(٨) ديوان الأعشى (٢٤١/١).

(٩) هو: عمرو بن معد يكرب، أبو ثور الزبيدي، أبلي بلاءً حسناً يوم القادسية، وارتدّ عند وفاة النبي ﷺ، ثم رجع وحسن إسلامه. ينظر: الأغاني (٢٠٠/١٥)، وتاريخ الإسلام (٩٨/٤).

(١٠) المفاضة: الدرع الواسعة. ينظر: لسان العرب (٣٣٦/٦).

(١١) درع جدلاء ومجدولة: محكمة النسج. ينظر: لسان العرب (١٠٥/١١).

(١٢) هو: كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي ،شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه وأحد الثلاثة الذين خُلفوا فتاب الله عليهم، وله عدة أحاديث تبلغ الثلاثين. ينظر: الإصابة (٦١٠/٥).

(١٣) اليلب: الدروع اليمانية. ينظر: لسان العرب (٨٠٦/١).

أراد بالأبدان الدروع .

ورجّح هذا القول أبو حيان فقال: ببدنك بدرعك. والبدن بدن الإنسان ، والبدن الدرع القصيرة [1].

وجوّز ابن كثير القولين فقال عند قوله تعالى: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾: قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال أبو صخر: بدرعك. وكل هذه لا منافاة بينها والله أعلم [2].

قال الأخفش: وأما قول من قال بدرعك فليس بشيء[3].

وقيل: نلقيك عريانا؛ قاله الزجاج [4].

وقيل: ننجيك وحدك؛ قاله ابن قتيبة [5].

وبعد النظر يتضح أن قول من قال: بجسدك من غير روح. هو الأولى؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. وكلام الله تعالى لا يُوجّه إلا إلى الأغلب من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيُسلّم لها.

إذا اتضح هذا فإن ما رجّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) [6].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٣٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٣٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٢٧).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٦١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٦٩).

التوبة عند معاينة العذاب في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس:٩٨]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أنّ معاينة العذاب لا تنفع معها توبة. حيث قال: "وقال الطبري: خُصّ قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تِيب عليهم بعد معاينة العذاب؛ وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين. وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان. قلت: قول الزجاج حسن، فإنّ المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب[١] ".

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي هو قول الزجاج[٢]، ورجحه الزمخشري[٣] وابن عطية [٤] والرازي[٥] والبيضاوي[٦] والنسفي[٧] وابن جزّي[٨] وأبو حيان[٩] وأبو السعود[١٠] والشوكاني[١١] والألوسي[١٢] والقاسمي[١٣] والمراغي[١٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤١/٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٩/٣).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣٥٣/٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٤٤/٣).

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٣٣/١٧).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٥/٣).

(٧) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٢/٢).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٩/٢).

(٩) البحر المحيط لأبي حيان (١٩٢/٥).

(١٠) تفسير أبي السعود (١٧٦/٤).

(١١) فتح القدير للشوكاني (٤٧٤/٢).

(١٢) روح المعاني للألوسي (١٩١/١١).

(١٣) محاسن التأويل للقاسمي (٦٣/٦).

(١٤) تفسير المراغي (١٥٧/٤).

وابن عاشور[1].

وهــذا القول صحيح، فإنّ من المقرر شرعاً أنّ الإيمان والتوبة في الاختيار خلافهما في حال الاضطرار، فلا جدوى للتوبة أو الإيمان عند حلول العذاب، والنصوص على هذا من كتاب الله تعالى متوافرة، قال تعالى في قصه إيمان فرعون حينما أيقن بالعذاب:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾[يونس:٩٠-٩١-٩٢].

وقال تعالى:﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا ﴾ [الأنعام:١٥٨]

وقال الطبري: إلا قوم يونس فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم، استثناهم الله تعالى من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم[2].

وروي القول الذي رجّحه الطبري عن ابن عباس[3] ومجاهد[4] وقتادة [5] وابن جبير[6] والربيع بن أنس[7] وابن أبي نجيح[8]. ورجحه أبو عبيدة [1] [1]

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٨٩/١١).

(٢) جامع البيان للطبري (١٧٠/١١).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤٦/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٩١/٤).

(٤) تفسير مجاهد (٢٩٩/١)، وجامع البيان للطبري (١٧١/١١).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٦٤/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٩١/٤).

(٦) جامع البيان للطبري (١٧١/١١).

(٧) المرجع السابق.

(٨) جامع البيان للطبري (١٧١/١١). وابن أبي نجيح هو: عبدالله بن أبي نجيح الإمام الثقــة المفســر أبو يســارالثقفي المكي، وثقه ابن معين، كان يتهم بالاعتزال، توفي سنة (١٣١هـــ). ينظــر: سير أعلام النبلاء (١٢٦/٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١٦).

والنحاس في معاني القرآن[٢] وابن أبي زمنين[٣] والثعلبي[٤] والواحدي[٥] والسمعاني[٦] والبغوي[٧] وابن الجوزي في زاد المسير[٨] والخازن[٩] وابن كثير[١٠] والثعالبي[١١] وابن عادل[١٢] والسعدي[١٣].

قال البغوي: الأكثرون على أنهم رأوا العذاب عياناً، بدليل قول:﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ [يونس:٩٨] والكشف يكون بعد الوقوع إذا قرب [١٣].

وأصحاب هذا القول مقرين بأن التوبة لا تنفع صاحبها عند حلول العذاب، ولم ينكروا ذلك، وإنما كان الاستثناء من الله تعالى لقوم يونس عليه السلام خاصة بهم من بين سائر الأمم.

وبعد النظر في القولين، أرى أن القول الذي رجّحه الطبري يتأيد بالرواية، وظاهر نظم الآية الكريمة أن قوم يونس أيقنوا بالعذاب، كما روي عن ابن عباس: لم

---

(٩) المجاز في القرآن لأبي عبيدة (٢٨٢/١).
(١) معاني القرآن للنحاس(٣١٨/٣).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧٤/٢).
(٣) الكشف والبيان للثعلبي (١٥١/٥).
(٤) الوسيط للواحدي (٥٠٨/١).
(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٤٠٥/٢).
(٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٦٩/٢).
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٦٤/٤).
(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢١١/٣).
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢٣٤/٢).
(١٠) الجواهر الحسان للثعالبي (١٥١/٥).
(١١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤١٥/١٠).
(١٢) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٧٤/١).
(١٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٦٩/٢).

يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي قدر ميل[١٤]. وروي عن أنس أيضاً[١٥]. وقـال مقاتل قدر ميل[١٦] وقـال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حر العذاب على أكتافهم [١]. وقال سعيد بن جبير: غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر[٢].

وهذه الروايات تدل على أن قوم يونس عليه السلام ءامنوا عندما كان العذاب قريباً منهم. وهولا يختلف عن القول الذي رجّحه القرطبي وغاية ما فيه أن قوم يونس عليه السلام ءامنوا عندما ظهرت لهم أمارات العذاب. فالجميع متفقون أن قوم يونس عليه السلام أيقنوا بوقوع العذاب غير أنه لم يباشرهم حقيقة، بل كشفه الله تعالى عنهم. والله أعلم .

---

(١٤) زاد المسير لابن الجوزي (٦٥/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٩٢/٤).

(١٥) زاد المسير لابن الجوزي (٦٥/٤).

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان (١٠٥/٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٦٥/٤).

(٢) المرجع السابق، والدر المنثور للسيوطي (٣٩٢/٤).

المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يونس:١٠٨]

ترجيح القرطبي:

رجّح القرطبي أن المراد بالحق القرآن. حيث قال: " قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: القرآن، وقيل: الرسول ﷺ "[١].

المناقشة والترجيح:

ما رجّحه القرطبي قاله مقاتل بن سليمان[٢] . ورجّحه الطبري[٣] والنحاس في معاني القرآن[٤] وابن أبي زمنين[٥] واالثعلبي[٦] والواحدي[٧] والخازن[٨] وابن وابن كثير[٩] والثعالبي[١٠] وأبو السعود[١١] والشوكاني[١٢] والألوسي[١٣] والقاسمي[١٤] والقاسمي[١٤] والمراغي[١٥] والسعدي[١] والشنقيطي[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٤/٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١٠٦/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (١٧٨/١١).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٣٢٣/٣).

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢٧٥/٢).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي (١٥٤/٥).

(٧) الوسيط للواحدي (٥١٠/١).

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢١٥/٣).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٥/٢).

(١٠) الجواهر الحسان للثعالبي(١٥٤/٥).

(١١) تفسير أبي السعود (١٨١/٤).

(١٢) فتح القدير للشوكاني (٤٧٨/٢).

(١٣) روح المعاني للألوسي (٢٠١/١١).

(١٤) محاسن التأويل للقاسمي (٦٩/٦).

(١٥) تفسير المراغي (١٦٥/٤).

قال المراغي: قوله:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[يونس:١٠٨] أي قل لهم أيها الرسول مخاطباً جميع الناس، من حضر منهم فسمع هذه الدعوة منك ومن ستبلغه عنك، قد جاءكم الحق المُبيّن لحقيقة هذا الدين، وقد أُوحي به إلى رجل منكم، وكان خفياً عنكم بما جُهل من دعوة الرسل السالفين أو حُرِّف وبُدِّل، ففصّله هذا الكتاب العربي المبين (٣).

وقيل الرسول ﷺ، ذكره الماوردي(٤) وابن الجوزي في زاد المسير(٥) .

وقال السمرقندي: قوله:﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [يونس:١٠٨] يعني محمد ﷺ والقرآن (٦). ووافقه البيضاوي(٧) والنسفي(٨).

وقال ابن عاشور: والحق: هو الدين الذي جاء به القرآن(٩) .

وبعد النظر في الأقوال أجد أنه غلب على القرآن الكريم تسميته بالحق في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[النساء:١٧٠] وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٨ – ٥١]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد :٢] وقوله تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ

---

(١٦) تيسير الكريم المنان للسعدي (٣٧٦/١).

(١٧) أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٦/٧).

(١) تفسير المراغي (١٦٥/٤).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤٥٤/٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٧١/٤).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٣٦/٢).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٨/٣).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٥/٢).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٨/١١).

ٱلۡحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦] وقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾[فاطر:٣١].

إذا اتضح هذا فإن ما رجّحه القرطبي هو الراجح وعليه قاعدة:(حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى).[1]

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٧٢).

الفهـــــــارس

وفـــيـــــه :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس القراءات الشاذة .
٣. فهرس الأحاديث .
٤. فهرس الآثار .
٥. فهرس الأعلام .
٦. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
٧. فهرس الفِرق والقبائل .
٨. فهرس الأماكن والبلدان .
٩. فهرس الشواهد الشعرية .
١٠. فهرس المصادر والمراجع .
١١. فهرس الموضوعات .

ولا ً : فهرس الآي ت الق آنية

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾	[آل عمران: ١٠٦]	٣	٣٠٠
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	[آل عمران: ١٦٤]	٣	٢٤٥
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	[آل عمران: ١٦٩]	٣	٢٠
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾	[النساء: ٥]	٤	١١٩
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	[النساء: ٨٠]	٤	١٤٢
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	[النساء : ١٠٠]	٤	٢٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾	[النساء: ١٧٠]	٤	٣٦٦
﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾	[النساء: ١٧٦]	٤	٣٥٠
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾	[المائدة: ٢٧]	٥	٦٣
﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾	[المائدة: ٤٥]	٥	١٣٩
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾	[المائدة: ٤٨]	٥	٣١٣
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	[المائدة: ٤٨]	٥	٣٠٦
﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾	[المائدة: ٨٩]	٥	٤٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	[المائدة: ١٠٥]	٥	٦٤
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى	[المائدة: ١١٦]	٥	٣٠٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾			
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾	[الأنعام:٣٥]	٦	٣١٠
﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾	[الأنعام: ٩٦]	٦	٨٦
﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾	[الأنعام: ١٥٨]	٦	٣٦٢
﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾	[الأعراف: ٥]	٧	٢٦٨
﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾	[الأعراف: ٣٨، ٣٩]	٧	٣١٩
﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾	[الأعراف: ٥١]	٧	١٥٢
﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	[الأعراف: ٥٢]	٧	٣١٦
﴿ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	[الأعراف: ١٨٦]	٧	١٥٢
﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾	[الأنفال: ٤١]	٨	٢١٧
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾	[الأنفال: ٦٠]	٨	٤١
﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾	[التوبة: ١٧]	٩	٧٣
﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	[التوبة: ٢٩]	٩	٢٤١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	[التوبة: ٣٨]	٩	٢٢٣
﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	[التوبة: ٤١]	٩	٩٠

الآيــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾			
﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	[التوبة: ٦٩]	٩	٦٠
﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ ﴾	[التوبة: ٧٠]	٩	٨٢
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ﴾	[التوبة: ٧٢]	٩	١٥٦
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	[التوبة: ٧٥]	٩	١٦٢
﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾	[التوبة: ٧٧]	٩	٧٢
﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	[التوبة: ٧٩]	٩	٥٣
﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	[التوبة: ٨٢]	٩	١٧١
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ ﴾	[التوبة: ٨٤]	٩	١٧٤
﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ ﴾	[التوبة: ٨٨]	٩	٤١
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾	[التوبة: ٩١]	٩	٩٣
﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	[التوبة: ٩٥]	٩	٥٧
﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾	[التوبة: ٩٧]	٩	١٨٤
﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾	[التوبة: ٩٨]	٩	٦١
﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ ﴾	[التوبة: ٩٨]	٩	٤٣

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾	[التوبة: ١٠١]	٩	٤١
﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾	[التوبة: ١٠٢]	٩	١٨٩
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾	[التوبة: ١٠٣]	٩	٨٢
﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾	[التوبة: ١٠٤]	٩	١٩٨
﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾	[التوبة: ١٠٦]	٩	٥٨
﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾	[التوبة: ١٠٨]	٩	٤٩
﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	[التوبة: ١٠٩]	٩	٥٥
﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾	[التوبة: ١١٠]	٩	٥١
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾	[التوبة: ١١٢]	٩	٨٥
﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾	[التوبة: ١١٧]	٩	٧٥
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾	[التوبة:١١٨]	٩	٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	[التوبة:١١٩]	٩	٢٣٠
﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن	[التوبة: ١٢٠]	٩	٢٣٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	[يونس: ١٤]	١٠	٢٧٢
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾	[يونس: ١٥]	١٠	٢٨٠
﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾	[يونس: ١٦]	١٠	٢٧٤
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾	[يونس: ١٧]	١٠	٢٧٧
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾	[يونس: ١٨]	١٠	٢٧٩
﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	[يونس: ١٨]	١٠	٤٣
﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ ﴾	[يونس: ١٩]	١٠	٢٨١
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	[يونس: ٢٠]	١٠	٢٨٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾	[يونس: ٢٢]	١٠	٤٤
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾	[يونس: ٢٤]	١٠	٢٨٨
﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	[يونس: ٢٥]	١٠	٢٩٠
﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾	[يونس: ٢٦]	١٠	٢٩٤
﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ﴾	[يونس: ٢٧]	١٠	٦١
﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ ﴾	[يونس: ٢٨]	١٠	٣٠٢
﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾	[يونس: ٢٨]	١٠	٧٣

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾			
﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾	[يونس: ٩٢]	١٠	٣٥٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	[يونس: ٩٦]	١٠	٥٤
﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	[يونس: ٩٨]	١٠	٥٥
﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾	[يونس: ١٠٢]	١٠	٤١
﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	[يونس: ١٠٥]	١٠	٥٢
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾	[يونس: ١٠٨]	١٠	٣٦٦
﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	[هود : ١]	١١	٧٥
﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾	[هود : ٨٢]	١١	١٥٥
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾	[هود : ١١٨]	١١	٢٨٣
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾	[الرعد : ٢٣]	١	١٦١
﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	[الرعد: ٢٤]	١٢	٢٩٢
﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	[إبراهيم : ٥]	١٣	٤٢
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	[الحجر : ٤٦]	١٤	٢٩٢
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾	[الحجر : ٧٣]	١٤	١٥٥
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾	[الحجر: ٧٤]	١٥	٥٧
﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ ﴾	[النحل: ٣٨]	١٥	٢٨٠

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	[النحل: ٤٤]	١٥	٤٨
﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ ﴾	[النحل: ٦٧]	١٥	٢٣
﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾	[الإسراء: ٧]	١٦	٣٤٠
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	[الإسراء: ١٨]	١٦	١٠٣
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾	[الإسراء: ٤٤]	١٦	٣٤
﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً ﴾	[الإسراء: ٥٠]	١٦	٥٧
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾	[الإسراء: ٨٠]	١٦	٢٦٢
﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾	[الإسراء: ٩٤]	١٦	٢٥٩
﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾	[الكهف: ٤٦]	١٧	٦٥
﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾	[الكهف: ٧٩]	١٧	١١٨
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾	[الكهف: ١٠٨]	١٧	١٦٠
﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾	[مريم: ٢٨]	١٨	٤٣
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾	[مريم: ٤٢]	١٨	٣٠٩
﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	[مريم: ٤٨]	١٨	٢٦٧
﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾	[مريم: ٦١]	١٨	١٥٨
﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾	[الحج : ٢١]	١٩	١١٩
﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾	[المؤمنون: ١٤]	٢٠	٦٥
﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾	[المؤمنون: ١٠٦]	٢٠	٣٢٦

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾			
قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾	[سبأ : ٤٠-٤١]	٢٨	٣٠٢
﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	[فاطر : ٣١]	٢٩	٣٦٦
﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	[يس: ١-٢]	٣٠	٢٥٤
﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾	[يس : ٥٧]	٣٠	٢٦٦
﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾	[يس: ٥٨]	٣٠	٢٩٢
﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾	[الصافات : ١٠٧]	٣١	٣٣
﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾	[ص: ٤]	٣٢	٢٥٩
﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾	[ص: ٢٩]	٣٢	٦٤
﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	[ص: ٤٤]	٣٢	٣٤
﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾	[ص: ٤٥]	٣٢	٣٤
﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾	[غافر : ٥٥]	٣٣	٢١٩
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	[غافر: ٦٠]	٣٣	٢٦٧
﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	[فصلت: ١-٢-٣]	٣٤	٣١٦

انيا ً : فهرس ا قراءات ا شاذة

الثا ً : فهرس الأحا يث

رابعاً : فهرس الآثار

امسا ً : فهرس لأعلام

ادسا ً : فهرس المصطل ات والمفر ات المشرو ة

المصــطلح	الصفحة
اليَلب	٣٦٠
يلج	١٤٩
ينجم	١٤٩

ابعاً : فهرس الف ق وال بائل

ثامناً: فهرس الأماكن والبلدان

اسعاً : فهرس ال واهد ال عرية

الأبيـــات	الصفحة
وكنا حسبنا كل بيضـــاء شـــحمة عشية قارعنا جُـــذام وحميـــرا	٢٢١
ومضى نساؤهم بكـــل مُفاضـــةٍ جـــدلاء ســـابغةٍ وبالأبـــدان	٣٥٩
يـــــاليتني فيهـــــا جـــــذع أخُـــــبُّ فيهـــــا وأَضَـــــع	٥٩
يسر المرء مـــا ذهـــب الليـــالي وكـــان ذهـــابهن لـــه ذهابـــاً	٢٤٧

الحا ي عشر : فهرس المو وعات

اشرا ً : فهرس الم اجع وا صادر

أولاً : **الرسائل العلمية** :

- اختيارات الإمام الشوكاني في التفسير من خلال كتابه : "فتح القدير" من أول الكتاب إلى آخر سورة الإسراء عرض ودراسة. رسالة علمية تقدم بها الطالب: علي بن حميد بن مسلّم السناني، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير سنة (١٤١٩هـ).
- ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة جمعاً ودراسة، وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط. رسالة علمية تقدم بها الطالب: محمد بن ناصر يحيى جدّه، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة سنة (١٤٢٧هـ).
- ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره عرضاً ودراسة من سورة يونس إلى نهاية القرآن. رسالة علمية تقدم بها الطالب: عبد الله بن عبد العزيز العواجي، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم التفسير، سنة (١٤٢٠هـ).
- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة علمية تقدم بها الطالب: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه سنة (١٤٢٠هـ).

ثانياً : **المراجع المطبوعة** :

- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، ط٣، ١٤٥٠هـ.

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلـوم، لصـدّيق بـن حسـن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٧٨م.
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.
- الآثار، لمحمد بن الحسن ، لأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبدالله بن عبد البـر النمـري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمـد قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربـي، تحقيـق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
- اختلاف الأئمة العلماء؛ لأبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيـرة الشـيباني، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.
- أدب الكاتب، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمـد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بـن محمـد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ليوسف بن عبدالله بن عبد البـر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا/ ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علـي بـن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التـراث العربـي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، مكتبة عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٣، ١٩٩٨م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا / وسمير جابر، دار الفكر، بيروت.
- الإمتاع في حل ألفاظ أبي شجاع، لمحمد الشربيني الخطيب، تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ .
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية، لاهور.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابوري، تحقيق: أبو حامد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٥م.
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المنار، جدة، ١٩٨٦م.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر، اعتنى به: بديع السيد اللحام، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ومكتبة دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ .
- البحر الرائق شرح كتاب الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، ط٢.
- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ .
- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبدالله العاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .
- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود/ والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوقي/ وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.
- البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا/ وعادل عبد الحميد العدوي/ وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الفكر، بيروت.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق الدكتور: حسين ابن أبي عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبي أسامة الهيثمي، تحقيق: د/ حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التاج والإكليل لمختصر الخليل، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبدالله، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨م.
- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط٣.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- التاريخ الأوسط، لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ومكتبة دار التراث، القاهرتو، ط١، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
- تاريخ بغداد، ولأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفكر، بيروت.

- التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم النـــدوي، دائرة المعارف الإسلامية، الهند، ط١، ١٣٨٠هـــ .
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبـــة الله الشافعي، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، صححه وعلّق عليه: طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـــ .
- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لأبي الحسن علاء الدين المــرداوي، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن الجبرين/ والــدكتور: عــوض القرنـــي، / و الدكتور/ أحمد السراج، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠٠م.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيـــع، تونس، ١٩٩٧م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المبـــاركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين الزيلعي، تحقيق: عبدالله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الريـــاض، ط١، ١٤١٤هـــ .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين الســـيوطي، تحقيـــق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـــ.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تأليف: لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيـــق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: محمد بن تاوين الطبخي، وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسلامية، المغرب، ط١، ١٤٠٣هـــ .
- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزّي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـــ -١٩٨٣م .

- تفسير الثوري، لسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ .
- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبدالله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة/ ومحمد بن مصطفى الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، للحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا .
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، ط١، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م .
- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م .
- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام السلمي، تحقيق الدكتور: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.
- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- تفسير مجاهد بن جبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، دار المنشورات العلمية، بيروت.

- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.
- التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن الآبار القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة ، لبنان، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي/ ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ .
- تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٠م .
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتو برتز، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .

- الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ .
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٣٧٣هـ.
- الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، لأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، للمبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
- الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين العلمية وما قيل فيه من المراثي، بقلم: وليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات الحكمة (١٠)، ط١، ١٤٢٢هـ .
- الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقام، بيروت.
- جمهرة اللغة ، لمحمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن حـزم الأندلسـي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمـد بـن مخلـوف الثعالبي، تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلميـة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ .
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصـر المزنـي، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: الشيخ علـي محمـد معـوض/ والشيخ عادل أحمد عبـد الموجـود، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م .
- حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة والإسلام، للدكتور رحاب عكـاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيـق: مختـار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
- حماسة الظرفاء، لعبد الله بن محمد بن يوسف العبدلكاني الزوزني، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بـن عبـدالله الأصـفهاني الشافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريقي/ وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٩٩٨م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد المحبـي، دار صـادر، بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور: أحمد محمـد الخـرَّاط، دار القلـم، دمشـق، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبدالله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط٢، ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق الدكتور: محمد السيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- الديباج المُذّهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .
- الديباج على مسلم، لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الجويني، دار ابن عفان، الخُبَر، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.
- ديوان الأعشى، تحقيق: حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، ط١، ١٤٠٣هـ.
- ديوان الراعي النمري عبيد بن حصين، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
- ديوان الصبابة، لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي التلمساني، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق وشرح : حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ .
- ديوان حاتم الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ديوان ذو الرمة، شرح: أحمد حسن بسيج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

- ديوان علي بن أبي طالب، تحقيق: صابر القادري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- ديوان كثير عزة، تأليف: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م.
- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، لمحمد بن عبدالله المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٥م.
- الرسالة الصفدية (قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلال) لابن تيمية، اعتنى به : سيد عباس الحليمي/ وأيمن عارف الدمشقي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: السيد محمد السيد/ وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ .
- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق الدكتور: محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ .
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٣٧٩هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٤، ١٤٠٨هـ .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٧هـ .
- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .
- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور: عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ .
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

- السير، لأبي إسحاق الفزاري، تحقيق الدكتور: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط/ ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ .
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .
- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لشمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي، قدَّم له ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- شرح السنة، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- الشرح الكبير لابن قدامة، لعبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي.
- شرح الكوكب المنير المُسمَّى بمختصر التحرير، لمحمد بن أحمد عبد العزيز القنوجي المعروف بابن النجار، تحقيق الدكتور: محمد الزحيلي/ والدكتور: نزيه حماد، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ .
- شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .
- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المطبعة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٥٠هـ .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الكتاب العربي.

- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور: مصطفى أديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.
- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمود فاخوري/ والدكتور : محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الضعفاء والمتروكين ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ .
- الضعفاء والمتروكين، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ .
- ضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- ضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

- طبقات الحفاظ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ .
- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق الدكتور: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق الدكتور: محمود محمد الطناحي/ والدكتور: عبد الفتاح محمد، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- طبقات الفقهاء، لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت.
- طبقات القراء، لأبي عبدالله الذهبي، تحقيق الدكتور : أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ.
- طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .
- طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ .
- طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.
- العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ.
- الفهرست، لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المنّاوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .
- القراءات الشاذة لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- القرطبي ومنهجه في التفسير، للقصبي محمود زلط ، دار القلم.
- القطع والائتناف أو الوقف والابتداء، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ .
- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القلم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ .
- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم ، الكويت، ١٤٠٠هـ .
- القوانين الفقهية، لمحمد بن أحمد بن جزّي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبدالله حمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، ط١، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.
- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لأبي محمد عبدالله بن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت .
- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزّاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م.

- كتاب الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، اعتنى به: محمد زهدي النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ .
- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ودار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦).
- كتاب سيبويه، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ .
- الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل المُسمّى بتفسير الخازن، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابـــن عـــادل الدمشـــقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـــ ـــ ١٩٩٨م.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقـــي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـــ .
- لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائـــرة المعرفـــة النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـــ ـــ ١٩٨٦م.
- المبسوط، لمحمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تحقيق: أبو الوفاء الأفغـــاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي.
- المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، عارضه بأصوله وعلّـــق عليه الدكتور: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام أبي حاتم محمد بـــن حبان البستي، تحقيق: محمود إبـــراهيم زايـــد، دار الـــوعي، حلـــب، ط١، ١٣٩٦هـــ .
- المجموع شرح المهذب للشيرازي، لأبي زكريا محي الدين شرف النـــووي، اعتنى به وأكمله: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـــ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم؛ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـــ.
- محاسن التأويل، للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي، ضبطه وصححه وخرَّج آياته وأحاديثه : محمد باسل، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، ط٢، ١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- المحلّى، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
- المحيط في اللغة، لإسماعيل ابن عباد بن العباس الطالقاني، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.
- مختصر اختلاف العلماء ، للجصاص أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق الدكتور: عبد الله نذير أحمد ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .
- المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، دار صادر، بيروت.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل أبو شامة، تحقيق : وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٢، ١٤١٤هـ .
- المزهر في علوم اللغة والأدب، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.
- مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله، لعبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ .
- مصارع العشاق، لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ، تحقيق: محمد حسن، وأحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ .
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ .
- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ .

- معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الشهير بالزجاج، تحقيق الدكتور: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث ، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ .
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.
- معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- معجم محدثي الذهبي، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٣م.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٤٠٣هـ .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحّالة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ .
- المعجم المختص بالمحدثين، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق الدكتور: محمد الحبيب، مكتبة الصّديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ .
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

• معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد/ وشعيب الأرناؤوط/ وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ .
• المعرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م.
• المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .
• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور: مازن المبارك/ ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
• المفردات في غريب القرآن، لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرة ، لبنان .
• المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الدكتور: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
• المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق : محمد عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
• مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، دار الرسالة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ .
• مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ .
• المنتقى من السنن المسندة، لعبدالله بن علي بن الجارود، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد ابن الجزري، اعتنى بـه : علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ .
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة ابن العربي، ١٤٠٥هـ .
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق الدكتور: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
- الناسخ والمنسوخ من كتاب الله ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ .
- النكت على كتاب ابن الصلاح، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور: ربيع ابن هادي المدخلي، مركز إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة ، ط١، ١٤٠٤هـ .
- النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، راجعه وعلَّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية، بيروت.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، لأبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

- نواسخ القرآن، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- الهداية شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن علي بن أبي بكر الرشداني المرغياني، المكتبة الإسلامية.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط/ وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م .

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي يسَّر لي إنهاء هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه. لقد عشت مع الإمام أبي عبدالله القرطبي من خلال جامعه أجمل أيام حياتي، حيث أعطيته أنفس أوقاتي، وأكثر ساعات ليلي ونهاري، أقارن بين ترجيحات هذا الإمام وبين أقوال غيره من المفسرين، وأوازن وأدلل وأذكر النتائج.

وقد استهدفت هذه الرسالة الترجيحات التفسيرية عند الإمام القرطبي – رحمه الله – من الآية (٤١) من سورة التوبة إلى نهاية سورة يونس . وقد ظهرت لي كثير من النتائج ذات الأثر الكبير على التفسير ومنهجه ومن أهمها :

١. أنّ أبا عبدالله الإمام القرطبي – رحمه الله – يعتبر علماً من أعلام التفسير، وإماماً من أئمتهم المبدعين في هذا الفن، ومن الذين لهم الفضل في نشر العلم، من خلال إتقانه لاختلاف المفسرين وآرائهم، وإبراز ذلك بطريقة مميزة، ومنهجية فريدة .
٢. أنّ الدراسة المبنية على المقارنة والموازنة تعطي الباحث ملكة في سبر الأقوال، ومناقشتها، وتحقيق صحيحها من سقيمها .
٣. قدرة أبي عبدالله القرطبي الظاهرة على الترجيح بين الأقوال، وإيراد أدلة الترجيح، ومناقشة أدلة المخالفين وأقوالهم بموضوعية مطردة .

جَمعَ أبو عبدالله القرطبي بين النقل والمناقشة للأقوال التي ينقلها والترجيح بينها، فهو صاحب رأي في التفسير لا يخرج عن أقوال السّلف، وقد يأتي برأيٍ فيه من دقة الاستنباط لم يصل إليه السابقون .

٤. أنّ أبا عبدالله القرطبي لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية، سواءً أكانت تفسيرية، أم فقهية، أم لغوية، بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر.
٥. أنّ البيئة العلمية التي نشأ وعاش فيها الإمام القرطبي في الأندلس ومصر كان لها الأثر الكبير في بنيته العلمية القوية .

٦. أنّ من منهج أبي عبدالله القرطبي الحرص على الجمع بين الأقوال كلها ما أمكن. وإذا تعذر الجمع لجأ القرطبي إلى المفاضلة والترجيح فيختار من الآراء ما تؤيده الأدلة والقرائن.

٧. أنّ قواعد الترجيح عند القرطبي تقوم إما على العموم، وإما على اللغة، وإما على سياق الآيات، وإما على ما تشهد له الأحاديث، وإما على دلالة بعض القراءات التفسيرية على صحته.

٨. كثرة المصادر التي اعتمد عليها القرطبي في كل فن من الفنون، وكأنه في كل علم يتحدث فيه لم يسبقه إليه أحد. مما جعله يورث لنا آثار عظيمة.

٩. أنّ أبا عبدالله القرطبي قد وفِّق في عدد كبير من ترجيحاته للصواب، بينما خالفه الصواب في بعضها، وهذا كذلك يصدق على غيره من المفسرين .

١٠. أنّ التأني وعدم العجلة من أهم الأسباب في معرفة القول الصحيح في تفسير الآية.

١١. ليس من السهولة بمكان الوصول إلى القول الصواب عند الاختلاف في التفسير؛ لذا لابد من بذل الجهد، واستفراغ الوسع بالتأمل الدقيق، والنظر العميق، ومجاهدة النفس على الإتيان بالأسباب الموصلة إلى الحق، كتقوى الله عز وجل، والصبر والجلد على مشقة البحث في ذلك، مع الاستعانة بالأسباب الأخرى المعينة على معرفة الصواب، كسؤال أهل العلم الراسخين فيه، والإلمـــام بالقواعد الترجيحية المعتبرة عند العلماء في تفسير كتاب الله عز وجل.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن لا يجعل فيه نصيباً لأحدٍ من خلقه، وأن يكسوه ثوب القبول، وأن ينفع به من كتبه وقرأه، وصوّبه، وأن يجعله مصدر خير ونفع، وأن يكون ذخيرة لي يوم العرض عليه .

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .